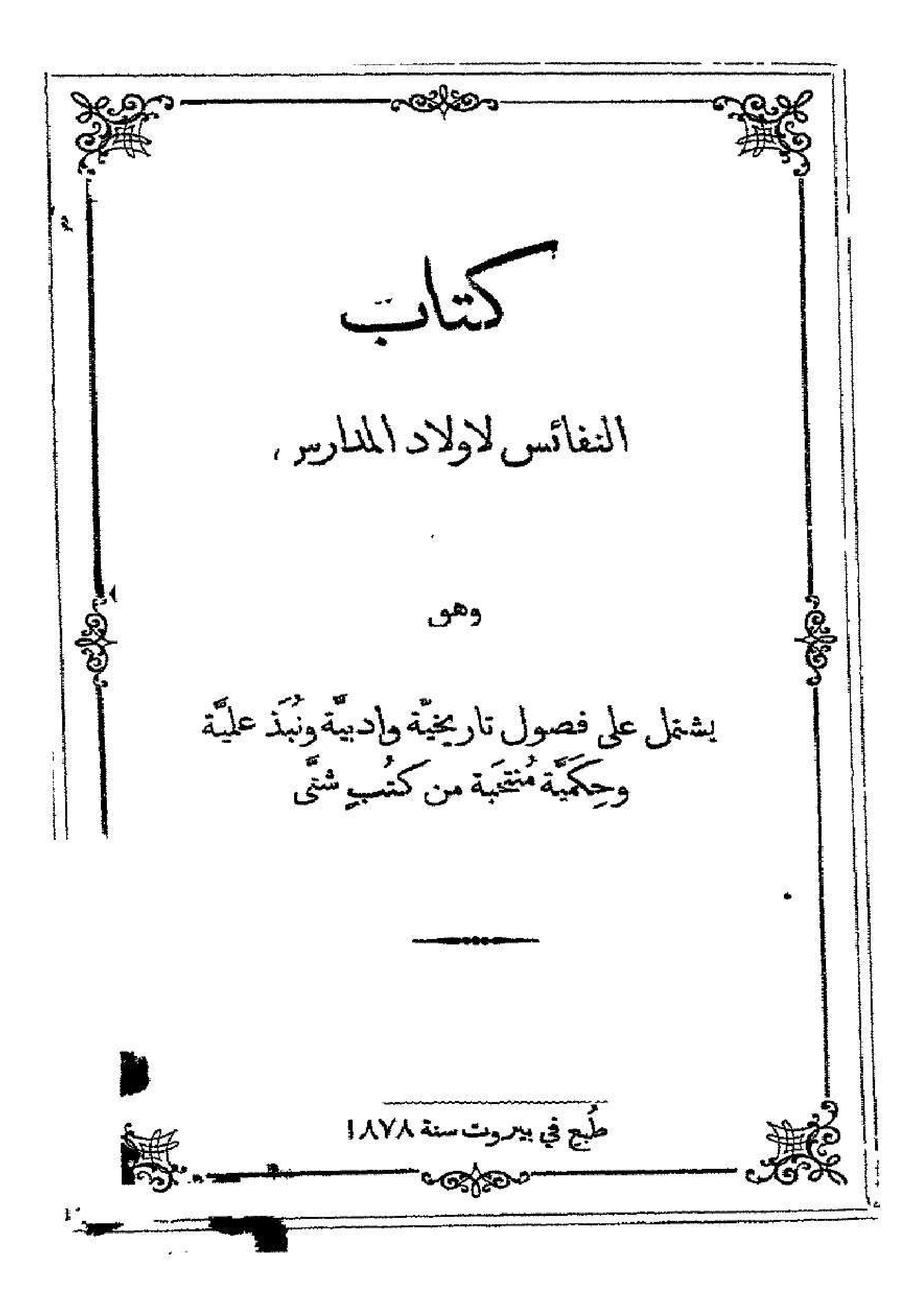


كتاب

النفائس لاولاد المدارس

وهو

يشتمل على فصول تاريخيّة وادبيّة ونُبَذ علميّة وحِكَميّة مُنتخَبة من كُتُبٍ شتّى

طُبع في بيروت سنة ١٨٧٨

الفاتحة

اما بعدُ لما كانت اولاد المدارس في احتياج شديد الى كتب موافقة لتحسين القراءة والتمرين في اللغة ولم يكن للتقدمين منهم ما يصلح لذلك الا شيء يسير وُضع لهم هذا الكتاب رجاء ان يفي بالغرض المطلوب . وهو يشتمل على فصول مُقتطفة من كتب كثيرة قديمة وحديثة تتضمن انواع الانشاء من الحكايات والتاريخ الى الامثال والشعر ورفيع اللغة على شكل ان البسيط يسبق العويص تسهيلاً للطالب . وقد قصد جامع الكتاب ان تكون الفصول المنتخبة مما يرغب الاحداث في مطالعته وما يجدون فيه شيئًا من فائدة العلم . وهو لا يخلو من ذلك لعامة الذين يحبون مطالعة اللغة العربية والوقوف على شيء من احسن ما ورد من هذا القبيل وبالله التوفيق

م

فهرس الكتاب

القسم الاول

حكايات ونوادر

القسم الثاني

خرافات

فهرس

فهرس

صفحة

القسم الثالث

تراجم بعض الاعلام

القسم الرابع

فصول تاريخية

القسم الخامس

نُبَذ علميّة

القسم السادس

صفحة

القسم السابع
أشعار

القسم الثامن
مقامات

القسم

حكاياتٌ ونوادر

حكاية السِّنَّور

ان السّنّور قال للفار ائذن لي ان ابيت عندك هذه الليلة ثم اروح الى حال سبيلي فلما سمع الفار كلام السنّور قال له كيف تدخل وكريـ وانت لي عدوّ بالطبع ومعاشك من لحمي واخاف ان تغدر بي لان ذلك من شيمتك لانهُ لا عهد لك وقد قيل لا ينبغي الأمان للفقير العائل على المال ولا للنار على الحطب وليس بواجب عليّ ان استأمنك على نفسي وقد قيل عداوة الطبع كلّما ضعف صاحبها كانت اقوى فاجاب السنّور قائلاً باخمد صوت واسوإ حال ان الذي قلتهُ من المواعظ حقٌّ ولست انكر عليك ولكن اسألك الصفح عمّا مضى من العداوة الطبيعية التي بيني وبينك لانهُ قد قيل من صفح عن مخلوق مثلهُ صفح الله عنهُ وقد كنت عدوًّا لك وها انا اليوم طالبٌ صداقتك وقد قيل اذا اردت ان يكون عدوُّك لك صديقًا فافعل معهُ خيرًا واما انا يا اخي فاعاهدك عهدًا وثيقًا اني لا اضرُّك ابدًا ومع هذا ليس لي قدرة على ذلك فثقْ بالله وافعل خيرًا واقبل عهدي وميثاقي فقال الفار كيف اقبل عهد من تأسّست العداوة بيني وبينهُ وعادتهُ ان يغدر بي ولو كانت العداوة بيننا على شيءٍ من الاشياء غير الدم لهان عليَّ ذلك ولكنها عداوة طبيعيّة بين الارواح وقد قيل مَن استأمن عدوّهُ على نفسهِ كان كمن ادخل يدهُ في فم الافعى فقال السنّور وهو ممتلئٌ غيظًا قد ضاق صدري وضعفت نفسي وها انا في النزع وعن قليل اموت على بابك ويبقى اثمي عليك لانك قادر على

نجاتي مما انا فيهِ وهذا آخر كلامي معك فحصل للفار خوف من الله تعالى ونزلت في قلبهِ الرحمة وقال في نفسهِ من اراد المعونة من الله تعالى على عدوّهِ فليصنع معهُ رحمةً وخيرًا وانا متوكّلٌ على الله في هذا الامر وانقذ هذا السنّور من هذا الهلاك لاكسب اجرهُ فعند ذلك خرج الفار الى السنّور وادخلهُ في وكرهِ سحبًا فاقام عندهُ الى ان اشتدّ واستراح وتعافى قليلاً فصار يتأسّف على ضعفهِ وذهاب قوّتهِ وقلّة اصدقائهِ فصار يترفّق بهِ ويأخذ بخاطرهِ ويتقرّب منهُ ويسعى حولهُ واما السنّور فانهُ زحف الى الوكر حتى ملك المخرج فخرج خوفًا ان يخرج منهُ الفار فلما اراد الخروج قرب من السنّور على عادتهِ فلما صار قريبًا منهُ قبض عليهِ واخذهُ بين اظافيرهِ وصار يعضّهُ ويأخذهُ في فمهِ ويرفعهُ عن الارض ويرميهِ ويجري وراءهُ وينهشهُ ويعذّبهُ فعند ذلك استغاث الفار وطلب الخلاص من الله وجعل يعاتب السنّور ويقول اين العهد الذي عاهدتني بهِ واين اقسامك التي اقسمت بها أَهذا جزائي منك وقد ادخلتك وكربك واستأمنتك على نفسي ولكن صدق من قال من اخذ عهدًا من عدوّهِ لا يبتغي لنفسهِ نجاةً ومن قال من سلّم نفسهُ لعدوّهِ كان مستوجبًا لنفسهِ الهلاك ولكن توكّلت على خالقي فهو الذي يخلّصني منك فبينما هو على تلك الحالة مع السنّور وهو يريد ان يهجم عليهِ ويفترسهُ واذا برجل صيّاد معهُ كلاب جارحة معوّدة بالصيد فمرّ منهم كلب على باب الوكر فسمع فيهِ معركة كبيرة فظنّ ان فيهِ ثعلبًا يفترس شيئًا فاندفع الكلب منحدرًا ليصطادهُ فصادف السنّور فجذبهُ اليهِ فلما وقع السنّور بين يدي الكلب التهى بنفسهِ واطلق الفار حيًّا ليس فيهِ جرحٌ واما هو فانهُ خرج بهِ الكلب الجارح بعد ان قطع عصبهُ ورماهُ ميتًا وصدق في حقهما قول من قال من رَحِمَ رُحِمَ آجلاً ومن ظلَمَ ظُلِمَ عاجلاً

حكاية السّمك

كان في بعض الاماكن غدير ماء وكان فيهِ بعض سمكات فعرض لذلك الغدير انهُ قلّ ماؤهُ وصار ينضمّ بعضهُ الى بعض ولم يبقَ من الماء ما يسعفها

فكادت تهلك وقالت ما عسى ان يكون من امرنا وكيف نحتال ومن نستشيره في نجاتنا فقامت سمكة منهنّ وكانت اكبرهنّ عقلاً وسنّاً وقالت ما لنا حيلة في خلاصنا الاّ الطلب من الله ولكن نلتمس الراي من السرطان فانهُ اكبرنا فهلمّوا بنا اليهِ لننظر ما يكون من رايهِ لانهُ اكثر منا معرفةً بحقائق الكلام فاستحسنوا رايها وجاءوا باجمعهم الى السرطان فوجدوه رابضاً في موضعهِ وليس عندهُ علمٌ ولا خبر مما هم فيهِ فسلّموا عليهِ وقالوا له يا سيّدنا أمَا يعنيك امرنا وانت حاكمنا ورئيسنا فاجابهم السرطان قائلاً وعليكم السلام ما الذي بكم وما تريدون فقصّوا عليهِ قصّتهم وما دهاهم من امر نقص الماء وانهُ متى نشف حصل لهم الهلاك ثم قالوا له وقد جئناك منتظرين رايك وما يكون فيهِ النجاة لانك كبيرنا واعرف منا فعند ذلك اطرق راسهُ مليّاً ثم قال لا شكّ ان عندكم نقص عقل لياسكم من رحمة الله تعالى وكفالتهِ بارزاق خلائقهِ جميعاً ألم تعلموا ان الله سبحانهُ وتعالى يرزق عبادهُ بغير حساب وقدّر ارزاقهم قبل ان يخلق شيئاً من الاشياء وجعل لكل شخص عمراً محدوداً ورزقاً مقسوماً بقدرتهِ الالهية فكيف نحمل همّ شيءٍ هو في الغيب مسطور والراي عندي انهُ لم يكن احسن من الطلب من الله تعالى فينبغي ان كلاًّ منا يصلح سريرتهُ مع ربهِ في سرّهِ وعلانيتهِ ويدعو الله ان يخلّصنا وينقذنا من الشدائد لان الله تعالى لا يخيّب رجاء من توكّل عليهِ ولا يردّ طلب من توسّل اليهِ فاذا اصلحنا احوالنا استقامت امورنا وحصل لنا كل خير ونعمة واذا جاء الشتاء وغمر ارضنا بدعاء صالحنا فلا يهدم الخير الذي بناهُ فالراي ان نصبر وننتظر ما يفعلهُ الله بنا فان كان يحصل لنا موت على العادة استرحنا وان كان يحصل لنا ما يوجب الهرب هربنا ورحلنا من ارضنا الى حيث يريد الله فاجاب السمك جميعهُ من فمٍ واحد صدقت يا سيدنا جزاك الله عنا خيراً وتوجّه كلٌّ منهم الى موضعهِ فما مضى الاّ ايامٌ قليلة واتاهم بمطر شديد حتى ملأ الغدير زيادةً عمّا كان

حكاية السّلاحِف

زعموا ان سلاحف كانت في جزيرة من الجزائر وكانت تلك الجزيرة ذات اشجار واثمار وانهار فاتفق ان دراجًا اجتاز بها يومًا وقد اصابهُ الحر والتعب فلما اضر بهِ ذلك حط من طيرانهِ في تلك الجزيرة التي بها تلك السلاحف فلما رأى السلاحف التجأ اليها ونزل عندها وكانت تلك السلاحف ترعى في جهات الجزيرة ثمّ ترجع الى مكانها فلما رجعت من مسارحها الى مكانها رأت الدراج فيهِ فلمّا رأتهُ اعجبها وزيّنهُ الله لها فسبّحت خالقها واحبت هذا الدراج حبًّا شديدًا وفرحت بهِ ثم قال بعضها لبعض لا شك ان هذا من احسن الطيور فصارت كلها تلاطفهُ وتجنح اليهِ فلما راى منها عين المحبة مال اليها واستأنس بها وصار يطير الى اي جهة اراد وعند المساء يرجع الى المبيت عندها فاذا اصبح الصباح يطير الى حيث اراد وصارت هذه عادتهُ واستمرّ على هذه الحال مدّةً من الزمان فلما رأت السلاحف ان غيابهُ عنها يوحشها وتحققت انها لا تراهُ الاَّ في الليل واذا اصبح طار مبادرًا ولا تشعر بهِ مع زيادة حبها لهُ قال بعضها لبعض ان هذا الدراج قد احببناهُ وصار لنا صديقًا وما بقي لنا قدرة على فراقهِ فما يكون من الحيلة الموصلة الى اقامتهِ عندنا دائمًا لانهُ اذا طار يغيب عنا النهار كلهُ ولا نراهُ الاَّ في الليل فاشارت عليها واحدة قائلةً استريحوا يا اخواتي وانا اجعلهُ لا يفارقنا طرفة عين فقال لها الجميع ان فعلتِ ذلك صرنا لكِ كلنا عبيدًا فلما حضر الدراج من مسرحهِ وجلس بينهما تقرّبت منهُ السلحفة المحتالة ودعت لهُ وهنأتهُ بالسلامة وقالت لهُ يا سيدي اعلم ان الله قد رزقك منا المحبة وكذلك اودع قلبك محبتنا وصرت لنا في هذا القفر انيسًا واحسن اوقات المحبين اذا كانوا مجتمعين والبلاء العظيم في البعد والفراق ولكنك تتركنا عند طلوع الفجر ولم تعُد الينا الاَّ عند غروب الشمس فيصير عندنا وحشة زائدة وقد شقّ علينا ذلك كثيرًا ونحن في وجدٍ عظيمٍ بهذا السبب فقال لها الدراج نعم انا عندي محبة لكُنّ واشتياق عظيم اليكنّ زيادةً على ما عندكنّ وفراقكنّ

ليس سهلاً عندي ولكن ما بيدي حيلة في ذلك لكوني طيراً باجنحة فلا يمكنني المقام معكنّ دائماً لان هذا ليس من طبعي فان الطير ذا الاجنحة ليس لهُ مستقرٌ الاّ في الليل لاجل النوم واذا اصبح طار وسرح في اي موضع اعجبهُ فقالت لهُ السلحفة صدقت ولكن ذو الاجنحة في غالب الاوقات لا راحة لهُ لكونهِ لا ينالهُ من الخير ربع ما يحصل لهُ من المشقّة وغاية المقصود للشخص الرفاهيّة والراحة ونحن قد جعل الله بيننا وبينك المحبة والإلفة ونخشى عليك ممّن يصطادك من اعدائك فتهلك ونُحرَم من رؤية وجهك فاجابها الدراج قائلاً صدقتِ ولكن ما عندكِ من الراي والحيلة في امري فقالت لهُ الراي عندي ان تنتف سواعدك التي تسرع بطيرانك وتقعد عندنا مستريحاً وتاكل من اكلنا وتشرب من شربنا في هذه السرحة الكثيرة الاشجار اليانعة الاثمار ونقيم نحن وانت في هذا الموضع المخصب ويتمتع كلٌّ منا بصاحبهِ فمال الدراج الى قولها وقصد الراحة لنفسهِ ثمّ نتف ريشهُ واحدةً بعد واحدة حكم ما استحسنهُ من راي السلحفة واستقرّ عندهنّ عائشاً معهنّ ورضي باللذّة اليسيرة والطرب الزائل فبينما هم على تلك الحالة واذا بابن عرس قد مرّ عليهِ فرمقهُ بعينهِ وتاملهُ فرآهُ مقصوص الجناح لا يستطيع النهوض فلما رآهُ على تلك الحالة فرح بهِ فرحاً شديداً وقال في نفسهِ ان هذا الدراج سمين اللحم قليل الريش ثمّ دنا منهُ ابن عرس وافترسهُ فصاح الدراج وطلب النجدة من السلاحف فلم يجدنهُ بل تباعدنَ عنهُ وانكمشنَ في بعضهنّ لمّا رأينَ ابن عرس قابضاً عليهِ وحيث رأينَ ابن عرس يعذّبهُ خنقهنّ البكاء عليهِ فقال لهنّ الدراج هل عندكنّ شيءٌ غير البكاء فقلنَ لهُ يا اخانا ليس لنا قوّة ولا طاقة ولا حيلة في امر ابن عرس فحزن الدراج عند ذلك وقطع الرجاء من حياة نفسهِ وقال لهنّ ليس لكنّ ذنب انما الذنب لي حيث اطعتكنّ ونتفت اجنحتي التي اطير بها

حكاية التّاجر

كان تاجرٌ من التجار كثير الاموال والاسفار الى جميع البلدان فاراد

المسير الى بعض البلدان فسأل من جاء منها وقال لهم اي بضاعة فيها كثيرة المكسب فقالوا له حطب الصندل فانهُ يُباع فيها غاليًا فاشترى التاجر بجميع ما عندهُ من المال حطب صندل وسافر الى تلك المدينة فلما وصل اليها كان قدومهُ اليها آخر النهار واذا بعجوز تسوق غنمًا لها فلما رأت التاجر قالت له من انت ايها الرجل فقال لها انا رجل تاجر غريب فقالت له احذر من اهل البلد فانهم قوم مكَّارون لصوص وانهم يخدعون الغريب ليظفروا به ويأكلوا ما كان معهُ وقد نصحتك ثم فارقتهُ فلما اصبح الصباح تلقَّاهُ رجل من اهل المدينة فسلَّم عليهِ وقال له يا سيدي من اين قدمت فقال له قدمت من البلد الفلانية قال له ما حمَلت معك من التجارة قال له خشب صندل فاني سمعت ان له قيمةً عندكم فقال له الرجل لقد اخطأ من اشار عليك بذلك فاننا لا نوقد تحت القدر الَّا بذلك الحطب الصندل فقيمتهُ عندنا هو والحطب سواء فلما سمع التاجر كلام الرجل تأسَّف وصار بين مصدّق ومكذّب ثم نزل ذلك التاجر في بعض خانات المدينة يقِد بالصندل تحت القدر فلما رآهُ ذلك الرجل قال له أتبيع هذا الصندل كل صاعٍ بما تريدهُ نفسك فقال له بعتك فحوَّل الرجل جميع ما عندهُ من الصندل في منزلهِ وقصد البائع ان ياخذ ذهبًا بقدر ما ياخذ المشتري فلما اصبح الصباح تمشَّى التاجر في المدينة فلقيهُ رجل ازرق العينين من اهل تلك المدينة وهو اعور فتعلَّق بالتاجر وقال له انت الذي اتلفت عيني فلا اطلقك ابدًا فانكر التاجر ذلك وقال له ان هذا الامر لا يتم فاجتمع الناس عليهما وسألوا الاعور المهلة الى غدٍ ويعطيهِ ثمن عينهِ فاقام الرجل التاجر له ضامنًا حتى اطلقوهُ ثم مضى التاجر وقد انقطع نعلهُ من مجاذبة الرجل الاعور فوقف على دكان الاسكافي ودفعهُ له وقال له اصلحهُ ولك عندي ما يرضيك ثم انصرف عنهُ واذا بقومٍ قاعدين يلعبون فجلس عندهم من الهم والغم فسألوهُ اللعب فلعب معهم فاوقعوا عليهِ الغلب وغلبوهُ وخيَّروهُ اما ان يشرب البحر واما ان يخرج من مالهِ جميعًا فقام التاجر وقال امهلوني الى غدٍ ثم مضى التاجر وهو مغموم على ما فعل ولا يدري كيف

يكون حالهُ فقعد في موضع متفكرًا مغمومًا مهمومًا واذا بالعجوز جائزة عليهِ فنظرت نحو التاجر فقالت لهُ لعل اهل المدينة ظفروا بك فاني اراك مهمومًا ما اصابك فحكى لها جميع ما جرى من اولهِ الى آخرهِ قالت لهُ من الذي عمل عليك في الصندل فان الصندل عندنا قيمتهُ كل رطل بعشرة دنانير ولكن انا ادبر لك رأيًا ارجو بهِ ان يكون لك خلاص نفسك وهو ان تسير نحو الباب الفلاني فان في ذلك الموضع شيخًا اعمى مقعدًا وهو عالم عارف كبير خبير وكل الناس تحضر عندهُ يسألونهُ عمّا يريدونهُ فيشير اليهم بما يكون لهم فيهِ الصلاح لانهُ عارف بالمكر والسحر والنصب وهو شاطر فتجتمع الشطّار عندهُ بالليل فاذهب عندهُ واخفِ نفسك من غرمائك بحيث تسمع كلامهم ولا يرونك فانهُ يخبرهم بالغالبة والمغلوبة لعلّك تسمع منهُ حجّة تخلّصك من غرمائك فانصرف التاجر من عندها الى الموضع الذي اخبرتهُ بهِ واخفى نفسهُ ثم نظر الى الشيخ وجلس قريبًا منهُ فما كان الا ساعة وقد حضر جماعتهُ الذين يتحاكمون عندهُ فلما صاروا بين يدي الشيخ سلّموا عليهِ وسلّم بعضهم على بعض وقعدوا حولهُ فلما رآهم التاجر وجد غرماءهُ الاربعة من جملة الذين حضروا فقدّم لهم الشيخ شيئًا من الاكل فاكلوا ثمّ اقبل كل واحد منهم يخبرهُ بما جرى لهُ في يومهِ فتقدم صاحب الصندل واخبر الشيخ بما جرى لهُ في يومهِ من انهُ اشترى صندلًا من رجل بغير قيمتهِ واستقرّ البيع بينهما على ملء صاع مما يحب فقال لهُ الشيخ قد غلبك خصمك فقال لهُ وكيف يغلبني قال الشيخ فاذا قال لك انا آخذ ملأهُ ذهبًا او فضة فهل انت تعطيهِ قال نعم اعطيهِ وانا اكون الرابح فقال لهُ الشيخ فاذا قال لك انا آخذ ملء صاع براغيث النصف ذكور والنصف اناث فماذا تصنع فعلم انهُ مغلوب ثم تقدم الاعور وقال يا شيخ اني رأيت اليوم رجلًا ازرق العينين وهو غريب البلاد فتقاويت عليهِ وتعلّقت بهِ وقلت لهُ انت قد اتلفت عيني وما تركتهُ حتى ضمنهُ لي جماعة انهُ يعود اليّ ويرضيني في عيني فقال لهُ الشيخ لو اراد غلبك لغلبك قال وكيف يغلبني قال يقول لك اقلع عينك وانا اقلع عيني ونزن كلًّا منهما فان تساوت عيني بعينك فانت صادق

في ما ادّعيتهُ ثم تغرم دية عينهِ وتكون انت اعمى ويكون هو بصيرًا بعينهِ الثانية فعلم انهُ يغلبهُ بهذه الحجة ثم تقدم الاسكافي وقال لهُ يا شيخ اني رأيت اليوم رجلاً اعطاني نعلهُ وقال لي اصلحهُ فقلت لهُ ألا تعطيني الاجرة فقال لي اصلحهُ ولك عندي ما يرضيك وانا لا يرضيني الاَّ جميع مالهِ فقال لهُ الشيخ اذا اراد اخذ نعلهُ منك ولا يعطيك شيئًا اخذهُ فقال لهُ وكيف ذلك قال يقول لك ان السلطان هُزِمَت اعداؤُهُ وضعفت اضدادهُ وكثرت اولادهُ وانصارهُ أرضيت ام لا فان قلت رضيت اخذ نعلهُ منك وانصرف وان قلت لا اخذ نعلهُ وضرب بهِ وجهك وقفاك فعلم انهُ مغلوب ثم تقدم الرجل الذي لعب معهُ بالمراهنة وقال لهُ يا شيخ اني لقيت رجلاً فراهنتهُ وغلبتهُ فقلت لهُ ان شربت هذا البحر فانا اخرج عن جميع ما لك لي فقال لهُ الشيخ لو اراد غلبك لغلبك فقال لهُ وكيف ذلك قال يقول لك امسك لي فم البحر بيدك وناولهُ لي وانا اشربهُ فلا تستطيع ويغلبك بهذه الحجة فلما سمع التاجر ذلك عرف ما يحتج بهِ على غرمائهِ ثم قاموا من عند الشيخ وانصرف التاجر الى محلهِ فلما اصبح الصباح اتاهُ الذي راهنهُ على شرب البحر فقال لهُ التاجر ناولني فم البحر وانا اشربهُ فلم يقدر فغلبهُ التاجر وفدى المراهن نفسهُ بمئة دينار وانصرف ثم جاء الاسكافي وطلب منهُ ما يرضيهِ فقال لهُ التاجر ان السلطان غلب اعداءهُ واهلك اضدادهُ وكثرت اولادهُ أرضيت ام لا قال لهُ نعم رضيت فاخذ مركوبهُ بلا اجرة وانصرف ثم جاء الاعور وطلب منهُ دية عينهِ فقال لهُ التاجر اقلع عينك وانا اقلع عيني ونزنهما فان استوتا فانت صادق فخذ دية عينك فقال لهُ الاعور امهلني ثم صالح التاجر على مئة دينار وانصرف ثم جاء الذي اشترى الصندل فقال لهُ خذ ثمن صندلك فقال لهُ اي شيء تعطيني فقال لهُ قد اتفقنا على ان صاعًا صندلاً بصاع من غيرهِ فان اردت خذ ملأهُ ذهبًا او فضةً فقال لهُ التاجر انا لا آخذ الاَّ ملأهُ براغيث النصف ذكور والنصف اناث فقال لهُ انا لا اقدر على ذلك فغلبهُ التاجر وفدى المشتري نفسهُ بمئة دينار بعد ان رجّع لهُ صندلهُ وباع التاجر الصندل وقبض ثمنهُ وسافر من تلك المدينة الى بلدهِ

الحكاية الخامسة للسندباد البحري

اعلموا يا اخواني اني لمّا رجعت من السفرة الرابعة وقد غرقت في اللهو والطرب والانشراح وقد نسيت جميع ما كنت لقيتهُ وما جرى لي وما قاسيتهُ من شدة فرحي بالمكسب والربح والفوائد فحدثتني نفسي بالسفر والتفرُّج في بلاد الناس وفي الجزائر فقمت وهممت في ذلك واشتريت بضاعة نفيسة تناسب البحر وحزمت الحمول وسرت من مدينة بغداد وتوجّهت الى مدينة البصرة ومشيت على جانب الساحل فرأيت مركبًا كبيرة عالية مليحة فاعجبتني فاشتريتها وكانت عدَّتها جديدة واكتريت لها رئيسًا وبحريّة ونظّرت عليها عبيدي وغلماني وانزلت فيها حمولي وجاءني جماعة من التجار فنزّلوا حمولهم فيها ودفعوا لي الاجرة وسرنا ونحن في غاية الفرح والسرور وقد استبشرنا بالسلامة والكسب ولم نزل مسافرين من جزيرة الى جزيرة ومن بحر الى بحر ونحن نتفرج في الجزائر والبلدان ونطلع اليها نبيع فيها ونشتري ولم نزل على هذه الحالة الى ان وصلنا يومًا من الايام الى جزيرة كبيرة خالية من السكان وليس فيها احد وهي خراب قفراء وفيها قبة عظيمة بيضاء كبيرة الحجم فطلعنا نتفرج عليها واذا هي بيضة رخ كبيرة فلما طلع التجار اليها وتفرجوا عليها ولم يعلموا انها بيضة رخ ضربوها بالحجارة فكُسرت ونزل منها ماء كثير وقد بان منها فرخ الرخ فسحبوهُ منها وطلّعوهُ من تلك البيضة وذبحوهُ واخذوا منهُ لحمًا كثيرًا وانا في المركب ولم يطلعوني على ما فعلوهُ فعند ذلك قال لي واحد من الركّاب يا سيدي قم تفرّج على هذه البيضة التي تحسبها قبّة فقمت لاتفرّج عليها فوجدت التجار يضربون البيضة فصحت عليهم لا تفعلوا هذا الفعل فيطلع طير الرخ ويكسر مركبنا ويهلكنا فلم يسمعوا كلامي فبينما هم على هذه الحالة واذا بالشمس قد غابت عنا والنهار اظلم وصار فوقنا غمامة اظلم الجوُّ منها فرفعنا رؤوسنا ننظر ما الذي حال بيننا وبين الشمس فرأينا اجنحة الرخ هي التي حجبت عنا ضوء الشمس حتى اظلم الجو وذلك لما جاء الرخ ورأى بيضته انكسرت صاح علينا

فجاءت رفيقته وصارا حائمين على المركب يصرخان علينا بصوت اشدّ من الرعد فصحت انا على الرئيس والبحرية وقلت لهم ادفعوا المركب واطلبوا السلامة قبلما نهلك فاسرع الرئيس وطلّع التجار وحل المركب وسرنا في تلك الجزيرة فلما رآنا الرخ سرنا في البحر غاب عنا ساعة من الزمان وقد سرنا واسرعنا في السير بالمركب نريد الخلاص منها والخروج من ارضها واذا بهما قد تبعانا واقبلا علينا وفي رجلي كل واحد منهما صخرة عظيمة من الجبل فالقى الصخرة التي كانت معهُ علينا فجذب الرئيس المركب وقد اخطأها نزول الصخرة بشيء قليل فنزلت في البحر تحت المركب فقامت بنا المركب وقعدت من عظم وقوعها في البحر وقد رأينا قرار البحر من شدّة عزمها ثم ان رفيقة الرخ القت علينا الصخرة التي معها وهي اصغر من الاولى فنزلت بالامر المقدّر على مؤخّر المركب فكسرتهُ وطيّرت الدفّة عشرين قطعة وقد غرق جميع ما كان في المركب في البحر فصرت احاول النجاة لحلاوة الروح فقدّر الله تعالى لي لوحًا من الواح المركب فتشبّثت فيهِ وركبتهُ وصرت اقذف عليهِ برجلي والريح والموج يساعداني على السير وكانت المركب غرقت بالقرب من جزيرة في وسط البحر فرمتني المقادير باذن الله تعالى الى تلك الجزيرة فطلعت عليها وانا على آخر نفس وفي حالة الموتى من شدّة ما قاسيتهُ من التعب والمشقّة والجوع والعطش ثم اني انطرحت على شاطئ البحر ساعة من الزمان حتى ارتاحت نفسي واطمأنّ قلبي ثم مشيت في تلك الجزيرة فرأيتها كانها روضة من رياض الجنّة اشجارها يانعة وانهارها دافقة وطيورها مغرّدة تسبّح من لهُ العزة والبقاء وفي تلك الجزيرة شيء كثير من الاشجار والفواكه وانواع الازهار فعند ذلك اكلت من الفواكه حتى شبعت وشربت من تلك الانهار حتى رويت وحمدت الله تعالى على ذلك واثنيت عليهِ ولم ازل على هذه الحالة قاعدًا في الجزيرة الى ان امسى المساء واقبل الليل فقمت انا مثل القتيل مما حصل لي من التعب والخوف ولم اسمع في تلك الجزيرة صوتًا ولم ارَ فيها احدًا ولم ازل راقدًا فيها الى الصباح ثم قمت على حيلي ومشيت بين تلك الاشجار فرأيت ساقية على عين ماء

جارية وعند تلك الساقية جالس شيخ مليح وذلك الشيخ متّزر بازار من ورق الاشجار فقلت في نفسي لعلّ هذا الشيخ طلع الى هذه الجزيرة وهو من الغرقى الذين كُسِرت بهم المركب ثمّ دنوت منهُ وسلّمت عليهِ فردّ عليّ السلام بالاشارة ولم يتكلم فقلت لهُ يا شيخ ما سبب جلوسك في هذا المكان فحرّك راسهُ وتأسّف واشار لي بيدهِ يعني احملني على رقبتك وانقلني من هذا المكان الى جانب الساقية الثانية فقلت في نفسي اعمل مع هذا معروفًا وانقلهُ الى هذا المكان الذي يريدهُ لعلّ ثوابهُ يحصل لي فتقدّمت اليهِ وحملتهُ على كتفيّ وجئت الى المكان الذي اشار اليهِ وقلت لهُ انزل على مهلك فلم ينزل عن كتفيّ وقد لفّ رجليهِ على رقبتي فنظرت الى رجليهِ فرأيتهما مثل جلد الجاموس في السواد والخشونة ففزعت منهُ واردت ان ارميهُ من فوق كتفيّ فقرط على رقبتي برجليهِ وخنقني بهما حتى اسودّت الدنيا في وجهي وغبت عن وجودي ووقعت في الارض مغشيًّا عليّ مثل الميت فرفع ساقيهِ وضربني على ظهري وعلى كتفيّ فحصل لي الم شديد فنهضت قائمًا بهِ وهو راكب على كتفيّ وقد تعبت منهُ فاشار لي بيدهِ ان ادخل بين الاشجار الى اطيب الفواكه واذا خالفتهُ يضربني برجليهِ ضربًا اشدّ من ضرب الاسواط ولم يزل يشير لي بيدهِ الى كل مكان ارادهُ وانا امشي بهِ اليهِ وان توانيت او تمهّلت يضربني وانا معهُ شبه الاسير وقد دخلنا في وسط الجزيرة بين الاشجار وهو على كتفيّ ولا ينزل ليلاً ولا نهارًا واذا اراد النوم يلفّ رجليهِ على رقبتي وينام قليلاً ثم يقوم ويضربني فاقوم مسرعًا بهِ ولا استطيع مخالفتهُ من شدّة ما اقاسي منهُ وقد لمتُ نفسي على ما كان مني من حملهِ والشفقة عليهِ ولم ازل معهُ على هذه الحالة وانا في اشدّ ما يكون من التعب وقلت في نفسي انا فعلت مع هذا خيرًا فانقلب عليّ شرًّا فما بقيت افعل مع احد خيرًا طول عمري وقد صرت اتمنى الموت من الله تعالى في كل وقت وكل ساعة من كثرة ما انا فيهِ من التعب والمشقّة ولم ازل على هذه الحالة مدّة من الزمان الى ان جئت بهِ يومًا من الايام الى مكان في الجزيرة فوجدت فيهِ يقطينًا كثيرًا ومنهُ شيء كثير يابس فاخذت منهُ واحدة كبيرة يابسة وفتحت

راسها وصفيتها ومشيت بها الى شجرة العنب فملأتها منها وسددت راسها ووضعتها في الشمس وتركتها مدة ايام حتى صارت خمرًا صرفًا وصرت في كل يوم اشرب منهُ لاستعين بهِ على تعبي مع ذلك الشيطان المريد وكلما سكرت منها تقوى همتي فنظرني يومًا من الايام وانا اشرب فاشار لي بيدهِ ما هذا فقلت لهُ هذا شيءٌ مليح يقوّي القلب ويشرح الخاطر ثم اني جريت بهِ ورقصت بين الاشجار وحصل لي نشأةٌ من السكر فصفّقت وغنّيت وانشرحت فلما رآني على هذه الحالة اشار لي ان اناولهُ اليقطينة ليشرب منها فخفت منهُ واعطيتها لهُ فشرب ما كان باقيًا فيها ورماها على الارض وقد حصل لهُ طرب فصار يهتزُّ على كتفيَّ ثم انهُ سكر وغرق في السكر وقد ارتخت جميع اعضائهِ وفرائصهِ وصار يتمايل من فوق كتفيَّ فلما علمت بسكرهِ وانهُ غاب عن الوجود مددت يدي الى رجليهِ وفككتهما من رقبتي ثم ملت بهِ الى الارض فقعدت والقيتهُ عليها فما صدقت اني خلّصت نفسي ونجوت من ذلك الامر الذي كنت فيهِ ثم اني خفت منهُ ان يقوم من سكرهِ ويؤذيني فاخذت صخرة عظيمة من بين الاشجار وجئت اليهِ فضربتهُ على راسهِ وهو نائم فاختلط لحمهُ بدمهِ فقُتِل . وبعد ذلك مشيت في الجزيرة وقد ارتاح خاطري وجئت الى المكان الذي كنت فيهِ على ساحل البحر ولم ازل في تلك الجزيرة آكل من اثمارها واشرب من انهارها مدّة من الزمان وانا اترقّب مركبًا تمرُّ عليَّ الى ان كنت جالسًا يومًا من الايام متفكرًا في ما جرى لي وما كان من امري واقول في نفسي يا ترى يبقيني الله سالمًا ثم اعود الى بلادي واجتمع باهلي واصحابي واذا بمركب قد اقبلت من وسط البحر العجاج المتلاطم بالامواج ولم تزل سائرة حتى رست على تلك الجزيرة وطلع منها الركّاب الى الجزيرة فمشيت اليهم فلما نظروني اقبلوا عليَّ كلهم مسرعين واجتمعوا حولي وقد سألوني عن حالي وما سبب وصولي الى تلك الجزيرة فاخبرتهم بامري وما جرى لي فتعجبوا من ذلك غاية العجب وقالوا لي ان هذا الرجل الذي ركب على كتفيك يُسمّى شيخ البحر وما احد دخل تحت اعضائهِ وخلص منهُ الاّ انت والحمد لله على سلامتك ثم انهم جاءوا لي بشيءٍ من الطعام

فاكلت حتى اكتفيت واعطوني شيئًا من الملبوس لبسنهُ وتستّرت بهِ ثم اخذوني معهم في المركب وقد سرنا اياماً وليالي فرمتنا المقادير على مدينة عالية البناء جميع بيوتها مطلّة على البحر وتلك المدينة يقال لها مدينة القرود ولما يدخل الليل تاتي الناس الذين هم ساكنون في تلك المدينة يخرجون من هذه الابواب التي على البحر ثم ينزلون في زوارق ومراكب ويبيتون في البحر خوفًا من القرود ان تنزل عليهم في الليل من الجبال فطلعت اتفرج في تلك المدينة فسافرت المركب ولم اعلم فندمت على طلوعي الى تلك المدينة وتذكّرت رفقتي وما جرى لي مع القرود اولاً وثانيًا فقعدت ابكي وانا حزين فتقدّم اليّ رجل من اصحاب هذه البلد وقال لي يا سيدي كانك غريب في هذه الديار فقلت له نعم انا غريب ومسكين وكنت في مركب قد رست على تلك المدينة فطلعت منها لانفرّج في المدينة وعدت اليها فلم ارها فقال قم وسِرْ معنا وانزل الزورق فانك ان قعدت في المدينة ليلاً اهلكتك القرود فقلت له سمعًا وطاعةً وقمت من وقتي وساعتي ونزلت معهم في الزورق ودفعوهُ من البرّ حتى ابعدوهُ عن ساحل البحر مقدار ميل وباتوا تلك الليلة وانا معهم فلما اصبح الصباح رجعوا بالزورق الى المدينة وطلعوا وراح كلٌّ منهم الى شغله ولم تزل هذه عادتهم في كل ليلة وكل من تخلّف منهم في المدينة بالليل جاء اليهِ القرود واهلكوهُ وفي النهار تطلع القرود الى خارج المدينة فياكلون من اثمار البساتين ويرقدون في الجبال الى وقت المساء ثم يعودون الى المدينة وهذه المدينة في اقصى بلاد السودان ومن اعجب ما وقع لي من اهل هذه المدينة ان شخصًا من الجماعة الذين بتُّ معهم في الزورق قال لي يا سيدي انت غريب في هذه الديار فهل لك صنعة تشتغل فيها فقلت له لا يا اخي ليس لي صنعة ولست اعرف عمل شيء وانما انا رجل تاجر وصاحب مال ونوال وكان لي مركب ملكي مشحونة باموال كثيرة وبضائع فكسرت في البحر وغرق جميع ما كان فيها وما نجوت من الغرق الّا باذن الله فرزقني الله بقطعة لوح ركبتها فكانت السبب في نجاتي من الغرق فعند ذلك قام الرجل واحضر لي مخلاة من قطن وقال لي خذ هذه

المخلاة واملأها حجارة زلط من هذه المدينة واخرج مع جماعة من اهل المدينة وانا أُرفقك بهم واوصيهم عليك وافعل كما يفعلون فلعلّك تعمل بشيءٍ تستعين بهِ على سفرك ورجوعك الى بلادك ثم ان ذلك الرجل اخذني واخرجني الى خارج المدينة فنقّيت حجارةً صغيرةً من الزلط وملأت تلك المخلاة واذا بجماعة خارجين من المدينة فارفقني بهم واوصاهم عليّ وقال لهم هذا رجل غريب فخذوهُ معكم وعلّموهُ اللقط فلعلّهُ يعمل بشيءٍ يتقوّت بهِ ويبقى لكم الاجر والثواب فقالوا سمعًا وطاعةً ورحبوا بي واخذوني معهم وساروا وكل واحد منهم معهُ مخلاة مثل المخلاة التي معي مملوءة زلطًا ولم نزل سائرين الى ان وصلنا الى وادٍ واسع فيهِ اشجار كثيرة عالية لا يقدر احد ان يطلع عليها وفي ذلك الوادي قرود كثيرة فلما رأتنا هذه القرود نفرت منا وطلعت تلك الاشجار فصاروا يرجمون القرود بالحجارة التي معهم في المخالي والقرود تقطع من اثمار تلك الاشجار وترمي بها هؤلاء الرجال فنظرت تلك الاثمار التي ترميها القرود واذا هي جوز هندي فلما رأيت ذلك العمل من القوم اخترت شجرة عظيمة عليها قرود كثيرة وجئت اليها وصرت ارجم هذه القرود فتقطع من ذلك الجوز وترميني بهِ فاجمعهُ كما يعمل القوم فما فرغت الحجارة من مخلاتي حتى جمعت شيئًا كثيرًا فلما فرغ القوم من هذا العمل لمّوا جميع ما كان معهم وحمل كل واحد منهم ما اطاقهُ ثم عدنا الى المدينة في باقي يومنا فجئت الى الرجل صاحبي الذي ارفقني بالجماعة واعطيتهُ جميع ما جمعت وشكرت فضلهُ فقال لي خذ هذا بعهُ وانتفع بثمنهِ ثم اعطاني مفتاح مكان في دارهِ وقال لي ضع في هذا المكان هذا الذي بقي معك من الجوز واطلع في كل يوم مع الجماعة مثلما طلعت هذا اليوم والذي تجيءُ بهِ ميّز منهُ الرديء وبعهُ وانتفع بثمنهِ واحفظهُ عندك في هذا المكان فلعلّك تجمع منهُ شيئًا يعينك على سفرك فقلت لهُ جُوزيت خيرًا وفعلت مثلما قال لي ولم ازل في كل يوم املأُ المخلاة من الحجارة واطلع مع القوم واعمل مثلما يعملون وقد صاروا يتواصون بي ويدلّونني على الشجرة التي فيها الثمر الكثير ولم ازل على هذه الحالة مدّةً من الزمان وقد اجتمع عندي شيءٌ كثير من

الجوز الهندي الطيّب وبعت شيئاً كثيراً وكثر عندي ثمنه وصرت اشتري كل شيء رأيته ولاق بخاطري وقد صفا وقتي وزاد في كل المدينة حظّي ولم ازل على هذه الحالة مدّة فبينما انا واقف على جانب البحر واذا بمركب قد وردت الى تلك المدينة ورست على الساحل وفيها تجار معهم بضائع فصاروا يبيعون ويشترون ويقايضون على شيء من الجوز الهندي وغيره فجئت عند صاحبي واعلمته بالمركب التي جاءت واخبرته باني اريد السفر الى بلادي فقال الراي لك فودّعته وشكرته على احسانه اليّ ثم اني جئت عند المركب وقابلت الرئيس واكتريت معه ونزّلت ما كان معي من الجوز وغيره في تلك المركب وسرنا في ذلك اليوم ولم نزل سائرين من جزيرة الى جزيرة ومن بحر الى بحر وكل جزيرة رسونا عليها ابيع فيها من ذلك الجوز واقايض وقد عوّض الله عليّ بازيد ما كان معي وضاع مني وقد مررنا على جزيرة فيها شيء من القرفة والفلفل وقد ذكر لنا جماعة انهم نظروا على كل عنقود من عناقيد الفلفل ورقة كبيرة تظلّله وتقي عنه المطر اذا امطرت واذا ارتفع عنه المطر انقلبت الورقة عن العنقود ونزلت بجانبه فاخذت معي من تلك الجزيرة شيئاً كثيراً من الفلفل والقرفة مقايضة بالجوز وقد مررنا على جزيرة العسرات وهي التي فيها العود القماري ومن بعدها على جزيرة اخرى مسيرتها خمسة ايام وفيها العود الصيني وهو اعلى من القماري واهل تلك الجزيرة اقبح حالة وديناً من اهل جزيرة العود القماري فانهم يحبون الفساد وشرب الخمور ولا يصلّون وجئنا بعد ذلك الى مغاطس اللؤلؤ فاعطيت الغواصين شيئاً من جوز الهند وقلت لهم غوصوا على بختي ونصيبي فغاصوا في تلك البركة وقد اطلعوا شيئاً كثيراً من اللؤلؤ الكبير الغالي وقالوا لي يا سيدي ان بختك سعيد فاخذت جميع ما اطلعوه لي في المركب وقد سرنا على بركة الله تعالى ولم نزل سائرين الى ان وصلنا البصرة فطلعت فيها واقمت بها مدّة يسيرة ثم توجّهت منها الى مدينة بغداد ودخلت حارتي وجئت الى بيتي وسلّمت على اهلي واصحابي وهنّأوني بالسلامة وخزنت جميع ما كان معي من البضائع والامتعة وكسوت الايتام والارامل

وتصدّقت ووهبت وهاديت اهلي واصحابي واحبابي وقد عوّض الله عليّ باكثر مما راح مني اربع مرّات وقد نسيت ما جرى لي وما قاسيته من التعب بكثرة الربح والفوائد وعدت لما كنت عليهِ في الزمن الاول من المعاشرة والصحبة وهذا اعجب ما كان من امري

روايةٌ عن كرم البرامكة

اني كنت من اصغر كتّاب يحيى بن خالد وارقهم حالاً فقال لي يومًا اريد ان تضيفني في دارك يومًا فقلت يا مولانا انا دون ذلك وداري لا تصلح لهذا قال لا بدّ من ذلك قلت فان كان لا بدّ فأمهلني مدّةً حتى أُصلح شأْني ومنزلي ثم بعد ذلك انت ورايك قال كم أُمهلك قلت سنةً قال كثيرٌ قلت فشهرًا قال نعم فمضيت واسرعت في اصلاح المنزل وتهيئة اسباب الدعوة فلمّا تهيّأَت الاسباب أَعلمت الوزير بذلك فقال نحن غدًا عندك فمضيت وتهيّأْت في الطّعام والشّراب وما يُحتاج اليهِ فحضر الوزير في غدٍ ومعهُ ابناهُ جعفرٌ والفضل وعدّةٌ يسيرة من خواصّ اتباعهِ فنزل عن دابّتهِ ونزل ولداهُ جعفرٌ والفضل ومن معهُ وقال يا فلان انا جائع فعجّل لي بشيءٍ فقال لي الفضل ابنهُ الوزير يحبُّ الفراريج المشويّة فعجّل منها ما حضر فدخلت واحضرت شيئًا فاكل الوزير ثم قام يتمشّى في الدّار وقال يا فلان فرّجنا في دارك فقلت يا مولانا هذه هي داري ليس لي غيرها قال بلى لك غيرها قلت اني ما املك سواها فقال هاتوا بنّاءً فلما حضر قال لهُ افتح في هذا الحائط بابًا فمضى ليفتح فقلت يا مولانا كيف يجوز ان يُفتح بابٌ الى بيوت الجيران قال لا بأْس في ذلك ثم فتح الباب فقام الوزير وابناهُ فدخلوا فيهِ وانا معهم فخرجوا منهُ الى بستانٍ حسَنٍ كثير الاشجار والماء يتدفّق فيهِ وبهِ من المقاصير والمساكن ما يروق كل ناظرٍ وفيهِ من الآلات والفرش والخدَم والجواري كل جميلٍ بديع فقال هذا المنزل وجميع ما فيهِ لك فقبّلت يدهُ ودعوت لهُ وتحقّقت القصّة فاذا هو من يوم حادثني في معنى الدعوة قد ارسل واشترى الاملاك

المجاورة لي وعمّرها دارًا حسنةً ونقل اليها من كل شيء وانا لا اعلم وكنت ارى العمارة واحسبها لبعض الجيران فقال لابنهِ جعفر يا بنيَّ هذا منزلٌ وعيال فالمادّة من اين تكون له قال جعفرٌ قد اعطيتهُ الضيعة الفلانيَّة بما فيها وساكتب له بذلك كتابًا فالتفت الى ابنهِ الفضل وقال له يا بُنيَّ فمن الآن الى ان يدخل دَخْلُ هذه الضيعة ما الذي ينفق فقال الفضل عليَّ عشرة آلاف دينار احملها اليهِ فقال فعجّلا له ما قلتما فكتب لي جعفرٌ بالضيعة وحمل الفضل اليَّ المال فأثريت وارتفعتْ حالي وكسبت بعد ذلك معهُ مالاً طائلاً انا انقلّب فيهِ الى اليوم

روايةٌ عن الخليفة المستعصم بالله

حدّثني صفيُّ الدين عبد المؤمن بن فاخر الأُرْمَويّ وكان قد صار في آخر ايام المستعصم مقرّبًا عندهُ ومن خواصّهِ وكان قد استجدَّ في آخر ايامهِ خزانة كتب ونقل اليها من نفائس الكتب وسلّم مفاتيحها الى عبد المؤمن فصار عبد المؤمن يجلس بباب الخزانة ينسخ له ما يريد واذا خطر للخليفة الجلوس في خزانة الكتب جاء اليها وعدل عن الخزانة الاولى التي كانت مُسلَّمةً الى الشيخ صدر الدين عليّ بن النيّار قال أعني عبد المؤمن كنت مرّةً جالسًا في حُجرة صغيرة وانا انسخ وهناك مرتبةٌ برسم الخليفة اذا جاء الى هناك جلس عليها وقد بُسِطَت عليها ملحفة لتردّ عنها الغبار فجاء خُوَيدم صغير ونام قريبًا من المرتبة المذكورة واستغرق في النوم فتقلّب حتى تلفّف في تلك الملحفة المبسوطة على المرتبة ثم تقلّب حتى صارت رجلاهُ على المسند قال وانا مشغول بالنسخ فأحسستُ بوطء في الدهليز فنظرت فاذا هو الخليفة وهو يستدعيني بالاشارة ويخفّف وطأهُ فقمت اليهِ مترجّحًا وقبّلت الارض فقال لي هذا الخُوَيدم الذي قد نام حتى تلفّف في هذه الملحفة وصارت رجلاهُ على المسند متى هجمت عليهِ حتى يستيقظ ويعلم اني قد شاهدتهُ على هذه الحال تنفطر مرارتهُ من الخوف فأيقظهُ انت برفق فاني ساخرج الى البستان ثم اعود قال وخرج الخليفة فدخلت الى الخُوَيدم وايقظتهُ فانتبه ثم اصلحنا المرتبة ثم دخل الخليفة

وحدّثني بعض اهل بغداد حُدِّثت ان الشيخ صدر الدين بن النيّار شيخ الخليفة
قال دخلت مرّةً الى خزانة الكتب على عادتي وفي كمّي منديل فيه رقاع كثيرة
لجماعةٍ من ارباب الحوائج فطرحت المنديل وفيه الرّقاع في موضعي ثم قمت
لبعض شأني فلما عدتُ الى الخزانة بعد ساعةٍ حللت الرقاع من المنديل
حتى اتأمّلها واقدّم منها المهمّ فرأيتها جميعها وعليها توقيع الخليفة
بالاجابة الى جميع ما فيها فعلمت ان الخليفة قد جاء الى
الخزانة عند قيامي فرأى المنديل
وفيه الرقاع ففتحها
ووقّع عليّ
جميعها
م

القسم الثاني

خرافات

النسور والارانب

وقع مرةً بين النسور والارانب حربٌ. فمضت الارانب الى الثعالب تسومها الحِلْف والمعاضدة على النسور. فقالت لها لولا انّا عرفناكم ونعلم من تحاربون لفعلنا ذلك

معناهُ * انهُ لا ينبغي للانسان ان يجهل قدرهُ فيتنزّل نفسهُ منزلة غيرهِ

ارنب ولبُوَّة

ارنب مرةً اجتازت بلبوَّة وقالت لها انا أُنتج في كل سنة اولادًا كثيرة وانتِ انما تلدين في عمركِ كلهِ فذًّا او زوًّا. فقالت لها اللبوَّة صدقتِ. غير انهُ وان يكن واحدًا فهو سبعٌ

معناهُ * ليس الاعتماد على الكثرة وانما هو على المفيد

بعوضةٌ وثورٌ

بعوضةٌ يعني ناموسة وقفت على قرن ثور وظنّت انها ثقّلت عليهِ. فقالت لهُ ان كنت قد بهظتك فأعلمني حتى اطير عنك . فقال لها الثور يا هذه ما شعرت بنزولك حتى يريحني فراقكِ

معناهُ * من يطلب ان يجعل لهُ مجدًا وذكرًا وهو حقير يلقى الهوان

بستانيٌّ

بستانيٌّ كان يومًا ينقّي البقل . فقيل لهُ لماذا البقل البرّي بهيُّ المنظر وهو

غير مخدوم ومُنبّت. فقال لانهُ تربيهِ امهُ وغيرهُ تربيهِ ربيبته
معناهُ * ان تربية الامّ اكثر تأثيرًا في ولدها من غيرها

انسانٌ وصنم

انسانٌ كان لهُ صنم في بيتهِ يعبدهُ ويذبح لهُ كل يومٍ ذبيحةً حتى افنى عليهِ جميع ما كان يملكهُ . فشخص لهُ الصنم اخيرًا وقال لهُ لا تفنِ مالك عليَّ ثم تلومني لاله آخر
معناهُ * انهُ ينبغي للانسان ان يمعن النظر في ما يعوّل عليهِ ويستمسك بهِ قبل ان تحلّ بهِ الندامة

رجلٌ اسود

رجل مرةً رأى رجلاً اسود في الماء يستحمّ ويبالغ في غسل بدنهِ . فقال لهُ ويحك انك لا تستطيع تبييض جسمك قبل تسويد الماء
معناهُ * ان المطبوع لا يغيّر طبعهُ

انسانٌ وفرس

انسانٌ كان لهُ فرس يركبها وهي حامل. وفيما هو في بعض الطريق اذ انتجت لهُ مهرًا فتبع امهُ غير بعيد . ثم وقف وقال لصاحبهِ تراني صغيرًا لا استطيع المشي وقد مضيت وتركتني ههنا. فان انت اخذتني معك وربيتني الى ان اقوى حملتك على ظهري واوصلتك الى حيث تشاء
معناهُ * انهُ ينبغي لنا ان نرفق بمن يستغيثوننا وهم غير قادرين

انسانٌ وخنزير

انسانٌ مرةً حمّل على بهيمةٍ لهُ كبشًا وعنزًا وخنزيرًا وقصد بها المدينة ليبيع الجميع. اما الكبش والعنز فلم يكونا يؤذيان البهيمة. واما الخنزير فانهُ كان يغرض دائمًا ولا يهدأ. فقال لهُ الانسان يا اشرّ الوحوش ما لي ارى الكبش والعنز ساكتين لا يضربان وانت لا تهدأ ولا تستقرّ. فقال الخنزير كلٌّ يعرف شأنهُ. انا اعلم ان

الكبش لصوفهِ والعنز للبنها وانا الشقيّ فلا صوف لي ولا لبن فما يكون بعد وصولي الى المدينة الاّ ارسالي الى المسلخة

معناهُ * ان الذين يغرقون في الخطايا التي قدمت ايديهم يعلمون سوء منقلبهم

سلحفة وارنب

سلحفة وارنب تسابقا مرةً وجعلا الحدّ بينهما الجبل يستبقان اليه. اما الارنب فلِمَا يعلم من نفسهِ من الخفّة في الجري توانى في الطريق ونام. واما السلحفة فلعلمها بثقل حركتها لم تكن لتستقرّ ولا تتوانى في المسير حتى وصلت الى الجبل قبلهُ. وعند ما استيقظ من نومهِ وجدها قد سبقت فندم حيث لا تنفع الندامة

معناهُ * لا ينبغي للقويّ ان يتكل على ما عندهُ من القوة ويغفل امرهُ فيفشل ويكون من الخاسرين

العوسج

العوسج قال مرةً للبستاني لو انّ لي من يهتمُّ بي وينصبني وسط البستان ويسقيني ويخدمني لاشتهاني الملوك ونظروا من زهري وثمري. فاخذهُ وغرسهُ في اجود محلّ من البستان وصار يسقيهِ كل يوم دفعتين . فنشى وقوي وتفرّعت اغصانهُ على جميع الشجر التي حولهُ. واصلت عروقهُ في الارض حتى امتلأ البستان منهُ ومن كثرة شوكهِ. فلم يعُد احد يستطيع ان يتفرّج فيهِ

معناهُ * من يجاور انسان سوءٍ فانهُ كلّما اكرمتهُ كثرت شرورهُ وتمرّد كما قال الشاعر. وان انت اكرمت اللئيم تمرّدا

أسود

اسود نزع ثيابهُ يومًا واقبل ياخذ الثلج ويعرك بهِ بدنهُ. فقيل لهُ في ذلك . فقال لعلّي ابيضُّ . فقال لهُ حكيم يا هذا لا تتعب نفسك فربما اسودّ الثلج من جسمك وهو باقٍ على حالهِ

معناهُ * ان الشرير يقدر ان يفسد الخيّر ولا يقدر احد على اصلاحهِ

ذئب

ذئب مرةً اختطف خِنّوصًا وفيما هو ذاهب بهِ لقيهُ الاسد فاخذهُ منهُ. فقال الذئب في نفسهِ لا غروَ ان يكون الغاصب مغصوبًا فان البغي مصرعهُ وخيم

معناهُ * ان ما يُكتسَب من الظلم لا يدوم لصاحبهِ وان دام لهُ فلا يتهنأُ بهِ

خُنفسةٌ ونحلةٌ

خنفسة قالت مرةً لنحلة لو اخذتِني معكِ لعسّلت مثلكِ واكثر. فاجابتها النحلة الى ذلك. فلمّا لم تقدر على وفاء ما قالت ضربتها النحلة بحُمَتها. وفيما هي تموت قالت في نفسها لقد استوجبت ما نالني من السوء فاني لا احسن الزفت فكيف بالعسل

معناهُ * ان اناسًا كثيرين يدّعون لانفسهم ما لا ينبغي لهم فتنفضح عاقبتهم

صبيٌّ

صبيٌّ رمى بنفسهِ مرةً في نهر ولم يكن يحسن السباحة. فاشرف على الغرق. فاستعان برجل عابر في الطريق. فاقبل اليهِ وجعل يلومهُ على نزولهِ الى النهر. فقال لهُ الصبي يا هذا خلّصني اولًا من الموت وبعد ذلك لُمني

معناهُ * اذا وقع صديقك في شدّة نجّهِ وخلّصهُ اولًا ثم لُمهُ

صبيٌّ وعقرب

صبيٌّ مرةً كان يصيد الجراد فنظر عقربًا فظنها جرادة. فمدّ يدهُ لياخذها ثم تباعد عنها. فقالت لهُ لو انك قبضتني بيدك لتخلّيت عن صيد الجراد

معناهُ * ان سبيل الانسان ان يميّز بين الخير والشرّ ويدبّر لكل شيءٍ تدبيرًا على حِدَتهِ

حمامةٌ

حمامةٌ مرةً عطشت فاقبلت تحوم حول حائط في طلب الماء فنظرت عليهِ

صورة صحيفة مملوءة ماء فطارت بسرعة وضربت نفسها على تلك الصورة فانشقت حوصلتها. فقالت الويل لي فاني لم اتروَّ في الصحيح والمفتعل وافرق بين الحق والباطل حتى جلبت المنيَّة لروحي بيدي

معناهُ * ان المستعجل لا يسلم من تبعة عجلتهِ. وان الحزم في التأنّي

هرٌّ

هرٌّ دخل مرةً دكان حدَّاد فاصاب المبرد فاقبل يلحسهُ بلسانهِ والدم يسيل منهُ وهو يبلعهُ ويظنهُ من المبرد الى ان فني لسانهُ فمات

معناهُ * ان الجاهل لا يفيق من جهلهِ ما دام الطمع غالبًا عليهِ

حدَّادٌ وكلبٌ

حدَّاد كان لهُ كلب دأبهُ التواني والرقاد ما دام الحدَّاد عاملاً . فاذا رفع العمل وجلس هو واصحابهُ ليأكلوا استيقظ الكلب . فقال لهُ الحدَّاد يا كلب السوء مالي ارى صوت المطارق التي تزعزع الارض لا ينبهك وحسّ المضغ الخفي تسمعهُ فيوقظك

معناهُ * ان الغبيَّ يتقاعس عن الوعظ واذا سمع اللهو انصبَّ اليهِ

كلابٌ وثعلب

كلابٌ مرةً اصابوا جلد سبع فاقبلوا عليهِ ينهشونهُ فبصر بهم الثعلب. فقال لهم اما انهُ لو كان حيًّا لرأيتم مخاليبهُ كانيابكم واطول

معناهُ * النهي عن الشماتة بالموت

كلبٌ وارنب

كلب مرةً طرد ارنبًا فلما ادركهُ قبض عليهِ واقبل يعضّهُ بانيابهِ فاذا الدم قد جرى منهُ . فلحسهُ الكلب بلسانهِ . فقال الارنب اراك تعضّني كاني عدوُّك ثم تبوسني كاني صديقك

معناهُ ان كثيرين في قلوبهم غشٌّ ودغَل ويُظهرون اشفاقًا ومودَّة

البطن والرِجلان

البطن والرجلان تخاصموا على ايّهم يحمل الجسم. فقالت الرجلان نحن بقوّتنا نحملهُ. فقال الجوف ولكن اذا انا لم أُغَذَّ من الطعام فلا تستطيعان المشي فضلاً عن ان تُقلّا شيئًا

معناهُ * من يتولى امرًا فان لم يعضدهُ من هو ارفع منهُ يفشل

النموس والدجاج

بلغ النموسَ ان الدجاج قد مرضوا. فلبسوا جلود طواويس واتوا ليزوروهم. فقالوا لهم السلام عليكم ايها الدجاج. كيف انتم وكيف احوالكم. فقالوا اننا بخير يوم لا نرى وجوهكم

معناهُ * ان كثيرين يظهرون المحبة ويبطنون البغضة

الشمس والريح

الشمس والريح تخاصمتا على ايهما يقدران يجرّد الانسان ثيابهُ. فاشتدّت الريح في هبوبها وعصفت جدًّا. فكان الانسان كلما تزايد هبوبها ضمّ اليهِ ثيابهُ والتفّ بها من كل جانب. فلما ارتفع النهار واشتدّ الحرُّ خلع ثيابهُ وحملها على كتفهِ

معناهُ * من كان عندهُ الاتضاع ودماثة الاخلاق نال من صاحبهِ ما يريد

ديكان

ديكان كانا يتقاتلان على قهقُور فغلب احدهما الآخر. اما المغلوب فمضى من وقتهِ الى مأْواهُ. واما الغالب فصعد فوق السطح وجعل يصفّق بجناحيهِ ويصيح ويفتخر. فبصر بهِ بعض الجوارح فانقضّ اليهِ واختطفهُ

معناهُ * ان الافتخار بالقوّة ربما اوقع صاحبهُ في تهلكة لا مناصَ لهُ منها

ذئابٌ

ذئابٌ اصابوا جلود بقر في مسيل فيهِ ماءٌ وليس عندهُ احد. فاتّفقوا على

آكلها جميعًا وانهم يشربون الماء كلهُ حتى يصلوا الى الجلود . فمن كثرة ما شربوا انفلقوا وماتوا قبل ان يبلغوا اربهم

معناهُ * من كان قليل الراي عمل ما كانت عاقبتهُ وبالاً عليهِ

الوزُّ والخُطَّاف

الوزُّ والخطَّاف تشاركا في المعيشة فكان مرعاهما كليهما في محل واحد. فمرَّ بهما الصيادون يومًا. فما كان من الخطَّاف الَّا ان طار وسلم. واما الوزُّ فأُدرِك وذُبح

معناهُ * من يعاشر من لا يشاكلهُ احاق بهِ السوء

غزال وثعلب

غزالٌ مرةً عطش. فورد عين ماء ليشرب. وكان الماء في جبٍّ عميق. ثم انهُ حاول الطلوع فلم يقدر. فنظرهُ الثعلب فقال لهُ اسأت يا اخي اذ لم تميّز صدورك قبل ورودك

معناهُ * من جدَّ بهِ الطمع على ان يأتي امرًا دون تروٍّ فيهِ لم يأمن من غائلتهِ

بطَّة وضوء كوكب

بطَّة رأَت في الماء ضوء كوكب فظنَّتهُ سمكة فحاولت ان تصيدها. فلما جرَّبت ذلك مرارًا علمت انهُ ليس بشيءٍ يُصاد فتركتهُ. ثم رأَت من غد ذلك اليوم سمكة فظنَّتها مثل الذي رأَتهُ بالامس فتركتها

معناهُ * انهُ ينبغي للانسان ان يميّز بين الحق والباطل ولا يُوقع احدهما موقع الآخر

غزال واسد

غزال من خوفهِ من الصيادين انهزم الى مغارة. فدخل اليهِ الاسد فافترسهُ فيها . فقال في نفسهِ الويل لي انا الشقي لاني هربت من الناس فوقعت في يد من هو اشدُّ منهم بأْسًا

معناهُ * ان كثيرين يفرُّون من بلاءٍ يسير فيقعون في بلاءٍ اعظم

امرأة ودجاجة

امرأةٌ كان لها دجاجة تبيض في كل يوم بيضة فضة. فقالت في نفسها ان انا كثّرت علفها باضت بيضتين. فلما فعلت ذلك انشقت حوصلة الدجاجة فماتت

معناهُ * ان كثيرين بسبب طمعهم يخسرون راس مالهم

اسدٌ وثعلب

اسدٌ شاخ وضعف فلم يقدر على شيءٍ من الوحوش. فاراد ان يحتال لنفسهِ في المعيشة. فتمارض والقى نفسهُ في بعض المغاير. وكان كلما اتاهُ زائر من الوحوش يعودهُ افترسهُ داخل المغارة وأكلهُ. فاتى الثعلب ووقف على باب المغارة مسلّمًا عليهِ قائلاً لهُ كيف حالك يا سيّد الوحوش. فقال له الاسد مالك لا تدخل يا ابا الحُصَين. فقال له الثعلب يا سيّد قد كنت عوّلت على هذا غير اني ارى عندك آثار اقدام كثيرين قد دخلوا ولا ارى ان خرج منهم احد

معناهُ * انهُ ينبغي للانسان ان لا يأتي امرًا الاّ بعد ان يفكّر فيهِ ويميّزهُ

اسدٌ وثور

اسدٌ مرةً اراد ان يفترس ثورًا فلم يجسر عليهِ لشدّتهِ. فمضى اليهِ متملقًا قائلاً فديتك اني قد ذبحت خروفًا سمينًا واشتهي ان تاكل عندي في هذه الليلة منهُ. فاجابهُ الثور الى ذلك. فلما وصل الى العرين ونظرهُ فاذا الاسد قد استعدّ حطبًا كثيرًا وخلاقين كبارًا فولى هربًا. فقال له الاسد مالك ولّيت بعد مجيئك الى هنا. فقال له الثور لاني علمت ان هذا الاستعداد لما هو اكبر من الخروف

معناهُ * انهُ ينبغي للعاقل ان لا يصدّق عدوّهُ وينخدع لهُ

غزالٌ

غزالٌ مرةً مرض فكانت اصحابهُ من الوحوش تأتيهِ لتعودهُ فترعى ما حولهُ من العشب. فلما نقِهَ من مرضهِ التمس شيئًا لياكلهُ فلم يجد فهلك جوعًا

معناهُ * من كثرت اخوانهُ واصحابهُ كثرت اشجانهُ وآرابهُ

اسدٌ وثعلب

اسدٌ مرةً اشتدَّ عليهِ حرُّ الشمس فدخل الى بعض المقابر يتظلّل فيها . فلما ربض اتى اليهِ حرذون يمشي على ظهرهِ . فوثب اليهِ قائمًا والتفت يمينًا وشمالاً وهو خائف مرعوب . فنظرهُ الثعلب فسخر منهُ . فقال الاسد ليس من الحرذون خوفي وانما كبر عليَّ احتقاري

معناهُ * ان الهوان على العاقل لاصبر لهُ عليهِ

ارنبٌ وثعلب

ارنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فاكلها . فانطلقا يختصمان الى الضب . فقالت الارنب يا ابا حسل . قال سميعًا دعوتِ . قالت اتيناك لنختصم اليك . قال عادلاً حكيمًا . قالت فاخرج الينا . قال في بيتهِ يُؤْتَى الحكم . قالت اني وجدت تمرة . قال حلوة فكليها . قالت فاختلسها الثعلب فاكلها . قال لنفسهِ بغى الخير . قالت فلطمتهُ . قال بحقّكِ اخذتِ . قالت فلطمني . قالت حرٌّ انتصر . قالت فاقضِ بيننا . قال قد قضيت

ناسكٌ ومحتالون

وهو مثل من صدّق الكذوب المحتال فكان من الخاسرين

زعموا ان ناسكًا اشترى عريضًا ضخمًا ليجعلهُ قربانًا وانطلق بهِ يقودهُ . فبصر بهِ قومٌ من المكرة فائتمروا بينهم ان ياخذوهُ منهُ . فعرض لهُ احدهم فقال . ما هذا الكلب الذي معك . ثم عرض لهُ الآخر فقال لصاحبهِ ما هذا ناسكًا لان الناسك لا يقود كلبًا . فلم يزالوا معهُ على هذا ومثلهِ حتى لم يشكّ ان الذي يقودهُ كلب وان الذي باعهُ لهُ سحر عينيهِ . فاطلقهُ من يدهِ فاخذهُ المحتالون ومضوا بهِ

اسد وثعلب وذئب

وهو مثل من اتّعظ بغيرهِ واعتبر بهِ

اسد وثعلب وذئب اصطحبوا فخرجوا يتصيّدون . فصادوا حمارًا وارنبًا وظبيًا .

فقال الاسد للذئب اقسِم بيننا. فقال الامر ابين من ذلك الحمار لابي الحارث (اي الاسد) والارنب لابي معاوية (يعني الثعلب) والظبي لي. فخبطهُ الاسد فاطاح راسهُ. ثم اقبل على الثعلب وقال ما كان اجهل صاحبك بالغنيمة. هات انت. فقال يا ابا الحارث. الامر اوضح من ذلك الحمار لغدائك والظبي لعشائك وتخلّلْ بالارنب فيما بين ذلك. فقال لهُ الاسد ما اقضاك من علّمك هذه الاقضية. قال راس الذئب الطائح من جثتهِ

ثعلب وطبل

وهو مثل من يستكبر الشيء حتى يجرّبهُ فيستصغرهُ

زعموا ان ثعلبًا اتى اجمةً فيها طبل معلّق على شجرة. وكلّما هبّت الريح على قضبان تلك الشجرة حرّكتها فضربت الطبل. فسُمِع لهُ صوت عظيم مبهر. فتوجّه الثعلب نحوهُ لما سمع من عظيم صوتهِ. فلما اتاهُ وجدهُ ضخمًا فايقن في نفسهِ بكثرة الشحم واللحم فعالجهُ حتى شقّهُ. فلما رآهُ اجوف لاشيء فيهِ. قال لا ادري لعلّ افشل الاشياء اجهرها صوتًا واعظمها جثةً

صيّاد وصدفة

وهو مثل من لا يميز بين الامور

صيّاد كان في بعض الخلجان يصطاد واذ بصر ذات يوم في الماء بصدفةٍ فتوهمها شيئًا فالقى شبكتهُ في البحر فاشتملت على قوت يومهِ فخلّاها وقذف نفسهُ في الماء لياخذ الصدفة. فلما اخرجها وجدها فارغة لا شيء فيها مما ظن. فندم على ترك ما في يدهِ للطمع وتأسّف على ما فاتهُ. فلما كان في اليوم الثاني تنحّى عن ذلك المكان والقى شبكتهُ فاصاب حوتًا صغيرًا. ورأى ايضًا صدفة سنيّة فلم يلتفت اليها وساء ظنهُ بها فتركها. فاجتاز بها بعض الصيادين فاخذها فوجد فيها درّة تساوي اموالًا

اسد وثعلب

وهو مثل من عاد عليهِ سيّء عملهِ

اسد مرةً مرض فعادهُ جميع السباع ما خلا الثعلب . فوشى بهِ الذئب . فقال الاسد اذا حضر فاعلمني . فلما قدم اخبرهُ . فعاتبهُ الاسد على ذلك . فقال كنت في طلب الدواء لك . فقال اي شيء اصبت . قال خرزةً في ساق الذئب ينبغي ان تُستخرج . فانشب الاسد براثنهُ في ساق الذئب وانسل الثعلب . فمرّ بهِ الذئب بعد ذلك ودمهُ يسيل . فقال لهُ الثعلب يا صاحب الخفّ الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر الى ما تتفوَّه بهِ

سارق ومسروق منهُ

وهو مثل من لم ينتفع بعلمهِ وفوَّت انتهاز الفرص

زعموا ان رجلاً تسوَّر عليهِ سارق وهو نائم في منزلهِ . فعلم بهِ وقال لأسكتنّ حتى انظر ماذا يصنع ولا اذعرهُ ولا اعلمهُ اني قد شعرت بهِ . فاذا بلغ مرادهُ قمت اليهِ فنغَّصت ذلك عليهِ . ثم انهُ امسك عنهُ وجعل السارق يتردَّد وطال تردُّدهُ في جمعهِ ما يجدهُ . فغلب الرجلَ النعاسُ فنام وفرغ اللص مما اراد وامكنهُ الذهاب واستيقظ الرجل فوجد اللصَّ قد اخذ المتاع وفاز بهِ . فاقبل على نفسهِ يلومها وعرف انهُ لم ينتفع بعلمهِ موضع اللص فقط اذ لم يستعمل في امرهِ ما يجب

تاجر ومُستودَع عندهُ

وهو مثل من اخذ بثارهِ بمثل ما ثُئر بهِ

زعموا انهُ كان بارض كذا تاجر وانهُ اراد الخروج يوماً الى بعض الوجوه ابتغاء الرزق وكان عندهُ مئة منّ حديداً . فاودعها رجلاً من اخوانهِ وذهب في وجههِ . ثم قدم بعد ذلك بمدة فجاء والتمس الحديد . فقال لهُ صاحبهُ قد اكلتهُ الجرذان . فقال قد سمعت انهُ لا شيء اقطع من انيابها للحديد . ففرح الرجل

بتصدّ يقهِ ما قال وادّعى . ثم ان التاجر خرج فلقي ولدًا للرجل فاخذهُ وذهب به الى منزلهِ . فجاءهُ الرجل من الغد فقال هل عندك علم بابني . قال لما خرجت من عندك بالامس رأيت بازيًا قد اختطف صبيًّا فلعلهُ ابنك . فلطم الرجل على راسهِ وقال يا قوم هل سمعتم او رأيتم ان البزاة تختطف الصبيان . فقال نعم ان ارضًا تأكل جرذانها مئة منٍّ حديدًا ليس بعجبٍ ان تختطف بزاتها الفيلة . قال الرجل انا اكلت حديدك وهذا ثمنهُ . فاردد عليَّ ابني

رجل وقبّرة

وهو مثل من يكون وانصة سمع يخدع لكل شيء

رجل صاد قبّرة . فقالت لهُ ما تريد ان تصنع بي . قال اذبحكِ وآكلكِ . قالت اني لا اسمن ولا اغني من جوع ولا اشفي من قرَم ولكني اعلّمك ثلاث خصال هي خيرٌ لك من اكلي . اما الواحدة فاعلّمك اياها وانا على يدك . والثانية اذا صرت على الشجرة . والثالثة اذا صرت على الجبل . قال نعم . فقالت وهي على يدهِ لا تأسفنَّ على ما فاتك . فخلّى عنها . فلما صارت على الشجرة . قالت لهُ لا تصدّق بما لا يكون فلما صارت على الجبل قالت يا شقيُّ لو ذبحتني لوجدت في حوصلتي درّة وزنها عشرون مثقالاً . قال فعضّ على شفتيهِ وتلهّف . ثم قال هاتي الثالثة . قالت قد نسيت الاثنتين الأوليين فكيف اعلّمك الثالثة . قال وكيف ذلك . قالت ألم اقل لك لا تأسفنَّ على ما فاتك وقد تأسّفت عليَّ وانا فتّك . وقلت لك لا تصدّق بما لا يكون وقد صدّقت فانك لو جمعت عظامي ولحمي وريشي لم يبلغ عشرين مثقالاً فكيف يكون في حوصلتي درّة وزنها كذلك

سمكات وصيّاد

وهو مثل من لا يقنط من الراي عند الشدة

زعموا ان غديرًا كان فيهِ ثلاث سمكات كيّسة واكيس منها وعاجزة . وكان

ذلك الغدير بنجوة من الارض لا يكاد يقربهُ احد وبقربهِ نهرٌ جارٍ. فاتفق انهُ اجتاز بذلك النهر صيَّادان فابصرا الغدير فتواعدا ان يرجعا اليهِ بشباكهما فيصيدا ما فيهِ من السمك. فسمعت السمكات قولهما. امَّا اكيسهنَّ فلوقتها ارتابت بهما وتخوَّفت منهما فلم تعرّج على شيءٍ حتى خرجت من المكان الذي يدخل فيهِ الماءُ من النهر الى الغدير. واما الكيِّسة الاخرى فانها مكثت مكانها حتى جاء الصيَّادان. فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ذهبت لتخرج من مدخل الماءِ فاذا بهما قد سدَّاهُ. فحينئذٍ قالت قد فرَّطت وهذه عاقبة التفريط فكيف الحيلة على هذه الحال وقلَّما تنجح حيلة العجلة والارهاق. غير ان العاقل لا يقنط من منافع الراي ولا ييأس على حال. ولا يدَع التدبير والجُهد. ثم انها تماوتت فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارةً وتارةً على بطنها. فاخذها الصيَّادان فوضعاها على الارض بين النهر والغدير فوثبت الى النهر فنجت. واما العاجزة فلم تزل في اقبال وادبار حتى صيدت

ناسك ولص وشيطان

وهو مثل من نجا من عدوَّين لخلافهما

زعموا ان ناسكًا اصاب من رجل بقرة حلوبة. فانطلق بها يقودها الى منزلهِ. فعرض لهُ لص اراد سرقها وتبعهُ شيطان يريد اختطافهُ. فقال الشيطان للّصّ من انت. قال انا اللصُّ اريد ان اسرق هذه البقرة من الناسك اذا نام فمن انت. قال انا الشيطان اريد اختطافهُ نفسهُ اذا هجع واذهب بهِ. فانتهيا على هذا الى المنزل. فدخل الناسك منسكهُ ودخلا هما خلفهُ وادخل البقرة وربطها في زاوية المنزل وتعشّى ونام. فاقبل اللصُّ والشيطان يأْتمران فيهِ واختلفا على من يبدأُ بشغلهِ اولًا. فقال الشيطان للصّ ان انت بدأت باخذ البقرة ربما استيقظ وصاح فيجتمع الناس فلا اعود اقدر على اخذهِ فانظرني ريثما آخذهُ وشأْنك وما تريد. فاشفق اللصُّ ان بدأ الشيطان باختطاف الناسك ربما استيقظ فلا يقدر

على سرقة البقرة. فقال لا بل انظر في انت حتى آخذ البقرة وشانك وما تريد. فلم يزالا في المجادلة هكذا حتى نادى اللصُّ ايها الناسك انتبهْ فهذا الشيطان يريد اختطافك. ونادى الشيطان ايها الناسك انتبهْ فهذا اللصُّ يريد ان يذهب ببقرتك. فانتبه الناسك وجيرانهُ باصواتهما وهرب الخبيثان

حمامتان

وهو مثل من لم يتثبت في امرهِ فساء عاقبة وحبط عملاً

زعموا ان حمامتين ذكرًا وانثى ملأَا عشّهما من الحنطة والشعير. فقال الذكر للانثى انَّا اذا وجدنا في الصحاري ما نعيش بهِ فلسنا نأكل ما ههنا شيئًا فاذا جاء الشتاء ولم يكن في الصحاري شيءٌ رجعنا الى ما في عشّنا فأكلناهُ. فرضيت الانثى بذلك وقالت لهُ نعمَ ما رأيت. وكان الحبُّ حين وضعاهُ في العش نديًّا. فانطلق الذكر فغاب. فلما جاء الصيف يبس الحب وانضمر. فلما رجع الذكر رأى الحب ناقصًا. فقال لها أليس كنّا جميعًا ارتأينا على ان لا نأكل منهُ شيئًا فلِمَ أكلتِهِ. فجعلت تحلف انها لم تذُق منهُ وبالغت في الاعتذار اليهِ فلم يصدّقها. وجعل ينقرها حتى ماتت. فلما جاءت الامطار ودخل الشتاء تندّى الحب وامتلأ العش كما كان وعند ما رأى الذكر ذلك ندم. ثم اضطجع الى جانب حمامتهِ وقال. ما ينفعني الحب والعيش بعدكِ اذا طلبتكِ ولم اجدكِ ولم اقدر على رؤيتكِ. واذا فكّرت في امركِ وعلمت اني قد ظلمتكِ. ثم انهُ لم يطعم طعامًا ولا شرابًا حتى مات الى جانبها

سارق وذو متاع

وهو مثل المصدّق المخدوع بما لا يكون

زعموا ان سارقًا علا ظهر بيت رجل من الاغنياء ومعهُ جماعة من اصحابهِ. فاستيقظ صاحب المنزل من وطئهم فعرّف زوجتهُ ذلك. فقال لها رويدًا اني لاحسب اللصوص علوا على البيت فأيقظيني بصوت يسمعونهُ وقولي ألا تخبرني

ايها الرجل عن اموالك هذه الكثيرة وكنوزك العظيمة فاذا نهيتك عن هذا السؤال فالحي عليّ به ايضاً

فنعلت المرأة ذلك وسألتهُ كما امرها واللصوص ناصتة الى سماع قولهما. فقال الرجل ايتها المرأة قد ساقك القدَر الى رزق واسع كثير وعيش رغيد. فكلي واسكتي ولا تسأَلي عن امر ان اخبرتك بهِ لم آمن ان يسمعهُ احد فيكون في ذلك ما اكرهُ وتكرهين. قالت لعمري ايها الرجل ما بقربنا احد يسمع كلامنا. قال انا مخبرك اني لم اجمع هذه الاموال والثروة الاَّ من السرقة. قالت وكيف كان ذلك وما كنت تصنع. قال ذلك لعلم كُوشِفت عليهِ في السرقة وكان الامر عليَّ يسيرًا وانا آمن ان يتهمني احد او يرتاب بي. قالت فاذكر لي ذلك. قال كنت اذهب في الليلة المقمرة انا واصحابي حتى اعلو دار بعض الاغنياء مثلنا. فانتهي الى الكوَّة التي يدخل منها الضوء فارقي بهذه الرُّقية. وهي شولم شولم سبع مرات. ثم اعتنقُ الضوء وانزل فلا يحسُّ بنزولي احد. فلا ادَع مالاً ولا متاعاً الاَّ اخذتهُ. ثم ارقي بتلك الرقية سبعاً واعتنق الضوء ايضاً فيجذبني فاصعد الى اصحابي فنمضي سالمين آمنين. فلما سمعت اللصوص ذلك. قالوا قد ظفرنا الليلة بما نريد من المال. ثم انهم اطالوا المكث حتى ظنوا ان صاحب الدار وزوجتهُ قد هجعا. فقام قائدهم الى مدخل الضوء وقال. شولم شولم سبع مرات. ثم اعتنق الضوء لينزل الى ارض المنزل فوقع على امّ راسهِ منكسًا. فوثب اليهِ الرجل بهراوتهِ وقال لهُ من انت. قال انا المصدّق المغبون المغترُّ بما لا يكون

مُركِز وحمّالون

وهو مثل من ظفر بشيء ولم يحسن التصرُّف فيهِ

زعموا انهُ اجتاز رجل ببعض المفاوز فظهر لهُ موضع آثار الكنوز فجعل يحفر ويطلب فوقع على شيء من عين ووَرِق. فقال في نفسهِ ان انا اخذت في نقل هذا المال قليلاً طال عليَّ وقطعني الاشتغال بنقلهِ واحرازهِ عن اللذَّة بما اصبت

منهُ. ولكن ساستأجر اقوامًا يحملونهُ الى منزلي مرة واحدة وابقى انا آخرهم ولا يكون بقي ورائي شيءٌ يشغل فكري بتحويلهِ. واكون قد استظهرت لنفسي في اراحة بدني عن الكدّ بيسير اجرة اعطيها لهم. ثم جاء بالحمالين وجعل يحمّل كل واحد منهم ما يطيق فينطلق بهِ الى منزل نفسهِ فيفوز بهِ حتى اذا لم يبقَ من الكنز شيءٌ انطلق المركز خلفهم الى دارهِ فلم يجد فيها من المال شيئًا لا قليلاً ولا كثيرًا. واذا كل واحدٍ من الحمّالين قد فاز بما حملهُ لنفسهِ. ولم يكن لمصيب الكنز منهُ الّا التعب والعناء لانهُ لم يفكر في صيور امرهِ

شريكان

وهو مثل من التمس صلاح نفسهِ بفساد غيرهِ

زعموا انهُ كان لتاجر شريك. فاستأجرا حانوتًا وجعلا متاعهما فيهِ. وكان احدهما قريب المنزل من الحانوت فاضمر في نفسهِ ان يسرق عِدلاً من اعدال رفيقهِ. ومكر الحيلة في ذلك وقال ان اتيت ليلاً لم آمن ان احمل احد اعدالي او احدى رِزَمي ولا اعرفها فيذهب عنائي وتعبي باطلاً. فاخذ رداءهُ والقاهُ على ما اضمر اخذهُ من اعدال شريكهِ وانصرف الى منزلهِ. وجاء رفيقهُ بعد ذلك ليصلح الاعدال فوجد رداء شريكهِ على بعض اعدالهِ. فقال هذا رداءُ صاحبي ولا احسبهُ الّا قد نسيهُ. وما الراي ان ادعهُ ههنا ولكن اجعلهُ على رِزَمهِ فلعلهُ يسبقني الى الحانوت فيجدهُ حيث يحب. ثم اخذ الرداء والقاهُ على احد اعدال رفيقهِ وقفل الحانوت ومضى الى منزلهِ

فلما هجم الليل اتى رفيقهُ ومعهُ رجل قد واطأهُ على ما عزم عليهِ وضمن لهُ جُعلاً على حملهِ فصار الى الحانوت والتمس الازار في الظلمة حتى اذا احسَّ بهِ احتمل العدل الذي تحتهُ واخرجهُ هو والرجل وجعلا يتراوحان على حملهِ حتى اتى منزلهُ وهو يلحط تعبًا فرزح. فلما اصبح افتقدهُ واذا بهِ بعض متاعهِ فندم اشدَّ الندم. ثم انطلق الى الحانوت فوجد شريكهُ قد سبقهُ اليهِ وفقد العدل وجلس مغتمًّا يقول

سوءتنا من رفيقٍ صالح قد أئتمنني على مالهِ وخلّفني فيهِ ماذا تكون حالي عندهُ ولست اشك في تهمتهِ اياي. ولكن قد وطّنت نفسي على غرامتهِ فقال لهُ الخائن يا اخي لا تغتمّ فان الخيانة شرُّ ما عمل الانسان والمكر والخديعة لا يؤدّيان الى خيرٍ وصاحبهما مغرورٌ ابدًا وما عاد وَبال البغي الاَّ على صاحبهِ. وانا احد من مكر وخدع. فقال لهُ صاحبهُ وكيف كان ذلك. فاخبرهُ بخبرهِ. فاضرب الرجل عن توبيخهِ وقبل معذرتهُ. وندم هو غاية الندامة

قبّرة وفيل

وهو مثل من يبلغ بحيلتهِ ما لا يبلغ بالجنود

زعموا ان قبّرة اتخذت ادحيَّة وباضت فيها على طريق الفيل. وكان للفيل مشرب هناك ينتابهُ. فمرَّ ذات يوم على عادتهِ ليَرِد موردهُ فوطئ عش القبّرة وهشم بيضها وقتل فراخها. فلما نظرت ما ساءها علمت ان الذي نالها كان من الفيل لا من غيرهِ. فطارت فوقعت على راسهِ باكية. ثم قالت ايها الملك لِمَ هشمت بيضي وقتلت فراخي وانا في جوارك. أفعلت هذا استصغارًا لامري واحتقارًا لشاني. قال هو الذي حملني على ذلك. فتركتهُ وانصرفت الى جماعة الطير فشكت اليهنَّ ما نالها من صاحب الخرطوم. فقلنَ وما عسى ان نبلغ منهُ ونحن طيور. فقالت للغربان احب منكنَّ ان تصرنَ معي اليهِ فتفقأنَ عينيهِ فاني احتال لهُ بعد ذلك بحيلةٍ اخرى . فأجبنها الى ذلك وذهبنَ الى الفيل. فلم يزلنَ ينقرنَ عينيهِ حتى ذهبنَ بهما. وبقي لا يهتدي الى طريق مطعمهِ ومشربهِ الاَّ ما يتقمّمهُ من موضعهِ . فلما علمت منهُ ذلك جاءت الى غديرٍ فيهِ ضفادع كثيرة فشكت اليهنَّ ايضًا . فقالت الضفادع ما حيلتنا نحن في عظم الفيل واين نبلغ منهُ. قالت احب منكنَّ ان تصرنَ معي الى وَهدة قريبة منهُ فتنققنَ فيها وتضججنَ فانهُ اذا سمع اصواتكنَّ لم يشك في الماء فيهوي فيها . فاجبنها الى ذلك واجتمعنَ في الهاوية. فسمع الفيل نقيقَ الضفادع وقد اجهدهُ العطش . فاقبل حتى وقع في الهوَّة فاعتظم فيها .

فجاءت القبّرة ترفرف على راسهِ وقالت لهُ ايها الطاغي المغترّ بقوّتهِ المحتقر لقدري كيف رأيت عظم حيلتي مع صغر جثّتي عند عظم جثّتك وصغر همّتك

خِبٌّ ومُغفَّلٌ

وهو مثل من اضمر المكر فافتضح ولزم الامانة فنجح

زعموا ان خبًّا ومغفَّلاً اشتركا في تجارةٍ وسافرا معًا. فبينما هما في الطريق اذ تخلّف المغفّل لبعض حاجتهِ فعثر على كيس فيهِ الف دينار فاخذهُ على شعور من الخب. فلما رجعا الى بلدهما ودنوَا من المدينة قعدا لاقتسام المال. فقال المغفّل خذ نصفها واعطني النصف الآخر. وكان الخبُّ قد قرّر في نفسهِ ان يذهب بالالف كلهِ . فقال لهُ لا نقتسم فان الشركة والمفاوضة اقرب الى الصفا والمخالطة ولكن آخذ نفقة وتاخذ مثلها وندفن الباقي في اصل هذه الشجرة فهو مكان حريز فاذا احتجنا جئنا انا وانت فناخذ حاجتنا منهُ ولا يعلم بموضعنا احد. فاخذا منها يسيرًا ودفنا الباقي في اصل دوحة ودخلا المدينة. ثم ان الخبَّ خالف المغفّل الى الدنانير فاخذها راسًا وسوّى الارض كما كانت

وجاء المغفّل بعد ذلك باشهر فقال للخبّ قد احتجت الى نفقة. فانطلق بنا ناخذ حاجتنا. فقام الخبُّ معهُ وذهبا الى المكان فحفرا فلم يجدا شيئًا. فاقبل الخبُّ على وجههِ يلطمهُ ويقول لا تغترَّ بصحبة صاحب خالفتني الى الدنانير فاخذتها . فجعل المغفّل يحلف ويلعن آخذها ولا يزداد الخبُّ الاّ شدةً في اللطم . وقال ما اخذها غيرك وهل شعر بها احد سواك. ثم طال ذلك بينهما فترافعا الى القاضي. فاقتصّ قصّتهما . فادّعى الخب ان المغفّل اخذها وجحد المغفّل . فقال القاضي للخب أَلك على دعواك بيّنة . قال نعم الشجرة التي كانت الدنانير عندها تشهد لي ان المغفّل اخذها . وكان الخبُّ قد امر اباهُ ان يذهب فيتوارى في الشجرة بحيث اذا سُئل اجاب . فذهب ابو الخبّ ودخل جوف الشجرة . ثم ان القاضي لما سمع ذلك اكبرهُ وانطلق هو واصحابهُ والخب والمغفّل معهُ حتى وافى الشجرة فسألها

عن الخبر. فقال الشيخ من جوفها. نعم المغفَّل اخذها. فلما سمع القاضي ذلك اشتدَّ تعجبهُ. فدعا بحطب وامر ان تُحرَق الشجرة فاُضرِمت حولها النيران. فاستغاث ابو الخب عند ذلك فأُخرج وقد اشرف على الهلاك. فسألهُ القاضي عن القصة فاخبرهُ بالخبر. فاوقع بالخب ضربًا ولابيهِ صفعًا. وغرَّم الخبَّ الدنانير. فاخذها وأعطاها المغفَّل

ارنب واسد

وهو مثل من دفع المكروه برايهِ وحسن تدبيرهِ وحيلتهِ

زعموا ان اسدًا كان في ارض اريضة كثيرة مياهٍ وعشب. وكان فيها من الوحوش في سعة المياه والمرعى كثير. الَّا انهُ لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من اسدٍ كان مستبدًّا بالامر عليها. فاجتمعت اليهِ وقالت لهُ انك لتصيب منا الدابَّة بعد الجهد والتعب وقد رأينا لك رأيًا فيهِ صلاح لك وأمنٌ لنا. فان انت أمَّنتنا ولم تخفنا فلك علينا في كل يومٍ دابَّة نبعث بها اليك في وقت غدائك. فرضي الاسد بذلك وصالح الوحوش عليهِ. ووفين هنَّ لهُ الى ان اصابت القُرعة ارنبًا. فقالت للوحوش ان انتنَّ رفقتنَّ بي في ما لا يضرُّكنَّ رجوت ان اريحكنَّ من الاسد. فقلنَ وما الذي تكلفينا من الامور. قالت تأمرنَ الذي ينطلق بي الى الاسد ان يمهلني ريثما ابطئُ عليهِ بعض الابطاء. فقلنَ لها ذلك لكِ

فانطلقت الارنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذي كان يتغدَّى فيهِ الاسد. ثم تقدَّمت اليهِ وحدها رُوَيدًا وقد جاع وغضب. فقام من مكانهِ نحوها. فقال من اين اقبلتِ. قالت انا رسول الوحوش اليك بعثتني ومعي ارنب لك. فتبعني اسد في بعض تلك الطريق فاخذها مني غصبًا. وقال انا اولى بهذه الارض وما فيها من الوحوش. فقلت ان هذا غداء الملك ارسلت بهِ الوحوش معي اليهِ فلا تغصبنَّهُ. فسبَّك وشتمك. فاقبلتُ مسرعة اليك لاخبرك. فقال الاسد أَرِني زمني غاصب. انطلقي معي فأَريني موضع هذا الاسد. فانطلقت الى

جب فيهِ ماء غامر صافٍ. فاطّلعت فيهِ وقالت هذا المكان. فتطلّع الاسد فرأى ظلهُ وظلّ الارنب في الماء فلم يشك في قولها ثم وثب اليهِ ليقاتلهُ فغرق في الجب. فانقلبت الارنب الى الوحوش فاعلمتهنّ صنيعها بالاسد

حمامة وثعلب والملك الحزين

وهو مثل من يرى الراي لغيره ولا لنفسهِ

زعموا ان حمامة كانت تفرّخ في ذروة نخلة طويلة باسقة في السماء وكانت اذا شرعت في جمع عشها الى تلك الشجرة لا يتمّ لها ذلك الاّ بعد تعب ومشقّة لسحوق النخلة فاذا فرغت من الجمع باضت ثم حضنت بيضها فاذا فقّست وادركت فراخها جاءها ثعلب قد تعاهد ذلك منها لوقت علمهِ فيقف باصل تلك النخلة فيصيح بها ويتواعدها ان يرقى اليها فتلقي اليهِ فراخها . فبينما هي ذات يوم قد ادرك لها فرخان اذا بملك الحزين قد اقبل فوقع على النخلة. فلما رأى الحمامة كئيبة شديدة الهمّ. قال لها ما لي اراكِ يا حمامة كاسفة اللون سيئة الحال . فقالت لهُ يا مالك الحزين ان ثعلبًا دهيت بهِ كلما كان لي فرخان جاءني يتهددني ويصيح في اصل النخلة فافرق منهُ فاطرح اليهِ فرخيّ . فقال لها اذا اتاكِ المرة ليفعل ما تقولين فقولي لهُ لا القي فرخيّ فارقَ اليّ وغرّر بنفسك

فلمّا لقّنها هذه الحيلة طار فوقع على شاطئ نهر . فاقبل الثعلب في الوقت الذي عرف. فوقف تحتها ثم صاح بها كما كان يفعل . فاجابتهُ بما لقّنها ملك الحزين. فقال لها اخبريني من علّمكِ هذا فاخبرتهُ. فتوجّه حتى اتى ملك الحزين على شاطئ النهر فوجدهُ واقفًا. فقال لهُ يا ملك الحزين اذا اتتك الريح عن يمينك اين تجعل راسك . قال عن شمالي. قال فاذا اتتك عن شمالك. قال اجعلهُ عن يميني او خلفي. قال فاذا اتتك الريح من كل مكان وناحية اين تجعلهُ. قال تحت جناحي. قال وكيف تستطيع ان تجعلهُ تحت جناحك. ما اراهُ يتهيأ لك. قال بلى . قال أرِني كيف تصنع . فلعمري يا معشر الطير لقد فضّلكم الله علينا انكنّ

تدرين في ساعة واحدة مثل ما ندري نحن في سنة وتبلغنَ ما لا نبلغ وتدخلنَ رؤوسكنَّ تحت اجنحتكنّ من البرد والريح فهنيئاً لكنّ فاريني كيف تصنع. فادخل الطائر راسهُ تحت جناحهِ. فوثب عليهِ الثعلب مكانهُ. فاخذهُ فهزهُ هزةً دقّ بها فؤادهُ. ثم قال يا عدوّ نفسهِ ترى الراي للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها وتعجز عن مثل ذلك لنفسك حتى يستمكن منك عدوُّك. ثم قتلهُ واكلهُ

ارنب وصِفْرِد

وهو مثل من تخلّق بغير اخلاقهِ حتى حظي بمطلوبهِ

زعموا ان غراباً كان لهُ جارٌ من الصفاردة في اصل شجرة قريبة من وكرهِ. قال وكان يكثر مواصلتي . ثم فقدتهُ فلم اعلم اين غاب وطالت غيبتهُ عني حتى جاءت ارنب الى مكانهِ فسكنتهُ. فكرهت ان اخاصمها. فلبثت فيهِ زماناً . ثم ان الصفرد آب بعد مدّة فاتى منزلهُ فوجد الارنب قد تبوَّأتهُ . فقال لها هذا المكان لي فانتقلي عنهُ. قالت الارنب المسكن لي وتحت يدي وانما انت مدّعٍ بهِ فان كان لك حقٌ فاستعدِ عليَّ. قال الصفرد القاضي منا قريب فامضي بنا اليهِ. قالت الارنب ومَن القاضي . قال الصفرد ان بساحل البحر سنّوراً متعبّداً يصوم النهار ويقوم الليل كلهُ ولا يؤذي دابةً ولا يُهريق دماً عيشهُ من الحشيش وما يقذفهُ اليهِ البحر. فان احببتِ تحاكمنا اليهِ ورضينا بهِ. قالت الارنب ما ارضاني بهِ اذا كان كما وصفت. فانطلقا اليهِ فتبعتهما لانظر الى حكومة الصوّام القوّام

فلما بصر السنّور بالارنب والصفرد مقبلين نحوهُ انتصب قائماً يصلّي واظهر الخشوع والتنسُّك. فعجبا لما رأيا من حالهِ. ودنوَا منهُ هائبين لهُ وسلّما عليهِ وسألاهُ ان يقضي بينهما. فامرها ان يقصّا عليهِ القصة. ففعلا . فقال لهما لقد بلغني الكبر وثقلت اذناي فادنوَا مني فأسمعاني ما تقولان . فدنوَا منهُ واعادا عليهِ القصة وسألاهُ الحكم. فقال قد فهمت مقالتكما واستوعبت دعواكما وانا مبتدئكما بالنصيحة قبل الحكم وآمركما بالتقوى وان لا تطلبا الاَّ الحق . فان طالب الحق هو الذي

بفلح وان قُضي عليهِ وطالب الباطل مخصوم وان قُضي لهُ . وليس لصاحب الدنيا من دنياهُ شيءٌ لا مال ولا عمل سوى العمل الصالح يقدّمهُ . فذو العقل حقيق ان يكون سعيهُ في طلب ما يدوم ويعود عليهِ نفعهُ في الآخرة . وان يعرض عما سوى ذلك من امور الدنيا فان منزلة المال عند العاقل بمنزلة المدر ومنزلة الناس في ما يحب لهم من الخير ويكره من الشرّ بمنزلة نفسهِ . ثم انهُ لم يزل يقصُّ عليهما من جنس هذا واشباههِ حتى آنسا اليهِ واقبلا عليهِ ودنوَا منهُ كل الدنوّ فوثب عليهما فمزّقهما ايَّ ممزّق

ثُعبان وملك الضفادع

وهو مثل من تذلل لمن هو دونهُ تحصيلاً لبغيتهِ وفوزًا بمطلوبهِ

زعموا ان اسود من الحيّات كبر وضعف بصرهُ ووهنت قوّتهُ فلم يستطع صيدًا ولم يقدر على طعام . فانساب يلتمس شيئًا يعيش بهِ حتى انتهى الى عين كثيرة الضفادع قد كان يأتيها قبل ذلك فيصيب من ضفادعها . فرمى نفسهُ قريبًا مظهرًا الكآبة والحزن . فقال لهُ ضفدع مالي اراك ايها الاسود كئيبًا حزينًا . قال ومن احرى بطول الحزن مني . وقد كان اكثر معيشتي مما كنت اصيب من الضفادع فابتُليت ببلاءٍ حُرّم عليَّ من اجلهِ اكلهنّ حتى اني اذا لقيت بعضها لا اقدر على امساكهِ . فانطلق الضفدع الى ملك الضفادع فبشّرهُ بما سمع من الاسود . فاتى الثعبان فقال لهُ كيف كان من امرك . قال سعيت منذ ايام في طلب ضفدع عند المساء فاضطررتهُ الى بيت ناسك ودخلت في اثرهِ في الظلمة وفي البيت ابن للناسك . فاصبت اصبعهُ فظننت انها الضفدع فلدغتهُ فمات فانسبت هاربًا . فتبعني الناسك في اثري ودعا عليَّ ولعنني وقال كما قتلت ابني البريء ظلمًا وتعدّيًا كذلك ادعو عليك ان تذلّ وتصير مركبًا لملك الضفادع فلا تستطيع اخذها ولا اكل شيءٍ منها الَّا ما يتصدّق عليك بهِ ملكها فاتيتك لتركبني مقرًّا بذلك راضيًا . فرغب ملك الضفادع في ركوب الاسود وظنّ ذلك فخرًا لهُ

وشرفًا. فركبهُ واستطاب لهُ ذلك. فقال لهُ الاسود قد علمت ايها الملك اني محروم فاجعل لي رزقًا راتبًا اعيش بهِ. قال ملك الضفادع. لعمري لا بدَّ لك من رزق يقوم بك اذ كنت مركبي. فامر لهُ بضفدعين يُؤْخَذَان في كل يوم ويُدفعان اليهِ

أسد وذئب وغراب وابن آوى وجمل

وهو مثل من يعاشر من لا يشاكلهُ حتى يهلك نفسهُ

زعموا ان اسدًا كان في اجمة مجاورًا لاحد الطرق المسلوكة. وكان لهُ اصحاب ثلثة ذئب وغراب وابن آوى. وان رعاة مرُّوا بذلك الطريق ومعهم جمال. فتخلَّف منها جمل فدخل تلك الاجمة حتى انتهى الى الاسد. فقال لهُ ابو فراس من اين اقبلت. قال من موضع كذا. قال فما حاجتك. قال ما يامرني بهِ الملك. قال نقيم عندنا في السعة والأمن والخصب. فلبث عندهُ زمانًا طويلاً. ثم ان الاسد مضى في بعض الايام لطلب الصيد فلقي فيلاً عظيمًا فقاتلهُ قتالاً شديدًا واقلت منهُ مُثقلاً مثخنًا بالجراح يسيل منهُ الدم وقد انشب الفيل فيهِ انيابهُ فلم يكد يصل الى مكانهِ حتى رزح لا يستطيع حراكًا وحرم طلب الصيد. فلبث الذئب والغراب وابن آوى ايامًا لا يجدون طعامًا. لانهم كانوا ياكلون من فضلات الاسد وفواضلهِ فاجهدهم الجوع والهزال. وعرف الاسد ذلك منهم فقال لقد جُهدتم واحتجتم الى ما تاكلون. فقالوا انهُ لا تهمّنا انفسنا لكننا نرى الملك على ما نراهُ فليتنا نجد ما ياكلهُ ويصلح بهِ. قال الاسد ما اشكُّ في نصيحتكم ولكن انتشروا لعلكم تصيبون صيدًا فاكسبكم ونفسي منهُ. فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الاسد فتنحَّوا ناحيةً وائتمروا فيما بينهم وقالوا ما لنا ولهذا الآكل العشب الذي ليس شانهُ من شاننا ولا رايهُ من راينا. ألا نزيّن للاسد فياكلهُ ويطعمنا من لحمهِ. قال ابن آوى هذا ما لا نستطيع ذكرهُ للاسد لانهُ قد آمَن الجمل وجعل لهُ من ذمتهِ. قال الغراب انا اكفيكم الاسد

ثم انطلق فدخل على الاسد. فقال لهُ هل اصبتم شيئًا. قال الغراب انما

يصيب من يسعى ويبصر. ونحن فلا سعيَ لنا ولا بصرَ لما بنا من الجوع ولكن قد وُفقنا لراي واجتمعنا عليهِ فان وافقنا الملك فنحن لهُ مجيبون. قال الاسد وما ذاك قال الغراب هذا الجمل آكل العشب المتمرّغ بيننا من غير منفعة لنا منهُ ولا ردّ عائدة ولا عمل يعقب مصلحة. فلما سمع الاسد ذلك غضب وقال ما اخطأ رايك وما اعجز مقالك وابعدك من الوفاء والرحمة وما كنت حقيقًا ان تجترئ عليَّ بهذه المقالة وتستقبلني بهذا الخطاب مع ما علمت اني قد امّنت الجمل وجعلت لهُ من ذمتي أَوَلم يبلغك انهُ لم يتصدّق متصدّق بصدقة هي اعظم اجرًا ممن امّن نفسًا خائفة وحقن دمًا مهدورًا وقد امّنتهُ ولست بالغادر بهِ. قال الغراب اني لاعرف ما يقول الملك. ولكن النفس الواحدة يُفتدَى بها اهل البيت. واهل البيت تُفتدَى بهم القبيلة. والقبيلة يُفتدى بها اهل المصر. واهل المصر فدى الملك. وقد نزلت بالملك الحاجة. وانا اجعل لهُ من ذمتهِ مخرجًا على ان لا يتكلّف ذلك ولا يليهِ بنفسهِ ولا يأمر بهِ احدًا ولكننا نحتال عليهِ بحيلة لنا وللملك فيها صلاح وظفر. فسكت الاسد عند جواب الغراب عن هذا الخطاب

فلما عرف الغراب اقرار الاسد اتى اصحابهُ فقال لهم قد كلّمت الاسد في اكلهِ الجمل على ان نجتمع نحن والجمل لدى حضرتهِ فنذكر ما اصابهُ ونتوجّع لهُ اهتمامًا منا بامرهِ وحرصًا على صلاحهِ ويعرض كل واحد منا نفسهُ عليهِ فيردهُ الآخران ويُسفّه رايهُ ويبيّن الضرر في اكلهِ. فاذا فعلنا ذلك سلمنا كلنا ورضي الاسد عنا. ففعلوا ذلك وتقدّموا الى الاسد. فقال الغراب قد احتجت ايها الملك الى ما يقوّيك ونحن احقُّ ان نهب انفسنا لك فانَّا بك نعيش. فاذا هلكت فليس لاحد منا بقاء بعدك ولا لنا في الحياة من خيرة فليأكلني الملك فقد طبت بذلك نفسًا. فاجابهُ الذئب وابن آوى ان اسكت فلا خير للملك في اكلك وليس فيك شبع. قال ابن آوى لكن انا اشبع الملك فليأكلني فقد رضيت بذلك وطبت عنهُ نفسًا. فردّ عليهِ الذئب والغراب بقولهما انهُ انك منتن قذِر. قال الذئب انا لست كذلك فليأكلني الملك عن طيب نفس مني واخلاص طويّة. فاعترضهُ الغراب

وابن آوى وقالا . قد قالت الاطباء من اراد قتل نفسهِ فلياكل لحم ذئب . فظن الجمل انهُ اذا عرض نفسهُ على الاكل التمسوا لهُ عذرًا كما التمس بعضهم لبعض فيسلم ويرضى عنهُ الاسد . فقال لكن انا فيَّ للملك شبعٌ وريٌّ ولحمي طيّبٌ هنيءٌ وبطني نظيف فلياكلني الملك ويطعم اصحابهُ وخدمهُ فقد سمحت بذلك طوعًا ورضًى . فقال الذئب والغراب وابن آوى لقد صدق الجمل وتكرَّم وقال ما درى . ثم انهم وثبوا عليهِ ومزَّقوهُ

قرد وغيلم

وهو مثل من يطلب الحاجة فاذا ظفر بها اضاعها

زعموا ان قردًا يُقال لهُ ماهر كان ملك القردة وكان قد كبر وهرم . فوثب عليهِ قردٌ شابٌّ من بيت المملكة فتغلَّب عليهِ واخذ مكانهُ . فخرج هاربًا على وجههِ حتى انتهى الى الساحل . فوجد شجرة تين فارتقى اليها واتخذها لهُ مقامًا . فبينما هو ذات يوم ياكل من ثمرها اذ سقطت من يدهِ تينة في الماء فسمع لها صوتًا وايقاعًا . فجعل ياكل ويرمي في الماء فاطربهُ ذلك فاكثر من تطريح التين فيهِ وكان ثمَّ غيلم كلما وقعت تينة اكلها . فلما كثر ذلك ظن ان القرد انما يفعل ذلك لاجلهِ فرغب في مصادقتهِ وانس اليهِ وكلمهُ وأَلِف كل واحد منهما صاحبهُ

وطالت غيبة الغيلم عن زوجتهِ . فجزعت عليهِ وشكت ذلك الى جارة لها وقالت قد خفت ان يكون عرض لهُ عارض سوءٍ فاغتالهُ . فقالت لها ان زوجكِ بالساحل قد الف قردًا وألفهُ القرد فهو مؤَاكلهُ ومشاربهُ ومجالسهُ . ثم ان الغيلم انطلق بعد مدَّة الى منزلهِ فوجد زوجتهُ سيئة الحال مهمومة . فقال لها مالي اراكِ هكذا . فاجابتهُ جارتها ان قرينتك مريضة مسكينة وقد وصفت لها الاطباء قلب قرد وليس لها دواءٌ سواهُ . قال هذا امر عسير من اين لنا قلب قرد ونحن في الماء ولكن ساشاور صديقي ثم انطلق الى ساحل البحر

فقال لهُ القرد يا اخي ما حبسك عني . قال لهُ الغيلم ما ثبَّطني عنك الاَّ

حياتي . كيف اجازيك على احسانك اليّ وانما اريد الآن ان تتمّ هذا الاحسان بزيارتك لي في منزلي فاني ساكن في جزيرة طيّبة الفاكهة كثيرة الاثمار فاركب ظهري لاسبح بك. فرغب القرد في ذلك ونزل فامتطى مطا الغيلم حتى اذا سبح به ما سبح عرض له قبح ما اضمر في نفسه من الغدر فنكس راسه. فقال له القرد مالي اراك مهتمًّا . قال الغيلم انما همّي لاني ذكرت ان قرينتي شديدة المرض وذلك يمنعني عن كثير مما اريد ان ابلغكهُ من الاكرام والالطاف . قال القرد ان الذي اعتقد من حرصك على كرامتي يكفيك مؤْنة التكلف . قال الغيلم أجل ومضى بالقرد ساعة ثم توقّف به ثانية . فساء ظن القرد وقال في نفسه ما احتباس الغيلم وبطؤُهُ الاّ لامر ولست آمنًا ان يكون قلبه قد تغيّر عليّ وحال عن مودّتي فاراد بي سوءًا . فانهُ لا شيء اخف واسرع تقلّباً من القلب . ويُقال ينبغي للعاقل ان لا يغفل عن التماس ما في نفس اهله وولده واخوانه وصديقه عند كل امر وفي كل لحظة وكلمة وعند القيام والقعود وعلى كل حال . وانهُ اذا دخل قلب الصديق من صديقه ريبة فلياخذ بالحزم في التحفظ منهُ وليتفقّد ذلك في لحظاته وحالاته . فان كان ما يظنُّ حقًّا ظفر بالسلامة وان كان باطلاً ظفر بالحزم ولم يضرّهُ

ثم قال للغيلم ما الذي يحبسك ومالي اراك مهتمًّا كانك تحدّث نفسك مرةً اخرى. قال يهمني انك تاتي منزلي فلا توافي امري كما احبُّ لان زوجتي مريضة. قال القرد لا تهتمّ فان الهم لا يغني عنك شيئًا ولكن التمس ما يصلح زوجتك من الادوية والاغذية فانهُ يُقال ليبذل ذو المال مالهُ في ثلاثة مواضع. في الصدقة. وفي وقت الحاجة . وعلى الزوجة . قال الغيلم صدقت . وانما قالت الاطباء انهُ لا دواء لها الاّ قلب قرد . فقال القرد في نفسه واسوءتاهُ لقد ادركني الحرص والشره على كِبَر سني حتى وقعت في شرّ مورّط . ولقد صدق الذي قال يعيش القانع الراضي مستريحًا مطمئنًا وذو الحرص والشره يعيش ما عاش في تعب ونَصَب. واني لقد احتجت الآن الى عقلي في التماس المخرج مما وقعت فيه. ثم قال

للغيلم وما منعك ان تعلمني حتى كنت احمل قلبي معي . وهذه سنّة فينا معاشر القردة اذا خرج احدنا لزيارة صديق له خلّف قلبه عند اهله او في موضعهِ لننظر اذا نظرنا الى حرم المزور وما قلوبنا معنا . قال الغيلم واين قلبك الآن. قال خلّفته في الشجرة فان شئت فارجع بي اليها حتى آتيك به . ففرح الغيلم بذلك ورجع بالقرد الى مكانهِ. فلما قارب الساحل وثب القرد عن ظهرهِ فارتقى الشجرة فلما ابطأ على الغيلم ناداهُ يا خليلي احمل قلبك وانزل فقد عنّيتني . فقال القرد هيهات أتظنّ اني كالحمار الذي زعم ابن آوى انهُ لم يكن له قلب ولا اذنان. قال الغيلم وكيف كان ذلك

قال القرد زعموا انه كان اسدٌ في اجمة ومعهُ ابن آوى يأكل من فواضل طعامهِ. فاصاب الاسد جرب وضعف شديد فلم يستطع الصيد . فقال له ابن آوى ما بالك يا سيّد السباع قد تغيّرت احوالك . قال هذا الجرب الذي قد اجهدني وليس له دواءٌ الاّ قلب حمار واذناهُ . قال ابن آوى ما ايسر هذا وقد عهدت بمكان كذا حمارًا مع قصّار يحمل عليهِ ثيابهُ فانا آتيك بهِ ثم دلف الى الحمار فاتاهُ وسلّم عليهِ . فقال له مالي اراك مهزولاً. قال ما يطعمني صاحبي شيئًا. فقال له وكيف ترضى المقام معهُ على هذا . قال فما لي حيلة ولست اذهب اليهِ فلست اتوجه وجهةً الاّ اضرّ بي انسان فكدّني واجاعني. قال ابن آوى فانا ادلّك على مكان معزول عن الناس لا يمرّ بهِ انسان خصب المرعى . قال الحمار وما يحبسنا عنهُ. انطلق بنا اليهِ. فانطلق بهِ ابن آوى نحو الاسد وسبق ودخل الغابة فاخبرهُ بمكان الحمار. فخرج الاسد اليهِ واراد ان يثب عليهِ فلم يستطع لضعفهِ وتخلّص الحمار منهُ فافلت على وجههِ. فلما رأى ابن آوى ان الاسد لم يقدر على الحمار قال له أعجزت يا سيّد السباع الى هذه الغاية . فقال له ان جئتني بهِ مرةً اخرى فلن ينجو مني ابدًا. فمضى ابن آوى الى الحمار. فقال له ما الذي جرى عليك ان الذي رأيتهُ كان صاحبًا اقبل ليحيّيك ولو ثبتّ لنلت حظًّا. فاخذ طريقهُ ثانيةً الى الاجمة. فسبقهُ ابن آوى الى الاسد واعلمهُ بمكانهِ وقال له استعدّ له فقد خدعته لك

فلا يدركنّك الضعف النوبة فانهُ ان افلت فلن يعود ابدًا. فجاش جاشُ الاسد لتحريض ابن آوى لهُ وخرج. فلما بصر بالحمار عاجلهُ بوثبة افترسهُ فيها. ثم قال قد ذكرت الاطباء انهُ لا يُؤكل الاَّ بعد الغسل فاحتفظ بهِ حتى اعود فآكل قلبهُ واذنيهِ واترك ما سوى ذلك قوتًا لك. فلما ذهب الاسد ليغتسل عمد ابن آوى الى الحمار فآكل قلبهُ واذنيهِ رجاء ان يتطيَّر الاسد منهُ فلا يأكل منهُ شيئًا. ثم ان الاسد رجع الى مكانهِ وقال لابن آوى اين قلب الحمار واذناهُ. قال ابن آوى ألم تعلم انهُ لو كان لهُ قلب واذنان لم يرجع اليك بعد ما افلت ونجا من الهلكة

وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم اني لست كذلك الحمار الذي زعم ابن آوى انهُ لم يكن لهُ قلب واذنان. ولكنك احتلت عليَّ وخدعتني فخدعتك بمثل خدعتك واستدركت فارط امري. وقد قيل الذي يفسدهُ الحلم لا يصلحهُ الاَّ العلم. قال الغيلم صدقت. الاَّ ان الرجل الصالح يعترف بزلَّتهِ واذا اذنب ذنبًا لم يستحي ان يُؤدَّب وان وقع في ورطة امكنهُ التخلص منها كالرجل الذي يعثر على الارض وعلى الارض ينهض ويعتمد. فهذا مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فاذا ظفر بها اضاعها

صائغ وحيَّة وقرد وببرٌ

وهو مثل من يضع المعروف في غير اهلهِ

زعموا ان جماعة احتفروا ركيَّةً فوقع فيها صائغ وقرد وحية وببر ومرَّ بهم رجل سائح فاشرف على الركيَّة فبصر بالرجل والحية والقرد والببر. فقال في نفسهِ لست اعمل لآخرتي عملاً افضل من ان اخلص هذا الرجل من بين هؤلاء الاعداء فاخذ حبلاً وادلاهُ في البئر فتعلَّق بهِ القرد لخفتهِ فخرج. ثم دلاَّهُ ثانيةً فالتفَّت عليهِ الحية فخرجت. ثم دلاَّهُ ثالثةً فتعلَّق بهِ الببر فاخرجهُ. فشكرنَ لهُ صنيعهُ وقلنَ لهُ لا تخرج هذا الرجل من الركيَّة فانهُ لا شيء اقلُّ شكرًا من الانسان. ثم هذا الرجل خاصةً. ثم قال لهُ القرد ان منزلي في جبل قريب من مدينة يُقال لها

نوادرخت. فقال له الببر انا ايضًا في اجمة الى جانب المدينة . وقالت الحية انا ايضًا في سور تلك المدينة. فان انت مررت بنا يومًا من الدهر واحتجت الينا فصوّت علينا حتى نأتيك فنجزيك بما اتيت الينا من المعروف. فلم يلتفت السائح الى ما ذكروا له من قلة شكر الانسان ودلّى الحبل فاخرج الصائغ. فسجد له وقال لقد اوليتني معروفًا جسيمًا. فان اتيت يومًا من الدهر مدينة نوادرخت فاسأل عن منزلي فانا رجل صائغ لعلي اكافئك بما احسنت اليّ. ثم ان الصائغ انطلق الى مدينته وتوجه السائح وجهته

فعرض بعض ذلك ان السائح عنّ له حاجة بتلك المدينة فذهب اليها. فصادفه القرد فسجد له وقبّل رجليه واعتذر اليه وقال ان معشر القرود لا يملكون شيئًا ولكن اقعد حتى آتيك . ثم انطلق فاتاه بفاكهة طيّبة ووضعها بين يديه . فاكل السائح منها حاجته حتى دنا من باب المدينة . فاستقبله الببر فخرّ له ساجدًا وقال له انك قد خوّلتني معروفًا فاطمئنّ ساعة حتى آتيك. فانطلق الببر فدخل في بعض تلك الحيطان الى بنت الملك فقتلها واخذ حليها واتاه به من غير ان يعلم السائح من اين هو. فقال في نفسه هذه البهائم قد اولتني هذا الجزاء فكيف لو اتيت الصائغ فانه ان كان معسرًا لا يملك شيئًا فسيبيع هذا الحلي فيستوفي ثمنه فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه وهو اعرف بثمنه. فانطلق السائح فاتى الى الصائغ . فلما رآه رحب به وادخله الى بيته . فلما بصر بالحلي معه عرفه وكان هو الذي صاغه لابنة الملك . ثم قال له اطمئنّ حتى آتيك بطعام فلست ارضى لك ما في البيت. ثم خرج وهو يقول قد اصبت فرصتي. انطلق الى الملك وادله على ذلك فحسن منزلتي عنده. فمضى الى باب الملك فارسل اليه ان الذي قتل بنتك واخذ حليها عندي . فارسل الملك واتى بالسائح. فلما نظر الى الحلي لم يمهله وامر به ان يعذّب ويُطاف به في المدينة ثم يُصلب

فلما انطلقوا به جعل يبكي ويقول باعلى صوته لو اني اطعت القرد والحية والببر في ما اشرن به عليّ من قلة شكر الانسان لم يصر امري الى هذا البلاء .

وجعل يكرر هذا القول. فسمعت مقالته تلك الحية. فخرجت من جحرها فعرفته فاشتد عليها خطبه وفكرت في خلاصه حتى فتنت لها الحيلة ان تنطلق وتلدغ ابن الملك. فلما فعلت ذلك دعا الملك باهل العلم فرقوه ليشفوه فلم يغنوا عنه شيئًا. وكان قد أُلقي في روع ابن الملك انه لا يبرأ حتى يرقيه السائح. فذهبت الحية في غضون ذلك الى السائح المظلوم واعطته ورقًا ينفع من سمها. وقالت له اذا جاءوا بك لترقي ابن الملك فاسقه من ماء هذا الورق يبرأ. واذا سألك الملك عن حالك فاصدقه. فدعا الملك بالسائح وامره بان يرقي ولده. فقال له اني لا أُحسن الرقى ولكني اسقيه من ماء هذه الورقة فابرئه باذن الله تعالى. فسقاه فبرئ الغلام. ففرح الملك بذلك وسأله عن قصته. فقصها عليه. فشكره واجزل له العطية وامر بالصائغ ان يُصلب. فصُلب لكذبه وانحرافه عن الحق ومجازاته الجميل بالقبيح

ساعة

وهو مثل من يمنعه التفكر في مستقبل الامر عن الانتفاع بالحاضر

حُكي ان ساعة قديمة كانت مركوزة في مطبخ احد الدهاقنة مدة خمسين سنة من دون ان يبدو منها ادنى سبب يكدّره. غير انها في صبيحة ذات يوم من ايام الصيف وقفت عن الحركة قبل ان تستيقظ اصحاب المحل. فتغيّر منظر وجهها بسبب ذلك ودُهش وبذلت العقارب جهدها وودّت لو تبقى على حالة سيرها الاولى وغدت الدواليب عديمة الحركة لما شملها من التعجب واصبح الثقل واقفًا لا يبدي ولا يعيد. ورامت كل آلة ان تحيل الذنب على اختها وطفق الوجه يبحث عن سبب هذا الوقوف. وبينا كانت الدواليب والعقارب تبرّئ نفسها باليمين اذا بصوت خفي سُمع من الدقّاق باسفل الساعة يقول هكذا. اني اقرّ على نفسي باني انا كنت علّة هذا الوقوف وسأُبين لكم سبب ذلك لسكوتكم واقناعكم اجمعين والحق اقول اني مللت من الدق

فلما سمعت الساعة مقالته كادت تتميز من الغيظ. وقال له الوجه وهو رافع يديه تبًا لك من سلك ذي كسل . فاجابه الدقاق لا بأس بذلك يا سيدي الوجه . لا جرم انك ترضيك هذه الحال اذ قد رفعت على نفسك كما هو معلوم لدى الجميع وانه يسهل عليك ان تدعو غيرك كسلاً وتنسبه الى التواني فانك قد قضيت عمرك كله بغير شغل ولم يكن لك فيه من عمل الا التحديق في وجوه الناس والانشراح برؤية ما يحدث في المطبخ . أرأيتك لو كنت مثلي في موضع ضنك مظلم كهذا وتجيز حياتك كلها بين مجيء وذهاب يومًا بعد يوم وعامًا بعد عام. فقال له الوجه أوليس في موضعك طاقة تنظر منها . فقال الدقاق بلى ولكنها مظلمة. على انه وان تكن لي طاقة فلا اتجاسر على التطلع منها حيث لا يمكن لي الوقوف ولو طرفة عين. والحاصل اني مللت هذه الحال وان استزدتني شرحًا فاني اخبرك بما سبب لي الضجر من شغلي وذاك اني حسبت في صباح هذا اليوم كمية المرار التي اغدو واروح فيها مدة اربع وعشرين ساعة فعظم ذلك عليَّ. وقد يمكن تحقيق ذلك بمعرفة احد الجلوس الذين فوق

فبادر عقرب الدقائق الى العدد وقال بديهًا ان عدة المرار التي ينبغي لك فيها المجيء والذهاب في هذه المدة الوجيزة انما تبلغ ستًا وثمانين الفًا واربع مئة مرة. فقال الدقاق هو هكذا فهل (والحالة هذه وقصتي قد رُفعت لكم) يخال ان مجرّد التفكر في هذا العمل لا يوجب عناء وتعبًا لمن يعانيه . على اني حين شرعت في ضرب دقائق ذلك اليوم في مستقبل الشهور والاعوام زالت مني قوّتي ووهن عظمي وعزمي وما ذلك بغريب وبعد تخيّلات شتّى عمدت الى الوقوف كما ترونني

فكاد الوجه في اثناء هذه المكالمة ان لا يتمالك عنه ولكنه كظم غيظه وخاطبه بحلم وقال . يا سيدي الدقاق العزيز اني لفي تعجب عظيم من انغلاب شخص فاضل نظيرك لمثل هذه الوساوس بغتةً . نعم انك وُليت في عمرك اعمالاً جسيمة كما عملنا نحن كلنا ايضًا. وان التفكر في هذه الاشغال وحده يوجب العناء . غير اني اظن مباشرتها ليست كذلك فالتمس منك ان تُسدي اليَّ معروفك بان تدق الآن

ست دقات لينضح مصداق ما قلت

فرضي الدقاق بهذا ودق ست دقات جريًا على عادتهِ. فقال لهُ الوجه حينئذٍ هل ابدى لك ما باشرتهُ الآن نصبًا وتعبًا . فقال الدقاق كلاَّ فان مللي وتضجري لم ينشأ عن ست دقات ولا عن ستين دقة بل عن الوف والوف الوف. فقال لهُ الوجه صدقت. ولكنهُ ينبغي لك ان تعلم هذا الامر الضروري وهو انك حين تفكر في هذه الالوف بلحظة واحدة . فان الذي يجب عليك منها انما هو مباشرة دقة واحدة لا غير. ثم مهما لزمك بعدهُ من الدق يُفسَح لك في أَجَل لا تمامهِ

فقال الدقاق اشهد ان كلامك هذا احاك فيَّ واما لني . فقال الوجه عسى بعد ذلك ان نعود باجمعنا الى ما كنا عليهِ من العمل لاننا اذا بقينا كذلك يظل اهل المنزل مستغرقين في النوم الى الظهر

ثم ان الاثقال التي لم تكن وُصِفت قط بالخفة ما برحت تغري الدقاق على الشغل حتى اخذ في مباشرة خدمتهِ كما كان وحينئذٍ شرعت الدواليب في الدوران وطفقت العقارب تسير. حتى اذا ظهر شعاع الشمس في المطبخ المُغلَق من كوَّة فيهِ امتلأ الوجه ضياء وانجلى تعبيسهُ كأن لم يكن شيء ما كان

فامَّا صاحب المنزل فلما نزل الى المطبخ ليفطر فيهِ نظر الى الساعة المركوزة فقال. ان الساعة التي بجيبي تأخرت في السير ليلاً بقدر ثلاثين دقيقة

مغفَّلٌ

كان بعض المغفَّلين سائرًا وبيدهِ مِقْوَد حمارهِ وهو يجرُّهُ خلفهُ. فنظرهُ رجلان من الشطَّار. فقال احدهما لصاحبهِ انا آخذ هذا الحمار من هذا الرجل . قال لهُ كيف تاخذهُ . قال اتبعني فأُريك. فتبعهُ. وتقدَّم ذلك الشاطر الى الحمار وفكَّ منهُ المقود واعطاهُ لصاحبهِ. وجعل المقود في راسهِ ومشى خلف المغفَّل حتى علم ان صاحبهُ ذهب بالحمار. ثم وقف. فجرَّهُ المغفَّل فلم يمشِ. فالتفت اليهِ فرأى ان المقود في راس رجل. فقال لهُ ايُّ شيء انت. قال انا حمارك ولي حديث عجيب

وهو انهُ كان لي والدة عجوز صالحة فذهبت اليها في بعض الايام وانا سكران . فقالت لي يا ولدي تبْ عن هذه المعاصي. فاخذت العصا وضربتها بها فدعت عليَّ فمُسخت حمارًا وأُوقعت في يدك . فكثت عندك هذا الزمان كلهُ . فلما كان اليوم تذكَّرتني امي وحنَّ قلبها عليَّ فدعت لي فأُعِدت آدميًّا كما كنت

فقال الرجل ارجوك يا اخي ان تجعلني في حلّ مما فعلت بك من الركوب وغيرهِ . ثم خلّى سبيلهُ فمضى. ورجع صاحب الحمار الى دارهِ وهو سكران من الهمّ والغمّ . فقالت لهُ زوجتهُ ما الذي دهاك واين الحمار. فقال لها انتِ ما عندكِ خبر بامر الحمار فانا اخبركِ بهِ. ثم حكى لها الحكاية . فقالت يا ويلتنا كيف مضى لنا هذا الزمان كلهُ ونحن نستخدم بني آدم. ثم تصدَّقت واستغفرت وجلس الرجل في الدار مدَّةً من غير شغل . فقالت لهُ زوجتهُ الى متى هذا القعود في البيت من غير شغل امضِ الى السوق واشترِ حمارًا واشتغل عليهِ . فمضى الى السوق ووقف ينظر الى الحمير فاذا هو بحمارهِ يُباع . فلما عرفهُ تقدَّم اليهِ ووضع فمهُ على اذنهِ. وقال لهُ . ويلك يا مشئوم ألعلَّك رجعت الى السكر وضربت امك . واني ما عدتُ لأشتريك

كرديٌّ

كان كرديٌّ من جبال العادية ذا حذق بتربية الحمير وهو مفرط بأكل الحلواء. وكان من التغفّل على جانب عظيم. وكان عندهُ حمار يكدُّهُ في الصيف. ثم اذا جاء الشتاء يريحهُ وتنفسهُ منهُ. واتفق دخول العيد الكبير عامئذٍ في شتاء عارم . فلما قرب اشارت عليهِ زوجتهُ بان ياخذ بعض ما كانت هيأتهُ من الغزل ويبيعهُ في الموصل ويشتري بثمنهِ مطعومًا وملبوسًا لاولادهِ

فهمَّ بذلك ثم تقاعد طمع الاصطلاء والتدفّي على النار وخوف معاناة الثلج والمطر. وقال لها ان الحمار يقوم مقامي في هذا لانهُ خبير بالطرق وقد ذهب وحدهُ الى ذلك المحل غير مرة بل كثيرًا ما كان يذهب الى باب الجسر حين كان

يبلغ منهُ العطش فيشرب ويتمرغ ثم يعود. فسرّت زوجتهُ بما قال لراحتهِ ولاطّلاعها على ترقّي الحمار في المعارف وتاثير التربية فيهِ ولكونهِ صار كزوجها في بعض الاحوال. فقالت لهُ ان كان الامر على ما تقول فارسل رسولك والزم المدخنة بجانبي ودخّن. فلما كان من الغد قام الكردي وشدَّ على الحمار ووضع عليهِ اعدال الغزل واحسن ربطها. ثم اخرجهُ عن البلد وسدّدهُ الى الطريق وضربهُ بمحجن لهُ وقال امضِ توًّا الى المدينة واقصد فيها بوزو البقّال صديقي. وبعد ان تبلغهُ السلام مني سلّمهُ حمل الغزل واخبرهُ باني شغلني شاغل عن زيارة دكانهِ. فليقبل عذري ويتسلّم منك الحمل

فلما فرغ من وصيتهِ وكان الحمار قد طأطأ براسهِ مخافة ان يضربهُ مرةً اخرى ظنّ انهُ قد امتثل لمقالتهِ فانصرف عنهُ. فاقبل الحمار يجري على وجههِ وهو يقول لهُ حسبك ما سمعت من الوصية فما في الاعادة افادة. ثم رجع الى منزلهِ مستبشرًا بنجاح غايتهِ وسرعة عود مُرسَلهِ. وجلس جلسة مَنْ طَرِبَ لبلوغ أرَب او صبا لسماع طَرَب واخذ عود التبغ بيدهِ كما كان

هذا ما كان منهُ فاما ما كان من الحمار فانهُ لم يلبث ان صادفهُ احد المارّين فلما رآهُ مستقلاً بالبضاعة وحدهُ اغتنم الفرصة واخذهُ. فلما ازف وقت العيد صارت المرأة تلحُّ على زوجها بتهيئة لوازم العيد وحوائج البيت وتقول لهُ قد أبق الحمار ولم يوفِ بالوعد. ولعلهُ طمع في الغزل فباعهُ واشترى بهِ حلواء والزم الموصل يتبجح في منتزهاتها فنسي ما نحن فيهِ من الاحتياج ونبذ الوصية وراء ظهرهِ. فقال الكردي لقد ذكرتِ فابلغتِ انهُ لكما تقولين. لانهُ كان كلما مرّ بدكان يُباع فيهِ الخبز والحلواء بالموصل يقف عندهُ ويرنو اليهِ. فلما انقضت ايام العيد ولم يرجع الحمار. قالت زوجتهُ الآن ينبغي ان تذهب في اثرهِ. وكما تدخل البلد تعاتب صديقنا الحميم البارد بوزو على حبسهِ الحمار عنا وتتسلم ثمن الغزل منهُ او من الحمار واسرع الكرّة علينا. فقام الكردي يخطر مرحًا وتناول رشمةً بيسراهُ وهراوةً بيمناهُ وانطلق الى الموصل. فكان يسأل كل من يمرُّ بهِ في الطريق عن ضالّتهِ. فيقولون لهُ تهكمًا ان

حمارك قد وُلّي القضاء . فخامرهُ الريب اولاً في ما قالوا لمّا انهُ كان يعلم ان الحمار لم يتفقّه على احد فضلاً عن مطالعة النحو بجامع النبي جرجس . فانّى له هذا . اللهمّ الاّ ان يكون السعد اعانهُ على ذلك حتى انتهى الى بوزو . فما كان منهُ الاّ ان اخذ يلومهُ على تثبيط الحمار . فقال له ومتى كان ذلك وما شأنك والحمار . فاخبرهُ بما جرى . فلما رأى بوزو هراوتهُ واعلنباءهُ للشر كرِه ان يخطئهُ في ما فعل . فقال له صدق من اخبرك بقضيتهِ . فما صدّق ان اتمّ الكلام حتى اقبل يجري وراء الحمار . فمرّ بالجامع وكان المؤذّن اذ ذاك آخذًا في الاذان وهو اعور . فلما سمعهُ يكبّر باعلى صوت ايقن بانهُ المشار اليهِ . فناداهُ قائلاً ألم يكن لك عندي في الجبال التي كنت اصعدك اليها محل اشرف واعلى من شعفتك هذه حتى رقيتها الآن تضجر الخلق بزعيقك وتبوح لهم بالنجوى . فلما لم يجب على ذلك جاش جاشهُ وارتقى المنارة بحميّة وتناول المؤذّن من عنقهِ وادخل الرشمة في راسهِ . وجعل يجرّرهُ على الدرج حتى بلغ بهِ الحضيض فتلّهُ برشمتهِ

فاقبلت الناس ليفرقوا بينهما . فقال لهم هذا حماري شرعًا . فمن مارآني فيهِ فليذهب الى بوزو . فقالوا له ان مقطع الحق انما هو عند الحاكم الشرعي . فهلمّ معنا اليهِ . فسار معهم وعرض دعواهُ على الحاكم . فلما رأى القاضي سُخف عقلهِ وانهُ ان حكم له او عليهِ ربما اثارهُ على البطش باحد مسلّي البلد الذين ينتابون الجبال جمع له من الدراهم نحو عشرين دينارًا وارضاهُ بها على ان يعدي عن دعواهُ فاخذها وهو مبدئٌ علامات سرور الظفر

فمرّ برجل خارج البلد يبيع بطيخًا . فقال له ما هذه الرؤوس التي امامك هل عوّضتها عن حمير ضلّت لك وما فائدتها . فقال له وقد توسّم في وجههِ الحماقة هذه بيض تلد خيل البحر . فسأله بكم ثمن الواحدة . قال وما مقدار ما معك . قال عشرون دينارًا . قال سبحان من قدّر كل شيء واحصاهُ حسابًا ان هذا القدر انما هو ثمن واحدة . فاقبضهُ الكردي الثمن . فقال له الرجل اعلم ان الحصان الذي ضمنها لم يزل فلوًا . فلا ينبغي ان تركبها وانت صاعد في الجبل ولكن حين تاخذ في

التسفُّل منهُ تركبها وتتزحلق عليها فتجوز بك مسافة يوم بساعة. فاستلمها فرحًا بتمام الفوز والمقصود وحملها على عاتقهِ. فلما بلغ ذروة الجبل المبنية عليهِ قريتهُ وهو يتخبط تعبًا حطها عن ظهرهِ وقال لها قد بلغتِ الآن نوبتكِ فانزلي لاركبكِ. ثم وضعها على مزلقة وهمَّ بان يقعد عليها القرفصاء ويهبط بها اسفل الجبل. فاذا بها قد تدحرجت منهُ فوقعت على صخرة بجنبهِ فترضخت واصابت قطعة منها ارنبة كانت كامنة هناك. فقفزت من موضعها وجرت نحو البلد. فناداها من فوق بابي انت يا فلو البحر وامي لا تبتعدّ عني فاني مطعمك من الارز والزبيب ان شاء الله ما لو علم بهِ اهلك اجمعون لتمنَّوا ان يكونوا لي عبيدًا. فلما رأى الارنب ظلَّت آخذة طريقها. قال اذهب الى البيت وسلّم على زوجتي وقل لها اني تاليك فترحب بك. فلما قدم منزلهُ سأَل زوجتهُ عن الحصان وقصَّ عليها الخبر. فقالت لهُ أمَا انهُ لو وفد اليَّ حصان من البحر لركبتهُ وذهبت الى ابنتي.

فقال لها أَوَكان يبلغ من قساوة قلبكِ ان تركبيهِ قبلي

فتعقر بهِ. ثم طفق بها ضربًا بالمراوة. ثم

بعد ايام قليلة

ماتت

م

القسم الثالث

تراجم بعض الاعلام

ابن سينا

هو ابو علي الحُسَين بن عبد الله بن سينا البخاري المشهور بالشيخ الرئيس. كان من اشهر الحكماء والاطباء العرب فهو ابقراط الطبّ وارسطو الحكمة عند العرب والافرنج وقد جمع في فسيح صدره كتابات ارسطو واوعى في خزانة معارفهِ حكمة وقواعدهُ وقد نقل الافرنج عنهُ اكثر ما عندهم من كتابات جالينوس وابقراط ونشروا اشهر تآليفهِ في اللغة العربية وترجموا اكثرها الى لغاتهم وكان هو المعوّل عليهِ شرقًا وغربًا في قواعد الحكمة والطبّ وقد اعترف لهُ الجميع بالفضل فافتخر بهِ الشرق واخذ عنهُ ومدحهُ الغرب وانتفع بتصانيفهِ. كان ابوهُ من اهل بلخ وانتقل الى بخارى وكان من العمّال الكفاة وتولى العمل بقرية من قرى بخارى يُقال لها خَرْمَيثَن من امهات قُراها وبها وُلد الرئيس ابن سينا واخوهُ. واسم امهِ ستارة وهي من قرية بالقرب من خرميثن يُقال لها أَفْشَنَة. ثم انتقل ابوهُ وبيتهُ الى بخارى وتنقّل الرئيس بعد ذلك في البلاد واشتغل بالعلوم وحصّل الفنون

ولما بلغ عشر سنين من عمرهِ كان قد اتقن علم القرآن والادب وحفظ اشياء من اصول الدين وحساب الهند والجبر والمقابلة. ثم توجّه نحوهم الحكيم ابو عبد الله الناتلي فانزلهُ ابو الرئيس عندهُ فابتدأ الرئيس ابو علي يقرأ عليهِ كتاب ايساغوجي واحكم عليهِ علم المنطق واقليدس والمجسطي وفاقهُ كثيرًا حتى اوضح لهُ منها رموزًا وافهمهُ اشكالات لم يكن الناتلي يدريها. وكان مع ذلك يختلف في الفقه الى اسماعيل

الزاهد يقرأ ويبحث ويناظر. ولما انصرف الناتلي من عنده اشتغل ابو علي بتحصيل العلوم الطبيعيات والالهيّات وغير ذلك ثم رغب بعد ذلك في علم الطب وتأمّل الكتب المصنّفة فيه وعالج من احتاج لا على طريق الاكتساب بل تأدّبًا وممارسة وعلّم الطبّ حتى فاق فيه الاوائل والاواخر في اقل مدّة واصبح فيه عديم القرين. فكان فضلاء هذا الفن وكبراؤه يختلفون اليه ويقرأون ويمارسون انواع العلاجات المقتبسة من التجارب . وكان عمرهُ اذ ذاك نحو ست عشرة سنة وفي مدّة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكمالها ولا اشتغل في النهار الاّ بالمطالعة وكان اذا اشكلت عليه مسألة توضّأ وقصد المسجد الجامع وصلّى ودعا الله عزّ وجل ان يسهّلها عليه ويفتح مغلقها له . واتصل بالامير نوح بن نصر الساماني صاحب خراسان اذ ذاك لمرض اعتراهُ فعالجهُ وبرئ عن يدهِ باذن الله. فادخلهُ مكتبة له لم يكن لها نظير فيها من كل فنّ من الكتب الموجودة بايدي الناس وغيرها مما كان نادر الوجود فاخذ هناك يطالع ويستفيد اشياء لم يدركها سواهُ حتى حفظ كثيرًا وطالع اكثر علومها. واتفق ان المكتبة احترقت بعد مدّة فلم ينل منها فائدة احد سواهُ فتفرّد بما حصّلهُ منها من الفوائد والعلوم وقيل انهُ هو توصّل الى احراقها لهذا المقصد ولكي ينسب لنفسهِ ما حصّلهُ منها ولم يكمل ١٨ سنة من عمرهِ حتى اكمل تحصيل العلوم باسرها

وكان يتصرّف هو وابوهُ بالاحوال ويتقلّدان الاعمال للسلطان. وتوفّي ابوهُ حين بلغ الرئيس ٢٢ سنة من عمرهِ. ولما اضطربت امور الدولة السامانيّة خرج ابو علي الرئيس من بخارى الى كركانج قصبة خوارزم واختلف الى خوارزم شاه علي بن مأمون بن محمد. وكان ابو علي على زيّ الفقهاء يلبس الطيلسان فقرروا له في كل شهر ما يقوم به ثم انتقل الى نسا وابيورد وطوس وغيرها من البلاد وكان يقصد الامير شمس المعالي قابوس بن وشمكير في اثناء هذه الحال فلما اُخِذ قابوس وحُبس في بعض القلاع حتى مات وذهب ابو علي بن سينا الى دهستان ومرض بها مرضًا صعبًا وعاد الى جرجان وصنّف بها الكتاب الاوسط ولهذا يُقال له الاوسط الجرجاني. واتصل به الفقيه ابو عُبَيد الجرجاني. ثم انتقل الى

الري واتصل بالدولة ثم الى قزوين ثم الى همذان وتقلد الوزارة لشمس الدولة ثم تشوّش العسكر عليهِ واغاروا على دارهِ ونهبوها وقبضوا عليهِ وسألوا شمس الدولة قتلهُ فامتنع ثم أُطلق فتوارى ثم مرض شمس الدولة بالقولنج فاحضرهُ لمعالجتهِ واعتذر اليهِ واعادهُ وزيرًا . ثم مات شمس الدولة وتولى تاج الدولة فلم يستوزرهُ فتوجَّه الى اصبهان وبها علاء الدولة ابو جعفر بن كاكويه فاحسن اليهِ

وكان ابن سينا نادرة عصرهِ في علمهِ وذكائهِ ولهُ من التصانيف ما يقارب المئة بين مختصر ومطوَّل . منها كتاب الشفاء في الحكمة وكتاب النجاة والاشارات والقانون ورسالة في فنونٍ شتَّى ورسائل اخرى بديعة . منها رسالة حيّ بن يقظان ورسالة سلامان وابسال ورسالة الطير وغير ذلك . وانتفع الناس كثيرًا بكتبهِ وهو احد فلاسفة المسلمين وكان شعرهُ نفيسًا في فنونٍ كثيرة . منها في الطب ارجوزة طويلة لا موضع لها هنا . ومنها في غيرهِ فمن ذلك قولهُ في النفْس

هبطَت اليك من المحلّ الأرفعِ ورقاء ذات تعزُّزٍ وتمنُّعِ
محجوبةٌ عن كل مقلة عارفٍ وهي التي سفرت ولم تتبرقعِ
وصلت على كرهٍ اليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجُّعِ
انفت وما الفت فلمَّا واصلت أَلِفَت مجاورة الخراب البلقعِ
واظنُّها نسيت عهودًا بالحمى ومنازلًا بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها من ميم مركزها بذات الاجرعِ
علقت بها ثاء الثقيل فاصبحت بين المعالم والطلول الخضَّعِ
تبكي وقد نسيت عهودًا بالحمى بمدامعٍ تهمي ولمَّا تقلعِ
حتى اذا قرب المسير الى الحمى ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسعِ
وغدَت تغرّد فوق ذروة شاهقٍ والعلمُ يرفع كل من لم يُرفَعِ
وتعود عالمةً بكل خفيَّةٍ في العالمين فخرقها لم يُرقَعِ
فهبوطها اذ ذاك ضربة لازبٍ لتكون سامعةً لِمَا لم تسمعِ
فلاي شيءٍ أُهبِطَت من شاهقٍ سامٍ الى قعر الحضيض الاوضعِ

ان كان اهبطها الالهُ لحكمةٍ طُوِيَت عن الفطن اللبيب الأروعِ
اذ عاقها الشَّرَكُ الكثيفُ فصدَّها قفصٌ عن الاوجِ الفسيحِ الارفعِ
فكأنّها برقٌ تألّق بالحمى ثمّ انطوى فكأنّهُ لم يلمعِ

ابن العِبْرِي

هو جمال الدين ابو الفرج مارغريغوريوس بن تاج الدين هرون بن توما الملطي المتطبّب ويعرفهُ الافرنج بأبي الفرج . قيل كان ابوهُ طبيبًا مرتدًّا من اليهودية الى النصرانية ولهذا لُقِّب بابن العبري . وُلد ابو الفرج بقرية ملطية من آسيا الصغرى ثم رحل مع ابيهِ هرون الى انطاكية فاقام بها وكان من ائمة علماء اليعقوبية وواحد شعرائهم الفحول المشهورين . قرأ اولاً الطب على ابيهِ ثم اخذ في درس اللغات السريانية والعربية واليونانية ثم اشتغل بالعلوم اللاهوتية والرياضية والفلسفية على بعض مشايخ اليعقوبية في انطاكية وبرع في كل ذلك حتى قيل انهُ لم يكن لهُ نظير من اهل عصرهِ . ثم زهد في الدنيا واحبَّ مجانبة اهلها فانقطع ببعض الاديرة بنواحي انطاكية متجردًا للدرس والتصنيف والعبادة ثم صار اسقف غوبا ثم حلب ثم لمّا اشتهرت فضائلهُ وعلومهُ الكثيرة السامية جعلهُ اهل ملّتهِ مفريانًا اوجاثليقًا وهو دون البطريرك في الرتبة

ولابن العبري تآليف كثيرة مفيدة في علوم شتّى باللغتين السريانية والعربية فالسريانية منها كتاب الاحداق وكتاب مناجاة الحكمة وكتاب منارة الاقداس وكتاب الاشعة وكتاب حكمة الحكم وكتاب الاشراق وديوان شعر متوسط ومن الكتب العربية كتاب زبدة الاسرار وكتاب دفع الهمّ وكتاب الغافقي وغير ذلك . واما اشهر مؤلّفاتهِ فالتاريخان الكبيران احدهما باللغة السريانية والآخر في العربية وكلاهما ينتهي الى سنة ١٢٤٨ للميلاد . والعربي منهما يُسمّى تاريخ الدول وهما يبتدئان من اول الخليقة ويتضمنان اخبار الدول الاسرائيلية والكلدانية والفارسية واليونانية والرومانية والاسلامية والمغولية . وقد اضاف بعض المؤرّخين

الى التاريخ السرياني من السنة التي انتهى فيها الى سنة ١٢٩٧ ميلادية . وهذه الزيادة تتضمن تفصيل حروب المنغول والتتر في آسيا الصغرى وسورية وما بين النهرين. وقد طُبِع التاريخ العربي مترجماً الى اللاتيني في اكسفورد سنة ١٦٦٣ ميلادية . وقد عثرنا منهُ على نسخة خط عربية محضة . وطُبِع التاريخ السرياني في ليبسك سنة سنة ١٧٨٩ للميلاد غير انهُ قد وقع في هذه الطبعة اغلاط لا تحصى . وكانت ولادة ابن العبري سنة ١٢٢٦ للميلاد وتوُفّي في مراغة من اذربيجان سنة ١٢٨٦ وقيل ١٢٨٥

ابن العلاّف

هو ابو بكر الحسن بن علي بن احمد بشار بن زياد الضرير النهرواني الشاعر المشهور. كان من الشعراء المجيدين وكان ينادم الإمام المعتضد بالله. وقيل انهُ بات ليلةً في دار المعتضد مع جماعة من ندمائهِ فاتاهم خادم ليلاً فقال امير المؤمنين يقول ارقت الليلة بعد انصرافكم فقلت

ولمّا انتبهنا للخيال الذي سرى اذا الدارُ قفرٌ والمزارُ بعيدُ

وقد ارتجّ عليّ تمامهُ فمن اجازهُ بما يوافق غرضي امرت لهُ بجائزة. فلما سمع الندماء ذلك ارتجّ عليهم وكلهم شاعرٌ فاضلٌ فابتدر ابن العلاّف فقال

فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي لعلّ خيالاً طارقًا سيعودُ

فرجع الخادم. ثم عاد فقال لهُ امير المؤمنين يقول قد احسنت وقد امر لك بالجائزة

وكان لابن العلاّف هرٌّ يأنس بهِ وكان يدخل ابراج الحمام التي لجيرانهِ وياكل فراخها. وكثر ذلك منهُ فامسكهُ اربابها فذبحوهُ فرثاهُ بقصيدة مشهورة قال ابن خلكان ((هي من احسن الشعر وعددها خمسة وستون بيتًا)) فاقتصرنا منها على ما ياتي ذكرهُ

يا هرُّ فارقتنا ولم تعُدِ وكنت عندي بمنزل الولدِ

فكيف ننفكُّ عن هواك وقد … كنت لنا عدَّةً من العددِ
تطرد عنَّا الأذى وتحرسنا … في الغيب من حيَّةٍ ومن جرَدِ
وتخرج الفارَ من مكامنها … ما بين مفتوحها الى السدَدِ
يلقاك في البيت منهم مَدَدٌ … وأنت تلقاهمُ بلا مددِ
لا عددٌ كان منك منفلتًا … منهم ولا واحدٌ من العددِ
لا ترهب الصيف عند هاجرةٍ … ولا تهاب الشتاء في الجمدِ
وكان يجري ولا سداد لهم … امرك في بيتنا على سدَدِ
حتى اعتقدت الاذى لجيرتنا … ولم تكن للاذى بمعتقدِ
وحمت حول الردى بظلمهمِ … ومن يحُم حول حوضهِ يردِ
وكان قلبي عليك مرتعدًا … وانت تنسابُ غير مرتعدِ
تدخل برج الحمام متئدًا … وتبلع الفرخ غير متئدِ
وتطرح الريش في الطريق لهم … وتبلع اللحم بلع مزدردِ
اطعمك الغيُّ لحمها فرأى … قتلك اربابها من الرشدِ
حتى اذا داوموك واجتهدوا … وساعد النصر كيد مجتهدِ
كادوك دهرًا فما وقعت وكم … أُفلتَ من كيدهم ولم تكدِ
فحين اخفرت وانهمكت وكا … شفت وأسرفت غير مقتصدِ
صادوك غيظًا عليك وانتقموا … منك وزادوا ومن يَصِد يُصَدِ
ثم شفوا بالحديد انفسهم … منك ولم يرعووا على احدِ
فلم تزل للحمام مرتصدًا … حتى سقيتَ الحِمام بالرصدِ
لم يرحموا صوتك الضعيف كما … لم ترثِ منها لصوتها الغردِ
اذاقك الموت ربهنَّ كما … اذقتَ افراخهُ يدًا بيدِ
كأنَّ حبلاً حوى بجودته … جيدك للخنق كان من مسدِ
كأنَّ عيني تراكَ مضطربًا … فيه وفي فيك رغوة الزبدِ
وقد طلبت الخلاص منهُ فلم … تقدر على حيلةٍ ولم تجدِ

فجدت بالنفس والبخيل بها انت ومن لم يجُدْ بها يجدِ
فما سمعنا بمثل موتك اذ متَّ ولا مثل عيشك النكدِ
عشتَ حريصاً يقوده طمعٌ ومتَّ ذا قاتلٍ بلا قودِ
يا من لذيذ الفراخ اوقعهُ ويحكَ هلَّا قنعتَ بالغددِ
ألم تخف وثبة الزمان كما وثبت في البرج وثبة الاسدِ
عاقبة الظلم لا تنامُ وان تأخرتْ مدةً من المددِ
اردت ان تأكل الفراخ ولا يأكلك الدهر أكل مضطهدِ
هذا بعيدٌ من القياس وما اعزَّهُ في الدنو والبعدِ
لا بارك الله في الطعام اذا كان هلاك النفوس في المعدِ
كم دخلت لقمةٌ حشا شرهٍ فاخرجت روحهُ من الجسدِ
ما كان اغناك عن تسوُّرك الـ برج ولو كان جنة الخلدِ

ومنها

قد كنت في نعمةٍ وفي دعةٍ من العزيز المهيمن الصمدِ
تاكل من فار بيتنا رغدًا واين بالشاكرين للرغدِ
وكنت بددت شملهم زمنًا فاجتمعوا بعد ذلك البددِ
فلم يبقُّوا لنا على سبدٍ في جوف ابياتها ولا لبدِ
وفرَّغوا قعرها وما تركوا ما علَّقتهُ يدٌ على وتدِ
وفتَّتوا الخبز في السلال وكم تفتَّتت للعيال من كبدِ
ومزَّقوا من ثيابنا جددًا فكلنا في المصائب الجددِ

ابن الفارض

هو ابو القاسم وابو حفص عمر بن ابي الحسن عليّ بن المرشد بن علي الحموي الاصل المصري المولد والدار والوفاة المعروف بابن الفارض. وسبب تسمية ابيهِ الفارض هو انهُ قدم من حماة الى مصر فقطنها وكان يثبت الفروض للنساء على

الرجال بين ايدي الحكّام فلُقِب بالفارض. وُلد ابن الفارض بمصر في ذي القعدة سنة ٥٥٦ وقيل سنة ٥٦٠ وقيل سنة ٥٧٦

قال ولدهُ كان ابي معتدل القامة وجههُ جميل حسن مشرب بحمرة ظاهرة واذا استمع وتواجد وغلب عليهِ الحال يزداد وجههُ جمالاً ونورًا ويتحدر العرق من كل جسدهِ حتى يسيل تحت قدميهِ على الارض. ولم ارَ في العرب ولا في العجم مثل حسن شكلهِ وكان عليهِ نور وخفَر وجلالة وهيبة . ومن فهم معاني كلامهِ دلّتهُ معرفتهُ على مقامهِ. وكان اذا مشى في المدينة تزدحم الناس يلتمسون منهُ البركة والدعاء ويقصدون تقبيل يدهِ فلا يمكّن احدًا من ذلك بل يصافحهُ . وكانت ثيابهُ حسنة ورائحتهُ طيبة. وكان اذا حضر في مجلس يظهر على ذلك المجلس سكون وهيبة ووقار. واذا خاطبوهُ فكأنهم يخاطبون ملكًا عظيمًا . وكان ينفق على من يريد عليهِ نفقة متسعة ويعطي من بيدهِ عطاء جزيلاً. ولم يكن يتسبَّب في تحصيل شيء من الدنيا ولا يقبل من احد شيئًا. وبعث اليهِ السلطان محمد الملك الكامل الف دينار فردَّها اليهِ وسألهُ ان يجهز لهُ ضريحًا عند قبر امهِ (اي ام الملك المذكور) بتربة الامام الشافعي فلم ينعم لهُ بذلك . ثم استأذنهُ ان يبني لهُ مزارًا مختصًّا بهِ فلم يأذن لهُ بذلك ايضًا . وكان السبب في هدية السلطان الى ابن الفارض هو ان السلطان كان يحب اهل العلم ويحاضرهم في مجلس مختصّ بهِ وكان يميل الى فنّ الادب فتذاكروا يومًا في اصعب القوافي فقال السلطان من اصعبها الياء الساكنة فمن كان منكم يحفظ شيئًا منها فليذكرهُ . فتذاكروا في ذلك فلم يتجاوز واحد منهم عشرة ابيات. فقال السلطان انا احفظ منها خمسين بيتًا قصيدة واحدة وذكرها . فاستحسن الجماعة ذلك منهُ . فقال القاضي شرف الدين كاتب سرّهِ انا احفظ منها مئة وخمسين بيتًا قصيدة واحدة. فقال السلطان يا شرف الدين جمعت في خزائني اكثر دواوين الشعراء في الجاهلية والاسلام وانا احبُّ هذه القافية فلم اجد فيها اكثر من الذي ذكرتهُ لكم . فانشدني هذه الابيات التي ذكرت فانشدهُ قصيدة ابن الفارض اليائيَّة التي مطلعها

سائقَ الأظعان يطوي البيدَ طيّ ... منعماً عرّج على كثبان طيّ

فقال شرف الدين لمن هذه القصيدة فلم اسمع بمثلها. وهذا نَفَس محب . فقال هذه من نظم شرف الدين عمر بن الفارض. فقال وفي اي مكان مقامهُ. فقال كان مجاورًا بالحجاز وفي هذا الزمان حضر الى القاهرة وهو مقيم بقاعة الخطابة في الجامع الازهر. فقال السلطان يا شرف الدين خذ منا الف دينار وتوجه اليهِ وقل لهُ عنا ان ولدك محمد يسلّم عليك ويسألك ان تقبل هذه منهُ برسم الفقراء الواردين عليك . فاذا قبلها فاسألهُ الحضور الينا لناخذ حظنا من بركتهِ . فقال مولانا السلطان يعفيني من ذلك فان ابن الفارض لا ياخذ الذهب ولا يحضر ولا اقدر بعد ذلك ان ادخل عليهِ حياء منهُ . فقال لا بدّ من ذلك

فاخذ كاتب السر الذهب وقصد مكان الشيخ فوجدهُ واقفًا على الباب ينتظرهُ فابتدأهُ بالكلام وقال يا شرف الدين مالك واذكري في مجلس السلطان ردّ الذهب اليهِ ولا ترجع تجيئني الى سنة. فرجع وقال للسلطان وددت ان افارق الدنيا ولا افارق رؤية الشيخ عمر سنةً . فقال السلطان مثل هذا الشيخ يكون في زماني ولا ازورهُ لا بدّ لي من زيارتهِ ورؤيتهِ. فنزل السلطان في الليل الى المدينة مستخفيًا هو وفخر الدين عثمان الكاملي وجماعة من الامراء الخواصّ عندهُ وبات في قاعة المهمندار التي قبالة الجامع ودخل الى الجامع بعد العشاء فلما احسّ بهم الشيخ خرج من الباب الآخر الذي بظاهر الجامع وسافر الى ثغر الاسكندرية واقام بالمنار اياماً. ثم رجع الى الجامع الازهر وبلغ السلطان حضورهُ وانهُ متوعك المزاج فارسل الى السلطان مع فخر الدين الكاملي يستأذنهُ ان يجهز لهُ ضريحاً فلم يأذن لهُ السلطان بذلك كما مرّ . وبعد ايام نصل من ذلك التوعك وعافاهُ الله تعالى. والقصيدة اليائية المشار اليها هي اشهر من ان تُذكَر

الحريري

هو ابو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحرامي

صاحب المقامات. كان احد ايمّة عصره ورُزِق الحظوة التامّة في عمل المقامات واشتملت على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها وامثالها ورموز اسرار كلامها ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادّته. وكان سبب وضعه لها ما حكاهُ ولدهُ ابو القاسم عبد الله قال كان ابي جالسًا في مسجده ببني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليه اهبة السفر رث الحال فصيح الكلام حسن العبارة. فسألته الجماعة من اين الشيخ. فقال من سروج فاستخبروهُ عن كنيته. فقال ابو زيد فعمل ابي المقامة المعروفة بالحرامية وهي الثامنة والاربعون وعزاها الى ابي زيد المذكور واشتهرت. فبلغ خبرها الوزير شرف الدين ابا نصر انوشروان بن خالد بن محمد القاشاني وزير الامام المسترشد بالله فلما وقف عليها اعجبته واشار على والدي ان يضمّ اليها غيرها فاتمّها خمسين مقامة والى الوزير المذكور اشار الحريري في خطبة المقامات بقوله فاشار من اشارته حكم وطاعته غنم اليّ ان انشئ مقامات اتلو فيها تلو البديع وان لم يدرك الظالع شاوَ الضليع هكذا وجدته في عدة تواريخ. ثم رأيت في بعض شهور سنة ست وخمسين وست مئة بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات وجميعها بخط مصنّفها الحريري. وقد كتب بخطه ايضًا على ظهرها انه صنّفها للوزير جمال الدين عميد الدولة ابي علي الحسن بن ابي العز علي ابن صدقة وزير المسترشد ايضًا ولا شك ان هذا اصح من الرواية الاولى لكونه بخط المصنف. وتوفّي الوزير المذكور في رجب سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة. فهذا كان مستندهُ في نسبتها الى ابي زيد السروجي

وذكر القاضي الاكرم جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي وزير حلب في كتابه الذي سماهُ انباء الرواة في ابناء النحاة ان ابا زيد المذكور اسمه المطهّر بن سلام. وكان بصريًّا نحويًّا صحب الحريري المذكور واشتغل عليه بالبصرة وتخرّج به وروى عنه . وروى القاضي ابو الفتح محمد بن احمد بن المنداني الواسطي عنه ملحة الاعراب للحريري. وذكر انه سمعها منه عن الحريري. وقال قدم علينا واسط في سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة فسمعناها منه وتوجه منها مصعدًا الى بغداد

فوصلها واقام بها مدّة يسيرة وتوفّي بها

وكذا ذكر السمعاني في الذيل والعماد في الخريدة وقال لقبهُ فخر الدين وتولى صدرية المشان . ومات بها بعد سنة اربعين وخمس مئة . واما تسميتهُ الراوي لها بالحارث بن همام فانما عنى بهِ نفسهُ هكذا وقفت عليهِ في بعض شروح المقامات وهو مأخوذ من قولهِ كلكم حارث وكلكم همام. فالحارث الكاسب والهمام الكثير الاهتمام. وما من شخص الأ وهو حارث وهمام لان كل واحد كاسب ومهتم باموره

وقد اعتنى بشرحها خلق كثير. فمنهم من طوّل ومنهم من اختصر. ورأيت في بعض المجاميع ان الحريري لما عمل المقامات كان قد عملها اربعين مقامة وحملها من البصرة الى بغداد وادّعاها . فلم يصدّقهُ في ذلك جماعة من ادباء بغداد وقالوا انها ليست من تصنيفهِ بل هي لرجل مغربي من اهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت اوراقهُ اليهِ فادّعاها. فاستدعاهُ الوزير الى الديوان وسألهُ عن صناعتهِ فقال انا رجل منشئٌ فاقترح عليهِ انشاء رسالة في واقعة عيّنها . فانفرد في ناحية من الديوان واخذ الدواة والورقة ومكث زمانًا كثيرًا فلم يُفتَح عليهِ بشيء من ذلك فقام وهو خجلان

وكان في جملة من انكر دعواهُ في عملها ابو القسم علي بن افلح الشاعر المقدّم ذكرهُ . فلما لم يعمل الحريري الرسالة التي اقترحها الوزير انشد ابن افلح . وقيل ان هذين البيتين لابي محمد بن احمد المعروف بابن جكينا الحريري البغدادي الشاعر المشهور

شيخٌ لنا من ربيعة الفرَسِ ينتف عثنونهُ من الهوَسِ

انطقهُ اللهُ بالمشان كما رماهُ وسط الديوان بالخرَسِ

وكان الحريري يزعم انهُ من ربيعة الفرس. وكان مولعًا بنتف لحيتهِ عند الفكرة. وكان يسكن في مشان البصرة. فلما رجع الى بلدهِ عمل عشر مقامات أُخَر وسيّرهنّ واعتذر من عيّهِ وحصرهِ في الديوان بما لحقهُ من المهابة

ويُحكى انهُ كان دميماً قبيح المنظر. فجاءهُ شخص غريب بزورهُ ويأخذ عنهُ

صاحب المقامات. كان احد ائمة عصره ورُزِق الحظوة التامة في عمل المقامات واشتملت على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها وامثالها ورموز اسرار كلامها ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادّته. وكان سبب وضعه لها ما حكاهُ ولدهُ ابو القاسم عبد الله

قال كان ابي جالسًا في مسجده ببني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليه اهبة السفر رث الحال فصيح الكلام حسن العبارة. فسألتهُ الجماعة من ابن الشيخ. فقال من سروج فاستخبروهُ عن كنيته. فقال ابو زيد فعمل ابي المقامة المعروفة بالحرامية وهي الثامنة والاربعون وعزاها الى ابي زيد المذكور واشتهرت. فبلغ خبرها الوزير شرف الدين ابا نصر انوشروان بن خالد بن محمد القاشاني وزير الامام المسترشد بالله فلما وقف عليها اعجبتهُ واشار على والدي ان يضمّ اليها غيرها فاتمّها خمسين مقامة والى الوزير المذكور اشار الحريري في خطبة المقامات بقوله فاشار من اشارتهُ حكم وطاعتهُ غنم اليّ ان انشئ مقامات اتلو فيها تلو البديع وان لم يدرك الظالع شاوَ الضليع هكذا وجدتهُ في عدة تواريخ. ثم رأيت في بعض شهور سنة ست وخمسين وست مئة بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات وجميعها بخط مصنّفها الحريري. وقد كتب بخطه ايضًا على ظهرها انهُ صنّفها للوزير جمال الدين عميد الدولة ابي علي الحسن بن ابي العز علي ابن صدقة وزير المسترشد ايضًا ولا شك ان هذا اصح من الرواية الاولى لكونه بخط المصنف. وتوُفّي الوزير المذكور في رجب سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة. فهذا كان مستندهُ في نسبتها الى ابي زيد السروجي

وذكر القاضي الاكرم جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي وزير حلب في كتابه الذي سماهُ انباء الرواة في ابناء النحاة ان ابا زيد المذكور اسمهُ المطهّر بن سلام. وكان بصريًا نحويًا صحب الحريري المذكور واشتغل عليه بالبصرة وتخرّج به وروى عنهُ. وروى القاضي ابو الفتح محمد بن احمد بن المنداني الواسطي عنهُ ملحة الاعراب للحريري. وذكر انهُ سمعها منهُ عن الحريري. وقال قدم علينا واسط في سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة فسمعتها منهُ وتوجه منها مصعدًا الى بغداد

فوصلها واقام بها مدّة يسيرة وتوُفّي بها

وكذا ذكر السمعاني في الذيل والعماد في الخريدة وقال لقبهُ فخر الدين وتولى صدرية المشان . ومات بها بعد سنة اربعين وخمس مئة . واما تسميتهُ الراوي لها بالحارث بن همام فانما عنى بهِ نفسهُ هكذا وقفت عليهِ في بعض شروح المقامات وهو مأخوذ من قولهِ كلكم حارث وكلكم همام. فالحارث الكاسب والهمام الكثير الاهتمام. وما من شخص الاَّ وهو حارث وهمام لان كل واحد كاسب ومهتم بامورهِ

وقد اعتنى بشرحها خلقٌ كثير. فمنهم من طوَّل ومنهم من اختصر. ورأيت في بعض المجاميع ان الحريري لما عمل المقامات كان قد عملها اربعين مقامة وحملها من البصرة الى بغداد وادَّعاها . فلم يصدّقهُ في ذلك جماعة من ادباء بغداد وقالوا انها ليست من تصنيفهِ بل هي لرجل مغربي من اهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت اوراقهُ اليهِ فادَّعاها. فاستدعاهُ الوزير الى الديوان وسألهُ عن صناعتهِ فقال انا رجل منشئٌ فاقترح عليهِ انشاء رسالة في واقعة عيَّنها . فانفرد في ناحية من الديوان واخذ الدواة والورقة ومكث زمانًا كثيرًا فلم يُفتَح عليهِ بشيءٍ من ذلك فقام وهو خجلان

وكان في جملة من انكر دعواهُ في عملها ابو القسم علي بن افلح الشاعر المقدَّم ذكرهُ . فلما لم يعمل الحريري الرسالة التي اقترحها الوزير انشد ابن افلح . وقيل ان هذين البيتين لابي محمد بن احمد المعروف بابن جكينا الحريري البغدادي الشاعر المشهور

شيخٌ لنا من ربيعة الفرَسِ ينتف عثنونهُ من الهوَسِ
انطقهُ الله بالمشان كما رماهُ وسْط الديوان بالخرَسِ

وكان الحريري يزعم انهُ من ربيعة الفرس. وكان مولعًا بنتف لحيتهِ عند الفكرة. وكان يسكن في مشان البصرة. فلما رجع الى بلدهِ عمل عشر مقامات أُخَر وسيَّرهنَّ واعتذر من عيّهِ وحصرهِ في الديوان بما لحقهُ من المهابة

ويُحكى انهُ كان دميمًا قبيح المنظر. فجاءهُ شخص غريب يزورهُ وياخذ عنهُ

شيئًا. فلما رآهُ استرى شكلهُ. ففهم الحريري ذلك منهُ. فلما التمس منهُ ان يملي عليهِ قال لهُ اكتب

ما انت اوّل سارٍ غرَّهُ القمرُ   ورائدٍ اعجبتهُ خضرة الدمنِ
فاختر لنفسك غيري انني رجلٌ   مثل المعيديّ فاسمع بي ولا ترني

فخجل الرجل منهُ وانصرف

وكانت ولادة الحريري في سنة ست واربعين واربع مئة هجرية وتُوفّي سنة ست عشرة وقيل خمس عشرة وخمس مئة بالبصرة في سكة بني حرام وخلف ولدين

وقال ابو المنصور ابن الجواليقي اجازني المقامات نجم الدين عبد الله وقاضي قضاة البصرة ضياء الاسلام عُبَيد الله عن ابيهما منشئها. ونسبتهُ بالحرامي الى هذه السكة

ابن بطوطة

هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابرهيم اللواتي المغربي الطنجي المعروف بابن بطوطة ويُعرَف ايضًا في البلاد الشرقية بشمس الدين الامام الرحّالة المشهور. وُلد بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ٧٠٣ هجرية (في ٢٤ شباط سنة ١٣٠٤ للميلاد) وتُوفّي بفاس سنة ٧٧٩ للهجرة (سنة ١٣٧٧ للميلاد). خرج من طنجة حاجًّا سنة ٧٢٥ وعمرهُ اذ ذاك ٢٢ سنة وحج بعد ذلك مرارًا وكان يرتاح الى التقلب في البلاد والوقوف على احوالها فرحل الى تونس والجزائر وطرابلس الغرب ومصر وبلاد العرب وسورية وفارس والعراق العربي وما بين النهرين وزنجبار واسيا الصغرى وبلاد قبجق او روسيا الجنوبية وكان اصحابها من بيت جنكزخان. ثم قدم القسطنطينية ورحل منها الى بلاد بخارى وافغانستان ودخل الهند وورد على دهلي حضرة السلطان محمد بن تغلق شاه ملك المسلمين بها فولاهُ قضاءها ثم وجّههُ رسولًا عنهُ الى ملك الصين فرحل الى المليبار وقالقوط. وكانت هذه المدينة محطة للمتجر بين الهند واقطار اسيا

الغربية والشرقية واقلع منها مركبة بامتعته وعبيده وخلّفه بها فريدًا

فانطلق الى جزائر ملديف وتولى قضاءها واقام بها سنةً ونصفًا ثم رحل الى سيلان وجزائر الهند وطاف ببعض بلاد الصين وكانت مدّة رحلته هذه اربعًا وعشرين سنة . وكان رجوعه الى فاس سنة ١٣٤٩ للميلاد ثم لم يلبث ان سار الى غرناطة بالاندلس وكانت يومئذٍ بيد المسلمين وعاد الى فاس . ثم رحل منها سنة ١٣٥١ الى بلاد السودان وعاد في كانون الثاني سنة ١٣٥٤ (سنة ٧٥٤ هجرية) وقد دخل في سفره ملّي وتمبكتو حاضرتي السودان وهو كما قال احد علماء الجغرافية اوّل من توغل من الراحلين المحفوظة تعريفاتهم في اواسط افريقية على انه قد اخترق افريقية من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الشمال الغربي وما اخبر به عن تلك البلاد يوافق بكثير من وجوهه ما حكاهُ السيّاح المتاخرون وقد املى كتاب رحلته بعد عودته واستقراره في فاس وسماهُ تحفة النظّار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار وفرغ من تقييده في ذي الحجة عام ٧٥٦ (سنة ١٣٥٥ للميلاد) وكان املاؤهُ هذا الكتاب باشارة من السلطان ابي عنان صاحب فاس وضمّ هذا الاملاء ملخصًا محمد بن محمد بن جزي الكلبي وجعله في تصنيف وفرغ من ذلك في صفر عام ٧٥٧ للهجرة واشتهر ابن بطوطة بهذا الكتاب واختلفت فيه الاقوال

فقال الجغرافي كارل ريتر قد اثبت ابن بطوطة العالم العربي الطنجي الرحالة المسلم الثقة الخبير في كتاب رحلته اخبارًا تامة قبل منتصف القرن الرابع عشر عن اقصى اقطار افريقية والهند والصين وآسيا العليا وهي لا تخلو من اللذة والفائدة

وقال ستزن السائح في سورية . ايُّ سائح اوروبي من اهل هذا العصر يحق له ان يفاخر بصرف زمن يكون نحو نصف عمره في جوب الاقطار البعيدة متجشماً مشاق الحلّ والترحال ام ايُّ جيل من الاوروبيين نجم فيهم منذ خمسة قرون رحّالة تقلّب في البلاد النائية جامعًا بين التثبت في الملاحظة والحرية في الحكم

واجاد في تقييد ملاحظاتهِ اجادة ذلك الشيخ الطنجي فان ما حكاهُ من اخبار اقطار افريقية المجهولة وبلاد نيجر والزنج لا تقصر من حيث الفائدة عن اخبار لاون الافريقي لا جرم ان رحلتهُ اتمت جغرافية بلاد العرب وبخارى وكابل وقندهار بالنفع الجزيل

وقال المعلم رينود في مقدّمتهِ لجغرافية ابي الفداء . ان ابن بطوطة فاق ابن حوقل والمسعودي في رحلتهِ من حيث اتساعها وان كان لا يضاهيهما في العلم. اه. وقد انكر عليهِ بعضهم اخبارًا غريبة اثبتها في كتاب رحلتهِ ومنهم ابن خلدون فانهُ انكر عليهِ ما حكاهُ عن بعض البلاد وعادات اهلها ولا يحسن لوم ابن بطوطة على ذلك فان اكثر السيّاح في ايامهِ من المشارقة والمغاربة كانوا يُساقون بحكم العقيدة الى تصديق ما يحكى لهم وان كان غير معهود في الطبيعة فيقيّدون تلك الحكايات بلا تثبُّت غير متعمدين بها الكذب على ان ابن بطوطة قد اضاع في خلال رحلتهِ ما علّقهُ من اخبارها ولا سيما اخبار بخارى. ويُستدَلُّ على صحة الكثير من رواياتهِ بموافقتها لروايات السيّاح من اهل عصرهِ

وقد عني الافرنج بكتاب رحلتهِ ولم يقفوا الاَّ على مختصرهِ فترجموهُ الى الانكليزية والاسبانية والفرنساوية وقد طُبع الاصل العربي مترجماً الى الفرنساوية في باريز سنة ١٨٥٣ وهو في اربعة مجلّدات

نبذة في تاريخ ابرهيم باشا

في ثاني تشرين الثاني عام ١٨٣١ سيَّر محمد علي باشا ابنهُ ابرهيم في ثلاثين الفًا من العسكر المصري لقصد سورية فنازل غزّة واستولى عليها واخذ يافا وحيفا ء ثم نازل عكاء واستدعى اليهِ الامير بشيرًا الشهابي فقدم عليهِ واقام على حصار عكاء ستة اشهر ودخلها عنوةً في ٢٧ من ايار سنة ١٨٣٢ وكان في اثناء حصارها قد استولى على صور وصيداء وبيروت وطرابلس وقد جرت لهُ وقعة مع عثمان باشا عند قرية الزراعة اجلت عن انهزام عثمان باشا ورحيلهِ الى حمص

حيث كان السر عسكر محمد باشا والي حلب وكان في عسكر ابرهيم باشا طائفة من رجال الامير بشير وسار من عكاء قاصدًا دمشق ومعهُ الامير المذكور فخرج اليهِ علي باشا واليها

فسيَّر اليهِ ابرهيم باشا طائفة من عسكرهِ فانهزم علي باشا ودخل ابرهيم باشا المدينة واقام بها ريثما رتَّب امورها وسار قاصدًا حمص فخرج اليهِ السر عسكر محمد باشا في ٢٠ الف مقاتل . والتقى العسكران عند بحيرة قدس ثامن تموز وكانت بينهم معركة اجلت عن انهزام محمد باشا في عسكرهِ الى حلب وغنم ابرهيم باشا في تلك الوقعة ميرة الجنود ومضاربهم وعشرين مدفعًا وكان عدد القتلى من عسكر محمد باشا خمسة آلاف والاسراء الفين فادخل ابرهيم باشا هؤُلاء في عسكرهِ ودخل حمص فبات ثمة ليلة وغدا قاصدًا حلب فسلمت اليهِ واستولى على ما وجد بها من الميرة والذخائر ثم سار الى كلس فلقيهُ الصدر الاعظم حسين باشا عند مضيق بيلان في سنة وثلاثين الفًا فاقتتلوا اشدَّ القتال وأُلجئ حسين باشا الى التقهقر ووهن عسكرهُ لشدة ما لقي فتمهَّد لابرهيم باشا بذلك النصر اخذ بلاد قرمان ثم زحف في العساكر الى قونية فلقيهُ عندها في ٢٢ من كانون الاول من سنة ١٨٣٢ السر عسكر رشيد باشا في ستين الفًا وكان عسكر ابرهيم باشا ثلاثين الفًا فاقتتلوا وتناجزوا واشتدَّ القتال فأُتيح النصر لابرهيم باشا بعدما اوشكت الجيوش العثمانية تفوز بهِ واخذ رشيد باشا اسيرًا فاجزل اكرامهُ ورفع مقامهُ ثم سار الى كوتاهية وأُكرِه على الرجوع ومنح الباب العالي اباهُ محمد علي باشا ولاية سورية واذنهُ علاوةً على الديار المصرية بفرمان صدر رابع عشر ايار من سنة ١٨٣٣

فعاد ابرهيم باشا الى سورية فشرع في ترتيب امورها وضبط احكامها وتأْمين بلادها ثم قصد نابلس لجمع جنود من اهلها فامتنعوا ونبذوا وراءهم طاعتهُ فسار الى يافا ومنها الى اورشليم فدهمهُ النابلسيون في وادي علي عند قرية ابي غوش وكان في نفر قليل فصبر لهم وكانت المعركة شديدة عليهِ فنجا بعد عناء جزيل

الى القدس وامتنع فيه فحصرهُ النابلسيون وغيرهم من اهل تلك البلاد وامسكوا عليهِ الطرق فاوصل الخبر بحيلة الى متسلم يافا ثم راسل شيوخ النابلسيين وواد عهم على ان يعدل عن تجنيد قومهم واخذ بيدهِ في ذلك الشيخ حسين عبد الهادي احد رؤوسهم فافرجوا عنهُ فسار الى يافا وكان والدهُ قد قدم اليهِ في العساكر فسار ابرهيم باشا الى نابلس في عشرة آلاف منهم واوقع بالنابلسيين وغلبهم على نابلس وسلبهم سلاحهم وفعل مثل ذلك باهل جبال القدس والخليل

وفي السنة المذكورة اثر ابرهيم باشا ان يجنّد ١٦٠٠ رجل من الدروز فامتنعت الدروز من ذلك فانطلق الى بيت الدين في عشرة آلاف رجل وجمع سلاح الدروز ثم النصارى وجنّد من اولئك الفًا ومئتي رجل وفي سنة ١٨٣٥ انتقض على ابرهيم باشا اهل حوران لانهُ اراد ان ياخذ منهم جنودًا وانضمّ اليهم عرب تلك البلاد فقاتلوا عسكرهُ وكان دروز لبنان ووادي التيم آخذين بيدهم يأتونهم بالميرة والمدد الكثير وجرت بين العرب والدروز والجنود المصرية وقائع شتى في ارض اللجاة المعروفة بالوعرة وهي صعبة المسالك كثيرة الحزون فقتل الكثير من الجنود المصريين واقتضت الحال مسير ابرهيم باشا بنفسهِ فسار ونازلهم فرأَى انهُ يتعذر التغلب عليهم وهم متحرزون في تلك الارض فامسك عليهم الطرق ومنع عنهم الزاد والماء فألجئوا الى الجلاء عن اللجاة ونجوا الى وادي التيم فتأثرهم ابرهيم باشا وكانت بينهُ وبينهم وقائع عديدة منها يوم وادي بكّة وفيهِ انتقضّ عليهم وكان من رؤوسهم الشيخ حسن جانبلاط والشيخ ناصر الدين العماد فاوقع بهم واستلحمهم ويوم شبعا وفيهِ هزمهم شرّ هزيمة واستأمن اليهِ من ثمّ شبل العريان المشهور

ولمّا تمّ لهُ اخماد ثورة الدروز حوّل اهتمامهُ الى اخماد غيرها من الفتن في سورية ولم يزل بين اصلاح امور وترتيب شؤون الى ان كانت سنة ١٨٣٩ وفيها صدر امر السلطان بنزع ولاية سورية واذنة عن محمد علي باشا وارسل السر عسكر حافظ باشا في الجيوش العثمانية فبلغ الفرات وسار اليهِ ابرهيم باشا في عسكر ولقيهُ

عند نزب في ٢٩ حزيران من السنة المذكورة فاقتتل العسكران واحتدمت نار الوغى واظهرت الجنود العثمانية من البسالة ما لا مزيد عليهِ غير ان حافظ باشا لم يحسن التدبير ففشلت عساكرهُ وتمزّق شملهم فاوقع بهم المصريون واشتدّ عزم ابرهيم باشا فتعقّبهم واصاب منهم طائفة وغنم نيفًا وعشرين الف بندقية و ١٦٠ مدفعًا وسار الى عينتاب واخذ مرعش واورفا ثم انقلب راجعًا الى سورية

وكان السلطان عبد المجيد قد تبوّأ اثناء ذلك اريكة السلطنة السنيّة وعزم على استرجاع البلاد من محمد علي باشا وأُبرِمَت بين الباب العالي والدول العظيمة ما عدا فرانسا معاهدة في ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ على اخراج ابرهيم باشا من سورية واقرار محمد علي باشا على مصر وسار الاسطول الانكليزي والاسطول العثماني وعليهِ السر عسكر سليم باشا ورست تلك السفن في مرفإ جونية ونزلت بها الجنود العثمانية وخرجت طائفة من اللبنانيين على ابرهيم باشا وطفقوا يناوشون عسكرهُ ولقي ابرهيم باشا الجنود العثمانية عند بحرصاف فانهزم الى قرنايل وهما قريتان بلبنان

ثم ورد اليهِ امر ابيهِ بالخروج من سورية وكان الانكليز في الاسطول قد اكرهوهُ على الجلاء عن السواحل ورموا بيروت وعكاء بالكرات فرحل الى مصر مُكرهًا وكان الكثير من اهل سورية قد انتقضوا عليهِ وقاموا بامر الدولة العلية

وكانت مدة ولايتهِ في سورية نحو تسع سنين وقد دلّت احكامهُ فيها على حكمتهِ فانهُ اصلح امورها ولمّ شعثها واستأصل منها المفسدين وامن السابلة وكانت عرضة لافساد المستبدّين وانفذ الاحكام بعدل وصرامة تقتضيها صعوبة مركزهِ وسلب بعض الاهلين سلاحهم مخافة انبعاثهم عليهِ بالهرج والتغب وشاد كثيرًا من الابنية النافعة للعسكرية والاهلين معًا

وفي سنة ١٨٤٦ سار الى فرانسا ليستحمّ بالماء المعدني وقدم باريس فقابلتهُ حكومتها باحسن قبول واجزلت اكرامهُ ثم عاد الى مصر ولما عجز والدهُ عن الحكم فيها وُلّي امرها سنة ١٨٤٧ وتوفي قبل وفاة ابيهِ بداء الدرب سنة ١٢٦٥

للهجرة (عاشر تشرين الثاني سنة ١٨٤٨) وعمرهُ ٦٣ سنة وكانت مدّة ولايتهِ على مصر احد عشر شهرًا وقال بعضهم مؤرّخًا عام وفاتهِ من الهجرة

قضى وقلتُ مؤرّخًا الله يرحمُ مَن مضى

وهو اعظم قواد الاسلام في هذا القرن وكان عدلًا يمقت المداهنين المتدلّسين ويثبت في وداد المخلصين له وكان يميل الى الفلاحة وقد هيأ اسباب تقدّمها ما امكنه واخذ بيد اهلها وكان يتجشم الاهوال ولا يتأنق في اموره المعاشية فكان اذا اقتضت الحال يفترش التراب ويتوسّد الحجر غير مبالٍ بالحرّ والبرد وذلك ما سبّب له داء عصبيًا وكان عالي الهمة بصيرًا بالامور ثابت العزم كثير الحزم فيهِ ترفّع وهيبة مع مؤانسة وحسن مجالسة وقد أُقيم له في القاهرة تمثال حسن سنة ١٨٧٣

الفيلسوف اسحق نيوتن

هو شيخ الفلاسفة واشهرهم واوسعهم علمًا واسماهم فهمًا ابو الفلسفة الطبيعية ومكتشف اسرار الجاذبية بين الاجرام السماوية . وُلد في عيد الميلاد سنة ١٦٤٢ يوم موت الفيلسوف غليلاو ومسقط راسهِ بيت حقير بولسثرب دسكرة من دساكر لنكنشر ببلاد الانكليز . ومات لعشر بقينَ من شهر اذار سنة ١٧٢٧ ووُلد قبل اوانهِ كالفيلسوف كبلر وكان صغير الجسم ضعيف البنية حتى لم يرجّوا له الحياة واختلفوا في اصلهِ فنقل قوم عنهُ انهُ من نسل السر جون نيوتن من وستبي بلنكنشر ونقل آخرون انهُ اسكوتسي الاصل . ومات ابوهُ قبل ولادتهِ بثلاثة اشهر فتزوّجت امهُ بغيرهِ وهو على ثلاث سنين من العمر ولم تنفكّ عن الاهتمام بهِ والقيام بتربيتهِ وكانت ترسلهُ الى المدارس البسيطة ليتعلّم مبادئ المعارف ولما صار ابن اثنتي عشرة سنة نقلتهُ الى مدرسة اعلى بمدينة كرانثهام وهي اقرب مدينة الى ضيعتهم فظهر من نيوتن فيها ما دلّ على سموّ فكرهِ ومزيد فطنتهِ وقوة ميلهِ الى الاكتشاف والاختراع وتقليد المصنوعات

قيل انهُ كان لا يلتذُّ بمعاشرة رفقائهِ التلامذة وملاعبهم فينفرد عنهم ويلهو بالملاعب الميكانيكية وتقليد ما ينظرهُ من الاعمال فاصطنع بيدهِ منشارًا وقدومًا ومطرقة وسائر ادوات الصناعة بحجم يناسب سنهُ وكان يستعملها بحذق غريب وفطنة عجيبة وصنع بها ساعات يدبرها الماء على غاية الضبط والاتقان . واتفق انهم اقاموا في المدينة مطحنة هوائية غريبة الاختراع فقلق لها نيوتن وما زال عاكفًا على البحث عنها حتى كشف سرَّها وجعل يتردد على الفعلة يتبيَّنها ثم يذهب الى مكانهِ ويصنع ما يجدُّ لهُ فيها حتى صنع مطحنة صغيرة مثلها يدبرها الهواء فتطحن وزاد عليها انهُ وضع فيها فارًا يقام الطحّان يدبر الطحين ويأكلهُ . وعرض لهُ في اعمالهِ امرٌ يحتاج الى الرسم فاخذ يرسم من ساعتهِ حتى احسن الرسم وكان لا يترك مكانًا طالت اليهِ يدهُ الاَّ رسم عليهِ فكنت ترى حيطان غرفتهِ مُغطاة بالرسوم منها صور ناس وصور حيوانات وطيور ومراكب بعضها منقول عن الطبيعة وبعضها عن صور اخرى وكان حسن النظم . فانشغل بهذه الملاهي عن درسهِ وكاد يتأخر عن صفهِ لو لم يتخاصم مع التلميذ الذي فوقهُ فعيَّرهُ فلعبت بهِ الحمية وانف من العار وحثَّ مطايا فكرهِ في ميادين درسهِ حتى احرز قصب السبق عليهم اجمعين

وكان يلذُّ بمراقبة الاجرام السماوية من صغرهِ وبعد ان راقبها زمانًا غرز دبابيس وقضبانًا في حيطان البيوت المجاورة ليستدلَّ منها على الوقت وهي تُعرَف عندهم بمزولة اسحق (والمزولة هي ساعة الشمس) وصنع في بيتهِ مزولتين احداهما لا تزال على خارج الحائط والاخرى قُدِّمت هديَّة للجمعية الملكية سنة ١٨٤٤ ولما مات زوج امهِ عنها رجعت بهِ سنة ١٦٥٦ الى ولسثرب مسقط راسهِ وكانت تقصد من تعليمهِ ان يطَّلع على مبادئ العلم لا ان يبرع فيها كما هو شان اكثر نساء بلادنا اليوم كأنهُ لم يخطر لها ببال انهُ سيكون فريد عصرهِ ونابغة دهرهِ فسلَّمتهُ اراضي ابيهِ ليعملها حاذيًا حذوَ والدهِ . وكان حبُّ العلم قد اخذ منهُ كل مأخذٍ واشتدَّ بهِ الميل الى الاختراع والاكتشاف ولم يكن لهُ ميل الى حراثة الاراضي

والزراعة فلم يحسن العمل في املاكهِ وكان دون سائر الناس اقتدارًا على ذلك مع كل فطنتهِ وسموّ فكرهِ في غيرهِ (ويا حبذا لو كان الوالدون ينتصحون بهِ ويراعون ميل اولادهم عندنا ويسلمونهم من الاعمال ما كانوا اشدّ رغبةً واحسن ذوقًا فيهِ فان ذلك يؤكد لهم النجاح ومن يكره ولدهُ على عمل لا يميل اليهِ ولا ذوق لهُ فيهِ يظلمهُ لا محالة ولو اراد لهُ اشرف الاعمال)

وكانت ترسلهُ في بعض السبوت الى مدينة كرانثهام ليبيع من غلة املاكهِ ويبتاع لوازم البيت وتصحبهُ لصغر سنهِ بشيخ خادم عندهم. فكان اذا وصل الى كرانثهام يسلم قضاء اشغالهِ الى الشيخ ويأوي الى بيت صيدلاني يُسمَّى كلارك حيث كان نازلًا ايام درسهِ ويقرأ في الكتب التي يجدها هناك حتى يعود الشيخ اليهِ فيرجعان معًا. وكان احيانًا لا يصل الى المدينة بل يتخلف عنهُ في الطريق ويطلب مكانًا يقرأ فيهِ حتى يرجع فيرجعان. وكان لا تسنح لهُ الفرصة الَّا انفرد تحت شجرة او في غاب يطالع او يعمل في الخشب ما يقع تحت نظرهِ في مجرى اشغالهِ. ومرَّ بهِ خالهُ ذات يوم وقد امعن النظر في كتاب امامهُ فتطلع في الكتاب فاذا بهِ قضية رياضية يحلها فاعجبهُ ما رأى فيهِ من الذكاء والغرام بالمعارف وما زال بامهِ حتى ارجعتهُ الى مدرسة كرانثهام فبقي فيها الى ان بلغ من الثماني عشرة

وفي سنة ١٦٦٠ دخل مدرسة ترنيتي الكلية من مدرسة كمبردج الجامعة وبرع فيها وصار لهُ قيمة واعتبار في اعين احسن اساتيذ الرياضيات هناك. واشتغل اولًا بدروس الهندسة في كتب اقليدس. قيل وكان اذا اطّلع على حدّ القضية ادركها كانها اوّليَّة لا تحتاج عندهُ الى برهان فلم يقف لاستكمال برهانها. وندم على ذلك لمَّا كبر وكان يودُّ لو اطلع عليها وتروّى في انتساقها وسرد براهينها وذلك دأب كل عالمٍ اذا لم يحرز علمهُ بالتروية والتأني. وفي شتاء سنة ١٦٦٤ او قبلهُ اكتشف الطريقة المختصرة لترقية الكميات الثنائية المشهورة في علم الجبر والمقابلة. وبعد ذلك اي في سنة ١٦٦٥ انهى دروسهُ وتقلّد رتبة بكلوريوس في العلوم والارجح انهُ وضع حينئذٍ فن السيَّالة ولكن لم يشهرهُ اتضاعًا ومحافظةً على

السلام لانهُ اعترض لهُ نظراءُ وحسّاد كثيرون وحينئذٍ اكتشف ان النور مركّب من سبعة الوان قوس قزح بادخال شعاعة من النور في منشور من البلور واعمل فكرتهُ في نوعَي النظّارة المكبِّرة والمعكسة. وفي سنة ١٦٦٦ هاج الوبأ فرجع الى ضيعتهِ وهناك خطر لهُ اول خاطر باكتشاف اسمى النواميس الطبيعية اي باكتشاف الجاذبية العامَّة التي بها تثبت الكواكب في باطن السماء متجاذبة متوازنة

قال بمبرتون احد معاصريهِ وبينما نيوتن جالس ذات يومٍ تحت شجرة من التفاح يتأمل اذا تفاحة سقطت امامهُ فقال في بالهِ ما الذي اسقط هذه التفاحة سقوطًا متسارعًا الى الارض وما هي القوة التي لا نراها تختلف شيئًا مهما ارتفعنا عن سطح الارض فاذا رمينا الحجر من راس ارفع الابراج او عن قمة اعلى الجبال هوى الى الارض متسارعًا. ألا ان هذه القوة تمتدُّ ايضًا الى القمر وسائر الكواكب كما تمتدُّ الى اعالي الجبال وبها يدور القمر حول الارض وإلاَّ لسار في خط مستقيم كسائر المرميَّات (لو انقطعت عنها جاذبية الارض). ثم اخذ في الحساب لتحقيق ما خطر لهُ فاخطأ جاعلاً طول الدرجة من الهاجرة ستين ميلاً والصواب ان تكون ٦٩½ ميل فظن ان لدوران القمر حول الارض اسبابًا اخرى وترك القضية

ولما انتهى الوبأ عاد الى مدرسة كمبردج معلّمًا مع استاذ صفّ المدركين وكان ذلك سنة ١٦٦٧ ثم صار معلّمًا مع استاذ صف المنتهين سنة ١٦٦٨ وتقلّد رتبة معلم في العلوم في شهر حزيران منها وكمّل نظّارتهُ المعكسة فيها وكانت تكبّر الاشباح اربعين مرةً وهو اوّل من صنع النظّارة المعكسة وامَّا مكتشفها فهو جمس غريغوري وصنع اخرى غيرها في سنة ١٦٧١ اخذها الملك ولا تزال الى اليوم في الجمعية الملكية ثم عكف على درس الكيمياء والظاهر انهُ كان يعتقد اعتقاد القدماء فيها وصار استاذًا للرياضيات سنة ١٦٦٩ وهو على سبع وعشرين سنة من العمر. وانتخب عضوًا في الجمعية الملكية في سنة ١٦٧٢ ثم استعفى في السنة التالية ولعلهُ كان يشكو الفاقة حينئذٍ لان الجمعية عفتهُ مع نفر آخرين من دفع المرتّب وهو سنة غروش في الاسبوع. ووجَّه فكرتهُ الى تربية الاشجار المثمرة في سنة ١٦٧٦ وعاد الى

مسألة الجاذبية العامة في سنة ١٦٧٩ وكان تركها سبع عشرة سنة منذ خطرت له في ضيعتهِ. وبنى حسابهُ على قياس الدرجة الصحيح من الاميال حسب ما تقرَّر من لجنةٍ قاستها حينئذٍ فوجدهُ صحيحًا فجملة اساسًا وانبأ بناء عليهِ بتسطح الارض من قطبيها وحسب مقدار تسطحها. وانبأ ايضًا بتغيُّر ثقل الاجسام على سطح الارض باختلاف العرض وعلَّل عن مبادرة الاعتدالين والمد والجزر وقال بمعرفة حجم السيَّارات من معرفة جاذبيتها بعضها للبعض ومعرفة جاذبيتها من اضطراب حركاتها وعلَّل عن معادلة الاختلاف والمعادلة السنوية للقمر وعن تقدُّم نقطة الراس وانتقال العقدتين وبرهن ذلك كلهُ الفلاسفة العظام الذين قاموا بعدهُ. واعلن اكتشافاتهِ هذه للجمعية الملكية في سنة ١٦٨٥ وابتدأ في نيسان منها يؤلّف كتابهُ الشهير المعروف بكتاب المبادئ قالوا صنَّفهُ في سنة ونصف سنة. وكان يناقض اقوال الفلاسفة الشائعة حينئذٍ فانبرى له منهم كثيرون وتواردت عليهِ المجادلات من كل جهة باوربا. قال ڤولتير ولم يكن لنيوتن اكثر من عشرين تابعًا يوم موتهِ مع ان كتابهُ كان لهُ اربعون سنة في العالم. وذلك لسموّ مباحثهِ وطموّ سيل معانيهِ فلم يقدر حتى فحول فلاسفة ذلك الزمان على فهمهِ الَّا بعد الجهد وامعان النظر غير انهُ لم يقم لنيوتن مقاوم الَّا اذعن اخيرًا واقرَّ بفضلهِ وغزارة علمهِ. واما حسَّادهُ فكانوا يشتعلون بنيران حسدهم وانكفأوا خاسرين وجلبوا على انفسهم بحسدهم المذمَّة والملامة في كل جيل

وفي ابتداء سنة ١٦٩٢ الَمَّت بهِ نائبة اعدمتهُ الصحة وقال بعضهم اورثت عقلهُ خللاً وذلك انهُ كان قد صرف زمانًا طويلاً وقاسى اتعابًا كثيرة في تصنيف كتاب يحوي تجاربهُ الكيماوية والفلسفية وغيرها وكان قد قارب الكمال فعرضت لهُ حاجة مساء يوم وهو في مكتبهِ فخرج تاركًا هناك شمعة مشتعلة بجانب كتابهِ وكان لهُ كلب صغير يُسمَّى ديامند وكان حينئذٍ في المكتب فلما اغلق نيوتن الباب اغلقهُ عليهِ سهوًا فاتفق انهُ رمى الشمعة بين الاوراق فاحرقت كل ذلك الكتاب الثمين ورجع نيوتن فاذا الكتاب قد احترق ولم يبقَ منهُ الَّا الرماد قيل فالتفت

الى الكلب وقال لهُ يا ديامند يا ديامند انك لا تعلم الشرّ الذي عملت. وكذّب بروستر ذلك. وقال تلميذ ممن كان حينئذٍ في المدرسة وكنا جميعًا نتوقع الجنون لنيوتن فانهُ بقي شهرًا كانهُ غير ما هو. اه. وفي سنة ١٦٩٥ أُقيم حارسًا في معمل المسكوكات ثم معلمًا فيهِ بعد باربع سنين فافاد كثيرًا بمعارفهِ الكيماوية. وانتخب عضوًا مراسلاً لاكادمية العلوم بباريس وأُقيم رئيسًا للجمعية الملكية بلندن في سنة ١٧٠٣ وبقي في الرياسة باقي ايامهِ وتقلّد رتبة فارس بانعام من جهة ملكة الانكليز في سنة ١٧٠٥ وكتب نبذة في السنين المستعملة عند القدماء وتقريرًا في المسكوكات وكتابًا في ملخّص تاريخ الاجيال اتمّهُ بطلب امرأة وليّ العهد لمطالعتها الشخصية وكانت من فضليات بنات جنسها واعلمهنّ فاستحوذ عليهِ بعضهم وطبعهُ في باريس على غير علمهِ ولا ارادتهِ فحملهُ ذلك على تأليف كتاب اتمّ واوسع مات ولم يكملهُ

ولهُ خطبٌ في الحساب والجبر والمقابلة كان يقدّمها وهو استاذ وطُبعت ايضًا بغير رضًى منهُ على ما قيل فكملها وبيّضها وطبعها ثانيةً وكلتا الطبعتين باللاتينية وقد تترجمتا الى الانكليزية . وكان لاهوتيًا فاضلاً طويل الباع في المعارف الدينية كتب فيها كتبًا وشروحًا وتفاسير وكتب ايضًا في وجوب الاعتقاد بوجود الله ضدّ الكفرة. ولهُ كتابات في الكيمياء ايضًا ورسالات وتعليقات شتّى في فنون متعدّدة عدا عن تصانيفهِ التي تجلُّ قدرًا عمّا سواها في الفلسفة الطبيعية وعلم الهيئة والعلوم الرياضية السامية لما بها من الاكتشاف الباهر والعلم الزاخر

وقضى نيوتن ثمانين سنةً من عمرهِ معتدل المزاج صحيح البدن سليم العقل ثم تناوشتهُ العلل واشتدّ عليهِ الم المثانة فانهُ مات بحصاة فيها . واعتراهُ قبل موتهِ سعال شديد والتهاب في الرئة فخرج من لندن الى كنسكتن فلانهُ الهواء فيها .

وفي سنة ١٧٢٧ اتى يحضر اجتماع الجمعية الملكية في لندن فعاودهُ الالم عنيفًا متناوبًا اذا جاءتهُ النوبة سال عرقهُ قطرات كبيرة من الالم . وكان يلقى ذلك بالصبر الجميل ولم يتحوّل عن بشاشتهِ وحسن اخلاقهِ ولم يبدُ منهُ ضجر ولم يتشكَّ بكلمة. توُفّي ولهُ من العمر خمس وثمانون سنة ودُفِن في كنيسة وستمنستر مدفن العلماء

والاشراف . وجرى له عند دفنهِ احتفال عظيم وحملهُ ستة من اكابر اشراف المملكة والدولة وتحسّر عليهِ عالم المعارف . ونصب له ذووهُ تمثالاً بخمس مئة ليرا انكليزية ونقشوا عليهِ باللاتينية ما معناهُ ليفتخر الاحياء ان قام في العالم انسان البس البشر ثوب مجد لا يثمن

وترك نيوتن تركة تساوي اثنين وثلاثين الف ليرا انكليزية وعاش بالرغد كل ايامهِ ولم يقتر على نفسهِ وكان كريماً جواداً نحو الجميع متلافاً نحو اقاربهِ ومن اقوالهِ من لم يعطِ الا بعد موتهِ فلم يعطِ شيئاً . وعاش عزباً كل حياتهِ قال بعضهم انهُ لانشغالهِ في العلوم لم يكن له وقت للفكر في العيال والبيوت . وكان متوسط القامة حادّ البصر لم يلبس العوينات كل ايامهِ ولم يقلع الاسناً واحدة على ما قيل ومال الى السمن في شيخوختهِ ولم يكن في منظرهِ دليل على شيء مما هو من سمو الادراك وسرعة الفهم . وكان قليل الكلام جاهلاً في ابواب المعاشرة غير طلق اللسان عديم الصبر على المقاومة والجهل غير مدّعٍ حليماً بشوشاً مسالماً تقياً ورعاً كثير المطالعة في الكتب المنزلة حتى اقتصر عليها في آخر ايامهِ وجعل اكثر احاديثهِ فيها . ومما تجمّل بهِ غير هذه من الاخلاق انهُ لم يكن يحسب نفسهُ الا على ادنى مما هو . اجاب احد العلماء عن اكتشافاتهِ قائلاً اذا كنت قد خدمت العالم بكتشفاتي فذلك انما كان بالاجتهاد والصبر الجميل . وسُئل مرةً عن كيفية اكتشافهِ فقال افتكر في الشيء دائماً وقال ايضاً في معرض كذلك اثبت فكري في موضوع واصبر فتبزغ عليَّ الاشعة شيئاً فشيئاً الى ان تصير نوراً كاملاً . ومن اشهر اقوالهِ وقد اجتمع حولهُ اصحابهُ يثنون عليهِ ويتعجبون من اكتشافاتهِ . لستُ اعلم ما يقول العالم عن اعمالي واما انا فاني اراني طفلاً يلعب على شاطئ بحر الحقائق فتارةً يلتقط عنهُ حصاةً وتارةً صدفةً منمقة عن غيرها قليلاً . اه . والظاهر انهُ لم يكن يعتقد بالثالوث في اللاهوت وقال بعضهم بل كان يعتقد بهِ

هذا وان من يتأمل في حياة هذا الفيلسوف الشهير وما انطوى عليهِ من الاخلاص والمسالمة وما ازدان بهِ من الدعة وانخفاض الجناح وما بدا في اشغالهِ

من الحكمة والذكاء والاجتهاد والثبات في العزم لا جرم نزّله اسمى منزلة من الاعتبار وعجز عن ترجيح احدى تلك الصفات فيهِ على غيرها. ومع ذلك فلم ينجُ من سهام الحاسدين ولا صفت لهُ الحياة من كدَر المناظرة والمشاحنة فانهُ ما اكتشف اكتشافًا الاَّ قام لهُ من ادَّعاهُ وتندَّد بهِ او نسبهُ الى الجهل والاستراق. ولا صنَّف تصنيفًا الاَّ اعترضهُ الفلاسفة من كل فجّ بالطعن والتخطئة اما حسدًا او تمسكًا بآرائهم الفاسدة. فكان ذلك يلجئهُ رغمًا عنهُ الى الرد والدفاع ويذهب براحة بالهِ ونعيم عيشهِ ويفضي بهِ الى حال لا توافق ما جُبل عليهِ من حب المسالمة كما يظهر من رسالةٍ ارسلها الى بعض الفلاسفة وفيها يقول لقد اضنتني المجادلات التي اثرتها عليَّ بالقول الذي قلتهُ في النور واني لالوم نفسي على قلة فطنتي وفقدي راحتي بيدي راكضًا وراء ظلّ وقال في رسالةٍ اخرى لقد استعبدتني الفلسفة فاذا تخلَّصت من الجدال فاني لأتركها الى الابد الاَّ ما اجد فيهِ لذَّة لشخصي منها او ما يشتهر بعدي. ولم يكن احد اسعد منهُ بين اهل الاقدام على الكبائر ولم يسُد احدٌ سؤددهُ على عالم المعارف ولم تكاشف الطبيعة احدًا باسرارها كما كاشفتهُ. وضع فنّ السيَّالة المشهور بالتمام والتفاضل وهو اسمى الفنون الرياضية المعروفة ولم يكن بلغ من العمر السنة الثالثة والعشرين ولم يستعظمهُ مع كل سموّهِ فابقاهُ خفيًّا عن الابصار كانهُ لا يستحقُّ الإشهار وانما اشهرهُ اذ مسَّت الحاجة اليهِ

وكان اذا اعمل النظر في موضوع استقلَّ فكرهُ بهِ عن سائر الامور وغاص في بحار التأمُّل فيهِ غافلاً عما سواهُ. ولذلك فكثيرًا ما كان ينسى نفسهُ وحاجاتهِ فينهض من فراشهِ وياخذ في لبس ثيابهِ فيدخل يدهُ في احد كمَّي ثوبهِ ثم اذا دنا فكرهُ بموضوعٍ قبل ادخال يدهِ الثانية من الكم الآخر نسي اللباس ولبث بين لابس وعريان حتى يُنبَّه. وكان ينسى الطعام فيصوم النهار كلهُ اذا لم يدعهُ احدٌ اليهِ. حُكي عنهُ انهُ دعا يومًا صديقًا من اخصَّائهِ الى الغذاء فاتى الصديق في الوقت المعيَّن فوجد الطعام على المائدة ولم يكن احد هناك فجلس ينتظر نيوتن حتى ملَّ الانتظار واشتدَّ بهِ الجوع فقال ابدأُ في الاكل فان اتى وانا آكُل اكلنا

معًا والاّ اكلت حصتي وابقيت له حصتهُ. وكان على المائدة دجاجة فقطعها وتناول منها كفايتهُ ثم غطّى الباقي وانصرف . وبعد ساعات فطن نيوتن لنفسهِ وكان الجوع قد فعل بهِ فعلاً منكرًا فهرول الى بيت المائدة ورفع الغطاء عن الدجاجة فاذا هي مقطّعة وبعضها ماكول فضحك وقال ما اظنّني اني لم آكل وقد اكلت بعض الدجاجة. وقال الناسخ الذي كان عندهُ وكان نيوتن يخطب خطبًا على تلامذتهِ ايام تأليفهِ كتاب المبادئ وكانت مملّة لا طلاوة فيها لانشغالهِ بالمواضيع السامية كل الانشغال فلذلك كان التلامذة ينفرون من استماعهِ ولا يحضر منهم الاّ القليلون وكثيرًا ما كان يخطب على حيطان القاعة لقلتهم . انتهى

هذا ما احتملهُ المقام من ترجمة شيخ الفلاسفة وقد بذلنا الجهد في اختصارهِ مُقتطفًا من مؤلّفات شتّى

القسم الرابع

فصول تاريخيَّة

بيروت

ان موقع بيروت شرقيّ راسٍ داخلٍ في البحر يُسمَّى ثغرًا. قيل سُمّيت بيروت من هيكلٍ كان فيها لبعل بيريث احد آلهة الفينيقيين. وقيل من كثرة آبارها لان لفظة بير في اللغة العبرانيَّة والسريانيَّة والفينيقيَّة والعربيَّة بمعنى واحد. فتكون الواو والتاء للجمع في غير العربيَّة. وكانت تُدعَى دِرْبي. وكان الرومانيون واليونانيون يسمّونها بِريتوس. وقيل انها بروث او بيروثا المذكورة في سفر الملوك الثاني وفي نبوة حزقيال. وكان لها هيكل في قمَّة جبل شرقيّها يُسمَّى الآن دير القلعة. وكان الماء ياتي اليها فوق قناطر عظيمة من ينبوع النهر المنسوب اليها تُسمَّى قناطر زُبَيدة. وقبل سيّدنا يسوع المسيح بمئة واربعين سنة اخربها ديودوتوس اتريفون قائد جيش اسكندر بلاس ملك سورية الانطاكيّ وبقيت خرابًا خمسًا وسبعين سنة الى ان رممها الرومانيون واحضر اغريفا صاحب اغوسطوس عسكرًا واسكنهُ فيها. وذلك قبل المسيح بثلاثين سنة. فازوجهُ اغوسطوس بابنتهِ جوليا وسمَّى المدينة باسمها جوليا فيلِكْس اي جوليا السعيدة

وفي ايام قلوديوس قيصر سنة ٥٥ زيَّنها اغريفا العظيم ملك اليهود بانواع الابنية المزخرفة. واقام بها هياكل عديدة وحمَّامات واروقة ومراسح يلعب فيها الشعب حسب عادة الرومانيين. وامر الفًا واربع مئة رجل مقضيًّا عليهم بالموت ان يقتتلوا فيها فرقتين. فاقتتلوا حتى اهلك بعضهم بعضًا. ولما رجع تيطس قيصر

من فتح القدس صنع فيها عيدًا عظيمًا لمولد ابيهِ فسبسيانوس وقتل جمعًا غفيرًا من اليهود الذين سباهم . وسنة ٢٢٣ أُقيم فيها مدرسة عظيمة للشرائع الرومانية اشتهرت بمدرسة علم الفقه فقدم اليها تلاميذ من بلاد اليونان والديار المصرية . فلُقّبت المدينة بمدينة العلماء. وفي الجيل الخامس سماها الملك يوستنيانوس الكبير مرضعة الفقه . واستدعى منها اربعة من الفقهاء لكي يؤلفوا لهُ كتب الشريعة . وفي الجيل السادس حدثت فيها زلزلة عظيمة خربت بها فنُقِلت المدرسة الى صيدا . وفي الجيل السابع فتحها عمر بن الخطّاب . وفي اواخر الجيل التاسع حدثت فيها زلزلة شديدة فسقط منها جانب عظيم . وسنة ١٠٩٩ قدَّم واليها اقامات لعساكر الافرنج المارّين بها في طريقهم من انطاكية الى القدس تطييبًا لخاطرهم . وسنة ١١١٠ حاصرها بلدوين الاول ملك القدس الافرنجيّ خمسة وستين يومًا حتى فتحها . وكان سورها منيعًا والجنادق محدقة بها

وسنة ١١٨٣ حاصرها الملك صلاح الدين الايوبيّ برًّا وبحرًا . ولما بلغهُ خبر قدوم الافرنج اليها قطع اشجارها ورحل عنها . وسنة ١١٨٧ لما انكسرت شوكة الافرنج عند طبريَّة رجع اليها الملك المذكور وحاصرها ثمانية ايام ثم تسلمها بالامان وسنة ١١٩٥ تسلّمها الافرنج عنوةً . وسنة ١٢٩٠ قدمت جيوش الملك الاشرف اليها فوعد قائدهم سنقر جياعي الشجاعي اهلها بحفظ العهود السابقة وطلب ان يخرجوا اليهِ بالامان ولما اقبلوا عليهِ امر بالقاء القبض عليهم فقبضوا على ست مئة رجل منهم فتملّك المدينة والقلعة وهدمها وجعل كنيستها جامعًا ثم اطلق الاسرى. ثم عمرت المدينة ورجعت الى حالها وصارت مينا لدمشق

قيل انهُ في احد الايام قدم اليها ابن ملك البندقيّة بجماعة من اعوانهِ طلبًا للتنزُّه . فتحققت منهُ اهالي المدينة . فقال لهم شيخ منهم اعمى انا اقتل هذا الغلام واكفيكم شرَّهُ بشرط ان تكفُّوا اصحابهُ عني اذا حملوا عليَّ . فاجابوهُ الى ذلك واقاموا لابن الملك كرسيًا في فسحةٍ امام باب القيسارية العتيقة فجلس . ثم حضر الشيخ الاعمى بجماعة من اصحابهِ ودنا منهُ يسألهُ صدقةً . وبينما كان يخرج لهُ الصدقة

من كيسهِ هجم عليهِ الاعمى واخذ بعنقهِ ليخنقهُ . فوثبت عليهِ اعوان الملك فلم يمكّنهم اصحاب الشيخ من الوصول اليهِ حتى مات. ثم مالوا على اعوانهِ بالسيف فقتلوا قومًا منهم والذين نجوا هربوا الى البندقيّة فاخبروا الملك والدهُ

فلما بلغهُ ما اصاب ابنهُ استشاط غضبًا وجهّز مراكب حربية وارسلها على المدينة فضربتها. ولما فتحت العساكر المدينة قتلوا منها خلقًا كثيرًا واحرقوا المدينة وهدموها . فتشتت الذين بقوا من اهلها وبقيت خربة مهجورة حتى رجع جماعة منهم فاصلحوا بعض مساكن منها. وما زالت كذلك الى زمن الامراء التنوخيين فبنى الامير ناصر الدين الحُسَين بن خضر دارًا عظيمة على جانب البحر وبنى طباقًا فوق الاقبية وادار حولها سورًا وتملّك الزقاق المعروف بزقاق الخيّالة . وبنى تنكز نائب دمشق خانًا في الميناء. وبنى الامير زين الدين عمر بن عيسى قصرًا مشهورًا. وبنى الامير منذر جامع النوفرة المعروف باسمهِ . وبنى اقاربهُ مساكن مشرفة على البحر شمالًا. وسنة ١٦٢٣ جدّد الامير فخر الدين بناء البرج الكشّاف وبنى خان الوحوش والجنينات . وبنى الامير عساف سيفا جامع دار الولاية المعروف باسمهِ. وفي الجيل السابع عشر خربت حتى صارت كقرية. وسنة ١٧٤٩ انتقلت ولايتها الى الامير ملحم الشهابي . فبنى خان الملّاحة. واخوهُ الامير منصور الوالي طاقة القصر والديوان وميزان الحرير والقيساريّة المعروفة باسمهِ. واخوهُ الامير عليّ قيسارية الصاغة ودارًا بقرب البرج الجديد . واخوهُ الامير يونس القيسارية المعروفة باسمهِ. واخوهُ الامير حسين دارًا تحت البرج الجديد. واخوهُ الامير بشير السمين دارًا تحتها متصلة بالمدينة قرب باب يعقوب . والامير يوسف ملحم الوالي قيسارية الاروام . وزوجة الامير احمد المكنّاة بامّ دبّوس القيسارية العتيقة والبرج المستدير بجانب السور . والامير مراد منصور البرج الجديد فوق طاقة القصر. والامير قاسم عمر حوانيت الحياكين عند باب يعقوب. ولهم ابنية وبساتين اخرى

وكان للامير سليمان اللمعيّ قيسارية البارود . وللشيخ عبد السلام العماد

قيسارية باسمهِ في راس سوق العطّارين الجنوبي . وللشيخ شاهين تلحوق قيسارية باسمهِ قرب القيسارية العتيقة. وسنة ١٧٧٢ حاصرتها العمارة المسكوبيّة واطلقت عليها مدافعها طلقا واحدًا. فهدمت جانبًا منها. فتسلّمتها عساكر المسكوب واخذوا في النهب والحريق . فصالحهم الامير يوسف الشهابي الوالي على خمسة وعشرين الف غرش فانصرفوا عنها. وسنة ١٧٩١ اخرج الجزّار الافرنج منها وهدم دور الامراء الشهابيين وبنى بحجارتها السور. الاّ دار الامير مراد فانهُ ابقاها حصنًا. واحرق بعض بيوت للنصارى وجعل كنائسهم اصطبلات . وقطع اشجار اهل البلاد التي بجوانب المدينة

وفي اوائل الجيل التاسع عشر انتقلت تجارة الافرنج اليها. وسنة ١٨٢٥ قدم اليها عمارة اروام واطلقوا عليها المدافع. ثم رجعوا عنها . وسنة ١٨٣١ تسلمها ابرهيم باشا ابن محمد علي والي مصر ورصف بعض ازقّتها بالبلاط . وسنة ١٨٤٠ فتحها السلطان عبد المجيد العثماني وطرد ابرهيم باشا منها بعد ان هدمت مدافع الدول المتحدة جانبًا من ابراجها ودورها. وجعلها السلطان مقرّ وزير الايالة. فكثرت فيها الابنية المتقنة والآبار والجنائن والاشجار الغريبة داخلًا وخارجًا. وتقاطرت اليها الغرباء من جميع الاجناس والحرف واتسعت تجارتها وأُحدِثت فيها مدارس ومطابع ولغات ومصانع. وبها جماعة من العلماء والشعراء المشهورين واكثر سكانها اسلام ونصارى

خبر الصلح بين السلطان صلاح الدين والملك رشارد الانكليزي في زمن الصليبيّة

ولما كان غروب الشمس سابع عشر شعبان انفذ بدر الدين دلدرم من اليزك يقول انهُ خرج الينا خمسة انفس منهم شخصٌ مُقدَّم عند الملك يُسمّى هونت وذكروا ان لهم معنا حديثًا فهل اسمع حديثهم ام لا. فأذن لهُ السلطان في ذلك . ولما كان عشاء الآخرة حضر بدر الدين بنفسهِ واخبر ان حديثهم كان ان الملك

قد نزل عن عسقلان وعن طلب العوض عنها وقد صحّ مقصودهُ في الصلح . فاعادهُ السلطان ثانيةً فنفذ اليهِ ثقةً ياخذ يدهُ على ذلك ويقول ان السلطان قد جمع العساكر وما يمكنني ان احدّثهُ هذا الحديث الاّ ان اثق بك ان لا ترجع فيهِ وبعد ذلك احدّثهُ . وسار بدر الدين على هذه القاعدة وكتب الى الملك العادل يخبرهُ بما جرى

ولما كان يوم السبت ثامن عشر شعبان انفذ بدر الدين وذكر انهُ اخذ يدهُ على هذه القاعدة بمن يثق بهِ وان حدود البلاد على ما استقرّ في الدفعة الاولى مع الملك العادل . فاحضر السلطان الديوان فذكروا يافا واعمالها واخرج الرملة منها ويبنا ومجدل يابا ثم ذكر قيسارية واعمالها وارسوف واعمالها وحيفاء واعمالها وعكاء واعمالها واخرج منها الناصرة وصفورية واثبت الجميع في ورقة وكتب جواب الكتاب وانفذهُ على يد طرنطاي مع الرسول . وكان قد وصل الرسول لتحرير القاعدة مع بدر الدين في عصر السبت وقال للرسول هذه حدود البلاد التي تبقى في ايديكم فان صالحتم على ذلك فمبارك قد اعطيتكم يدي فلينفذ الملك من يحلف ويكون ذلك في غداة غد والاّ فيعلم ان هذا تدفيع ومماطلة ويكون الامر قد انفصل من بيننا

وساروا في بكرة الاحد على هذه القاعدة . ولما كان عشاء الآخرة يوم الاحد وصل من اخبر بوصول طرنطاي ومعهُ الرسول واستأذن في حضورهم فأذن في حضور طرنطاي وحدهُ وذكر ان الملك قد وقف على تلك الرقعة وانكر انهُ نزل عن العوض فاذكرهُ الجماعة الذين خرجوا الى بين يديه دلدرم انهُ نزل عن ذلك . قال اذا انا قلتهُ فلا ارجع عنهُ قرأوا للسلطان مبارك رضيت بهذه القاعدة وقد رجعت الى مروءتك فان زدتني شيئاً فمن فضلك وانعامك ثم سار واحضر الرسل ليلاً واقاموا الى بكرة واحضروا الرسل عند السلطان بكرة الاثنين وذكروا ما استقرّ عن صاحبهم ثم انفصلوا الى خيمهم . وحضر عند السلطان ارباب المشورة واستقرّ الامر وانفصلت القاعدة وسار الامير بدر الدين دلدرم

الى الملك العادل واخذ الرسل معهُ في صورة من يسأل في زيادة الرملة . وعاد عشاء الآخرة ليلة الاثنين وكُتِبَت المواصفة وذُكِر فيها شروط الصلح ثلاث سنين من تاريخها وهو الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمس مئة ويُزاد فيها الرملة لهم ولدّ ايضاً . وسيّر العدل وقيل له ان قدرت ان ترضيهم باحد الموضعين او مناصفتها فافعل ولا يكون لهم حديث في الجبليات ورأى السلطان مصلحة لما عنا الناس من الضعف وقلة النفقات والشوق الى الاوطان ولما شاهد من تقاعدهم على يافا يوم امرهم بالحملة فلم يحملوا فخاف ان يحتاج اليهم فلا يجدهم فرأى ان يجيبهم مدّةً حتى يستريحوا ويتبعوا هذه الحالة التي صاروا اليها ويعمر البلاد ويشحن القدس بما يقدر عليهِ من الآلة ويتفرّغ لعمارتها

وكان من القاعدة ان عسقلان تكون خرابًا وان يتفق اصحابنا واصحابهم على خرابها خشية ان ناخذها عامرة فلا نخربها فمضى العدل على هذه القاعدة واشرط دخول بلاد الاسلامية واشرطوا هم دخول صاحب انطاكية وطرابلس في الصلح على قاعدة آخر صلح صالحناهم عليهِ واستقرّ الحال على ذلك وسارت الرسل وحكم عليهم انهُ لا بدّ من فصل الحال اما الصلح او خصومة خشية ان يكون هذا الحديث من قبيل احاديثهِ السابقة ومدافعاتهِ المعروفة

وفي ذلك اليوم وصل رسول سيف الدين بكتمر صاحب اخلاط يبذل الطاعة والموافقة وسيّر العسكر . وحضر رسول الكرج ذكر فصلاً في معنى الزيارات التي لهم في القدس وعمارتها وشكوا انها أُخِذَت من ايديهم ويسأل عواطف السلطان ان يردّها الى نوابهم ورسول صاحب ارزن الروم يبذل الطاعة والعبودية

ولما وصل العدل الى هناك أُنزِل خارج البلد في خيمة حتى أُعلم الملك بهِ . فلما علم بهِ استحضرهُ عندهُ مع بقية الجماعة وعرض العدل عليهِ النسخة وهو مريض الجسم . فقال لا طاقة لي بالوقوف عليها وانا قد صالحت وهذه يدي . فاجتمعوا بالكندهري والجماعة واوقفوهم على النسخة ورضوا بلدّ والرملة مناصفة وبجميع ما في

النسخة واستقرّت القاعدة انهم يحلفون بكرة يوم الاربعاء لانهم كانوا قد اكلوا شيئاً وما عادتهم الحلف بعد الاكل وانفذ العدل الى السلطان قد عرّفه ذلك

ولما كان يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان استحضروا الجماعة عند الملك واخذوا يدهُ وعاهدوهُ واعتذر ان الملوك لا يحلفون وقنع السلطان بذلك ثم حلف الجماعة والمستحلف الكندهري ابن اخته المتخلف عنه في الساحل وباليان ابن بارزان صاحب طبرية ورضي الاسبتار والداوية وسائر مقدمي الافرنجية بذلك وساروا في بقية اليوم عائدين الى المخيم السلطاني فوصلوا عشاء الآخرة . وكان الواصلين من جانبهم ابن الهنفري وابن بارزان وجماعة من مقدميهم فاحتُرموا وأُكرِموا وضُرِب لهم خيمة تليق بهم . وحضر العدل وحكى ما جرى

ولما كان صبيحة ثالث وعشرين حضر الرسول في خدمة السلطان واخذ يدهِ الكريمة وعاهدهُ على الصلح على القاعدة المستقرّة واقترحوا حلف جماعة الملك العادل والملك الافضل والملك الظاهر عزّ نصرهُ والمشطوب وبدر الدين دلدرم والملك المنصور . وكان مجاورًا لبلادهم كابن المقدّم وصاحب شيزر وغيرهم ووعدهم السلطان ان يسير معهم رسولاً الى الجماعة المجاورين ليحلّفوهم لهم وحلف لصاحب انطاكية وطرابلس وعلّق اليمين بشرط حلفهم للمسلمين فان لم يحلفوا فانهُ لا يدخلوا في الصلح

ثم امر المنادي ينادي في الوطاقات والاسواق ألا ان الصلح قد انتظم في سائر بلادهم فمن شاء من بلادهم ان يدخل الى بلادنا فليفعل ومن شاء من بلادنا ان يدخل الى بلادهم فليفعل . واشاع ان طريق الحج قد فُتح من الشام ووقع لهُ عزم الحج في ذلك المجلس وكنت حاضرًا ذلك جميعهُ ووقع لهُ ذلك . وامر السلطان ان يسير مئة نقاب لتخريب سور عسقلان معهم امير كبير ولإخراج الافرنج منها ويكون معهم جماعة من الافرنج الى حين وقوع الخراب في السور خشيةً من استبقائهِ عامرًا

وكان يومًا مشهودًا غشي الناس من الطائفتين من الفرح والسرور ما

لا يعلمه الاّ الله تعالى وان الصلح لم يكن من ايثاره فانه قال لي في بعض محاوراته في الصلح اخاف ان اصالح وما ادري ما يكون مني فيقوى هذا العدو. وقد بقي لهم هذه البلاد فيخرجون لاستعداد بقية بلادهم وترى كل واحد من هؤلاء الجماعة قد قعد في راس قلة يعني حصنة وقال لا انزل ويهلك المسلمون فهذا كلامه. وكان كما قال لكنه رأى المصلحة في الصلح لسامة العسكر ولتظاهرهم بالمخالفة وكان مصلحة في علم الله تعالى فانه اتفقت وفاته بُعَيد الصلح فلو كان اتفق ذلك في اثناء الوقعات لكان الاسلام على خطر فما كان الصلح الاّ توفيقًا وسعادةً له

ولما كان خامس وعشرين شعبان ندب السلطان علم الدين قيصر الى خراب عسقلان وسيّر معه جماعة من النقّابين والحجّارين واستقرّ ان الملك ينفذ من يافا من يسير معه ليقف على الخراب ويخرج الافرنج منها فوصلوا اليها من الغد. فلما ارادوا الخراب اعتذر الاجناد الذين بها بأنّا لنا على الملك جامكية لمدّة فاما ان يدفعها الينا حتى نخرج او ادفعوها انتم الينا فوصل بعد ذلك رسول الملك يأمرهم بالخروج فخرجوا ووقع الخراب فيها سابع وعشرين شعبان واستمرّ بخربها وكتب على الجماعة رقاعًا في المعاونة على الخراب واعطى كل واحد قطعة معلومة في السور وقيل له دستورك في خرابها

ولما كان تاسع وعشرين رحل السلطان الى النطرون واختلط العسكران وذهب جماعة من المسلمين الى يافا في طلب التجارة ووصل خلق عظيم من العدو الى القدس للحج وفتح لهم السلطان الباب ونفذ معهم الخفراء يحفظونهم حتى يردّوهم الى يافا وكثر ذلك من الافرنج وكان غرض السلطان بذلك ان يقضوا غرضهم من الزيارة ويرجعوا الى بلادهم فيأمن المسلمون شرّهم. ولما علم الملك كثرة من يزور منهم صعب عليه ذلك وسيّر الى السلطان يسأله منع الزوار واقترح ان لا يؤذن لهم الاّ بعد حضور علامة من جانبه او بكتابه وعلمت الافرنجية ذلك فعظم عليها واهتموا في الحج فكان يرد في كل يوم منهم جموع كثيرة مقدمون واسباط وملوك متنكرون. وشرع السلطان في اكرام من يرد ومد الطعام ومباسطتهم

ومحاد ثتهم وعرّفهم انكار الملك ذلك واذن لهم السلطان بالحج وعرّفهم انهُ لم يلتفت الى منع الملك ذلك واعتذر الى الملك بان قومًا قد وصلوا من بُعدٍ لزيارة هذا المكان الشريف فلا استحلُّ منعهم ثم اشتدَّ المرض بالملك وقيل انهُ مات فرحل في ليلة تاسع وعشرين وسار هو والكندهري وسائر العدو الى جانب عكاء ولم يبقَ في يافا الاَّ مريض او عاجز ونفر يسير

خلافة المستكفي بالله العبَّاسي

امهُ امُّ ولد يُقال لها غصن بُويع لهُ بالخلافة يوم خلع ابن عمهِ المتقي وذلك يوم السبت لعشر بقينَ من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة للهجرة . ولما ولّي الخلافة خلع على بوزون التركي وفوّض اليهِ تدبير الممالك ولقّب المستكفي نفسهُ امام الحق وضرب ذلك على الدنانير والدراهم وخُطِب لهُ على المنابر

وفي هذه السنة سار الامير سيف الدولة علي بن حمدان الى حلب فملكها في شهر ربيع الاول وكان متوليها رجل يُقال لهُ بانس المونسي من قِبَل الاخشيد محمد بن طغج صاحب مصر والشام . ولما ملك سيف الدولة ألحق بابرهيم العقلي في جماعة من اصحابهِ فادركوهُ في قرية تُسمَّى بداريج بين سرمين والمعرة ونهبوا عيالهُ وكل من معهُ وهرب بنفسهِ

وكان سيف الدولة قبل تملكهِ حلب بيدهِ ميافارقين وديار بكر انعم عليهِ بذلك ناصر الدولة اخوهُ في سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة وقد ذكرناهُ اولاً

ثم ان سيف الدولة سار الى دمشق وهي بيد نواب الاخشيد فملكها واستولى عليها وركب يومًا الى الغوطة ومعهُ الشريف العقيقي يسايرهُ . فقال سيف الدولة للشريف ما تصلح هذه الغوطة الاَّ لرجل واحد . فقال لهُ الشريف العقيقي انها لأقوام كثيرة . فقال سيف الدولة ان اخذتها النواب واستولى عليها الدواوين لتبرز عنها اهلها واسرها الشريف العقيقي في نفسهِ وعرف بها اهل دمشق فكاتبوا الاخشيد ليأتي اليهم فسار من مصر في جيش عظيم وعلى نقدمتهِ كافور الاخشيدي

فوافى كافور دمشق وخرج سيف الدولة للقائهِ وخيّم كل واحدٍ منهم بازاء صاحبهِ وجاء يوم الجمعة. فقال اصحاب سيف الدولة هذا يوم لا يحلُّ فيهِ القتال وتفرّقوا في الضياع يطلبون العلوفة لدوابهم فخلا معسكر سيف الدولة من اكثر اصحابهِ. وعلم كافور بذلك فركب لكبس سيف الدولة. فلم يشعر سيف الدولة الاّ واوائل العسكر المصري قد خالطهُ فركب في عسكر قليل من اصحابهِ فانهزم اقبح هزيمة واستولى كافور الاخشيدي على جميع اثقالهِ واموالهِ . ووصل سيف الدولة الى حمص فنزلها. وتبعهُ كافور الاخشيدي بالجيوش فرحل سيف الدولة الى الرستن وعبر صوب حماه وتبعهُ كافور الى الرستن. فرجع سيف الدولة اليهِ ليقاتلهُ فالتقوا عند عقبة الرستن فانهزم كافور الاخشيدي وازدحم اصحابهُ على جسر الرستن فسقط منهم جماعة في النهر المعروف بالعاصي فغرقوا واسر منهم سيف الدولة نحو اربعة آلاف نفس واحتوى على جميع اثقال كافور الاخشيدي ومضى كافور منهزمًا الى حمص ثم الى دمشق واطلق سيف الدولة جميع الاسرى ورجع الى حلب

فلما بلغ الاخشيد ان سيف الدولة بن حمدان قد كسر عسكرهُ وهزمهُ سار بجموعهِ حتى اتى الى المعرّة . فبعث سيف الدولة سوادهُ واموالهُ واهلهُ الى الجزيرة وخرج الى لقاء الاخشيد على قنسرين وجعل الاخشيد يطاردهُ وطبولهُ وبوقاتهُ في مقدّمتهِ وانتقى من عسكرهِ قريبًا من عشرة آلاف وسماهم الصابرية ووقف بهم في الساقة فحمل سيف الدولة على مقدّمة الاخشيد فانهزمت المقدمة والمطارد فلكها واستولى على جملةٍ من سوادهم ودخل الاخشيد الصابرية التي معهُ فاستخلص سوادهُ وانفصل الفريقان وعاد سيف الدولة الى حلب ثم مضى الى منبج وقطع الجسر ومضى الى الجزيرة ومضى الاخشيد الى الرقة فتوجّه سيف الدولة الى الرقة ونزل في مقابلة الاخشيد والفرات بينهما وجرى بينهما مراسلات آخرها ان الامر تقرّر بينهما على ان يكون لسيف الدولة حلب وحمص وما بينهما ويكون للاخشيد من حدود حمص الى اقصى العرب وحفروا بين جوشنة والليوة خندقًا وجعلوهُ فاصلاً بين المملكتين وتزوّج سيف الدولة بنت الاخشيد ثم سار الاخشيد الى

مصر وعاد سيف الدولة الى حلب

قال وفي سنة ست وعشرين وثلاث مئة قدم معزّ الدولة بن بويه الى بغداد فاستتر المكتفي بالله خوفًا منه وانهزم اكثر الاتراك الى جهة الموصل. ثم بعث المكتفي بالله الى معز الدولة الطافًا وهدايا ووصل معز الدولة ووقف بين يديه طويلاً. ثم اخذ منه البيعة له واستحلفه باعظم الأيمان وخلع عليه وطوّقه وسوّره وفوّض اليه ما وراء بابه وعقد له لواء وضرب السكة باسمه وامر ان يخطب له على المنابر ولقّبه معز الدولة ولقّب اخاهُ الحسن ابا علي عماد الدولة وهو اكبرهم ولقب ابا علي ركن الدولة وهو اوسطهم وكان معز الدولة اصغرهم سنًا

قال وفي هذه السنة خُلع المستكفي وذلك ان معز الدولة دبّر على هلاكه فدخل على المستكفي وقبّل الارض بين يديه وطُرح له كرسي وجلس عليه. وتقدم رجلان من الديلم فمدّا ايديهما الى المستكفي فظن انهما يريدان يقبّلان يدهُ فناولهما يدهُ فجذباهُ من السرير ووضعا عمامته في عنقه وحُمِل الى معز الدولة راجلاً فاعتقله وسمل عينيه وخلعه ونهب دار الخلافة حتى لم يبقَ فيها شيء وذلك لثمان بقينَ من جمادى الآخرة. فكانت مدّة خلافته سنة واحدة واربعة اشهر ويومين وتوفّي في دار السلطان سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة وعمرهُ اربعون سنة واشهر ونقضت خلافته لتمام ثلاث مئة ثلاثة وثلاثين سنة وخمسة اشهر وعشرين يومًا للهجرة ولتتمة ستة آلاف واربع مئة سبع وثلاثين سنة وخمسة اشهر واربعة ايام شمسية للعالم

قال المؤرخ والذي ورد بتواريخ النصارى ان قسطنطين واستفان ولدي رومانوس ملك الروم خلعا اباهما من المملكة يوم الاثنين السادس عشر من كانون الاول سنة الف ومئتين ستة وخمسين للاسكندر موافق لاربع بقينَ من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة للهجرة ثم اخرجاهُ وسيّراهُ في مركب الى الجزيرة المعروفة بالابروي ورهّباهُ فيها وكانت مملكته ستًا وعشرين سنة. وكان شيخًا كبيرًا وصيّر قسطنطين واخوهُ صهرهما برداس القفاس دمستقًا وهو قائد الجيوش والعساكر. وبعد احد واربعين يومًا من ملكهما احتال صهرهما

الدمستق عليهما وقبضهما ونفاهما الى بعض الجزائر في السابع والعشرين من كانون الثاني الموافق للسابع من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة. وكانت مدّة مقامهما بعد نفي ابيهما احد واربعين يومًا واستولى الدمستق على المملكة وتسمى قسطنطين فاجتمع البطرك توفيلس بالبطرك بوافيس البراكموس واتفقا على خلع قسطنطين الدمستق واعادة رومانوس الشيخ المنفي الى المملكة وكانا يتوقعان وقتًا لذلك فاتصل الخبر بقسطنطين الملك فنفى البطرك وضرب من وافق على ذلك ضربًا شديدًا وحلق شعورهم ونفاهم عن المدينة

وفي كانون الاول سنة الف ومئتين تسعة وخمسة للاسكندر وعمل قومٌ على اخراج الاستفان من الجزيرة التي هو منفيٌّ فيها واعادته الى الملك فانتهى ذلك الى قسطنطين الملك فقبض عليهم وقطع آذان بعضٍ وضرب بعضًا واشهرهم في المدينة واما قسطنطين بن رومانوس الملك المنفي فانهُ عزم على العصيان بالجزيرة التي كان منفيًا فيها والتمس من المتوكل بهِ الموافقة على ذلك فقتلوهُ . ومات رومانوس الشيخ بالجزيرة في خامس وعشرين تموز سنة الف ومئتين تسعة وخمسين للاسكندر الموافق للرابع عشر من المحرم سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة

خلافة الطائع لله العبّاسي

امهُ امُّ ولدٍ يُقال لها عتبي بُويع لهُ بالخلافة يوم خلع ابوهُ نفسهُ وذلك لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاث مئة للهجرة وعمرهُ يومئذٍ سبع واربعون سنة وقيل خمسون ولم يلِ الخلافة من بني العباس من هو اكبر سنًا منهُ ولا وليها مَن ابوهُ حيٌّ غيرهُ وغير ابي بكر الصدّيق. ولما بُويع للطائع خلع على الامير سبكتكين وولاهُ ما وراء بابهِ

وفي سنة اربع وستين وثلاث مئة خرج الامير سبكتكين ومعهُ الطائع لله وابوهُ المطيع لحرب الامير عز الدولة بن بويه ونزلوا بدير العاقول . فمات المطيع ثم لحق سبكتكين ذرب فمات لسبع بقينَ من المحرّم . فكانت مدة ولايتهِ شهرين

وثلاثة عشر يوماً فعقدت الاتراك الامر لافتكين الشرابي مولى معز الدولة بن بويه. وسار افتكين والطائع والاتراك الى ان نزلوا على واسط وقد حصّنها عز الدولة فتحاربوا واشتدّ الحرب بين افتكين وعز الدولة. واتصل القتال بين الفريقين خمسين يوماً واشتدّ القتال على عز الدولة وضاقت الميرة عليهِ وكان مستصرخاً ابن عمهِ عضد الدولة فاستصرخ بعده ُعدة الدولة ابي تغلب بن ناصر الدولة. فصار عدة الدولة الى بغداد واستقرّ قدمهُ بها فقدم الطائع لله في جماعة الاتراك محاربًا لعدّة الدولة ودخل الطائع ومن معهُ بغداد وصار عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه من فارس الى واسط نجدة لابن عمهِ عز الدولة فنزل الجانب الشرقي وعز الدولة الجانب الغربي ورحلا حتى نزلا بدير العاقول ووقع الحرب بينهم وبين الاتراك فانهزمت الاتراك واستباح عضد الدولة عسكرهم ودخلوا بغداد . ثم دخل عضد الدولة ايضًا بغداد بجيوشهِ واجتمع بالطائع لله وتواضع لهُ وقبّل يدهُ. ولما استقرّت قدم عضد الدولة ببغداد قبض على ابن عمهِ عز الدولة وعلى استاذية جيشهِ وذلك لخمس بقينَ من جمادى الآخرة وكتب الى والدهِ ركن الدولة يخبرهُ بذلك فانكر عليهِ غاية الانكار وكتب اليهِ يهددهُ بالمسير اليهِ ان لم يرد عز الدولة ابن عمهِ الى ولايتهِ. فاطلق عضد الدولة ابن عمهِ عز الدولة الى ولايتهِ بعد ان استحلفهُ ان يكون نائبًا عنهُ بالعراق ولا يخالف امرهُ ولا امر ركن الدولة واستحلفهُ على ذلك الطائع لله واستحلفهُ عضد الدولة لنفسهِ ولابيهِ ركن الدولة وتوجّه عضد الدولة الى فارس

وفي هذه السنة تزوج الطائع لله سهربان بنت الامير عز الدولة بن معز الدولة بن بويه على صداق مئة الف دينار

وفي هذه السنة ملك افتكين دمشق وذلك انهُ لما هزمهُ عضد الدولة قدم دمشق في ثلاث مئة غلام من الاتراك وكان العيارون اذ ذلك متملكين بدمشق متحكمين في اهلها فاجتمع اكابرها الى افتكين وسألوهُ ان يتقلد امرهم ففعل وكف يد العيارين عنهم واحسن السيرة

وفي هذه السنة خرج سمسق ملك الروم وفتح حمص وبعلبكّ ثم سار الى دمشق ولقيهُ افتكين الشرابي فاقبل سمسق الى صيداء فصالحهُ اهلها على مال حملوهُ ثم مضى الى طرابلس فقام على حرب اهلها نيفًا واربعين ليلة فدسّ اليهِ باسيل وقسطنطين سمًّا في شراب فمرض منهُ فرحل الى انطاكية فامتنع اهلها عليهِ وقطع اشجارها وقوي عليهِ مرضهُ فاستخلف على حصارها البرجي البطريق ومضى الى القسطنطينية ففتح البرجي انطاكية ثم مات سمسق بعد قليل

قال وفي سنة خمس وستين وثلاث مئة كانت وفاة المعز لدين الله صاحب مصر وذلك لاحدى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول. فكانت مدّة ملكهِ ثلاثًا وعشرين سنة واربعة اشهر واياما منها بمصر ثلاث سنين. وكان عمرهُ ست واربعين سنة. وسيرتهُ كان جوادًا عادلاً حسن السيرة جميل السياسة

ومما رُوي عن عدلهِ ان زوجة اخشيد لما زالت دولتهم اودعت عند رجل يهودي ثوبًا منسوجًا بالذهب وبدائرهِ من الجوهر شيء كثير وجعلهُ في جرة نحاس ثم بعد مدّة طالبت اليهودي فانكرهُ. فقالت خذ بعضهُ فلم يفعل. فقالت اعطني الكمّ الواحد وخذ انت الجميع. قال وكان فيهِ تسعة وعشرون من الدر العالي فلم يفعل ايضًا هذا. فاتت الى قصر الملك فدخلت عليهِ واستأذنتهُ في الكلام فأذن لها وعرّفتهُ بحال اليهودي فاحضرهُ واستقرّهُ فلم يقرّ. فبعث الى دارهِ من خرب الحيطان وظهرت الجرة في جدار الدار. فلما رأى المعز الثوب تعجّب من الجوهر واللؤلؤ الذي فيهِ ووجدوا ان اليهودي قد اخذ من صدرهِ درّتين فاعترف انهُ باعها بالف وست مئة دينار. فسلّم الثوب الى المرأة على حالهِ. فاجتهدت ان ياخذهُ ويعطيها مهما اراد فلم يفعل. فقالت لهُ يا سيدي هذا الثوب كان يصلح لي وانا زوجة صاحب مصر فاما الآن فلا حاجة لي اليهِ فابى ان ياخذهُ فاخذتهُ المرأة فانصرفت

وكان المعزّ مفتونًا بعلم النجوم فاخبرهُ منجم ان عليهِ قطعًا واشار عليهِ ان يتخذ سردابًا تحت الارض ويتوارى فيهِ مدّة. ففعل ذلك وتوارى في سرداب. فلما

طالت غيبتهُ ظن المغاربة انهُ قد رُفع فكانوا اذا ابصروا الغمام ترجّل الفارس منهم الى الارض ويقول السلام عليك يا امير المؤمنين ظنًّا ان المعز في الغمام. فلما انقضت مدّة القطع التي اشار بها المنجم وهي على ما يُقال سنة كاملة خرج المعز من السرداب وتوفّي بعد ذلك بمدّة يسيرة

وبعد وفاتهِ بُويع العزيز بالله ابو المنصور برار بن المعز الفاطمي يوم توفّي والدهُ. وكان مولدهُ بالمهدية يوم الخميس الرابع والعشرين من المحرّم سنة اثنتين واربعين وثلاث مئة وقيل في المحرّم سنة اربع واربعين وثلاث مئة وولي الامر ولهُ احدى وعشرون سنة واشهر. واقام بامرهِ جوهر مولى المعز

وفي هذه السنة أُقيمت الدعوة للعزيز بمصر بعد ان حُوصر اهلها وجرت حروب كثيرة

وفي هذه السنة قسم الامير ركن الدولة ابو علي الحسن بن بويه بين اولادهِ الثلاثة الممالك. فجعل لعضد الدولة ابي شجاع فناخسرو فارس وارجان وكرمان. ولمؤيّد الدولة ابي المنصور الري واصفهان. ولفخر الدولة ابي الحسن همدان والدينور واخذ عليهم الحلف بالتناصر والتعاضد واشهد عليهم بذلك

وفي سنة ست وستين وثلاث مئة كانت وفاة ركن الدولة بن بويه. وكانت مدّة ملكهِ اربعًا واربعين سنة وشهرًا وتسعة ايام. وعمرهُ تسع وتسعون سنة وهو الاوسط من اولاد بويه. وكان ملكًا جليلاً مهيبًا سائسًا فتح البلاد وملكها وقرّر قواعدها وضبطها

وفي هذه السنة كاشف عضد الدولة بن عمّ عز الدولة صاحب بغداد بالعداوة وتجهّز لقصد العراق وتمليكها وانحدر عز الدولة ووزيرهُ علي بن ابي طاهر والطائع لله الخليفة الى واسط. ووصل عضد الدولة فالتقوا وتقاتلوا قتالاً شديدًا فكانت الكسرة على عز الدولة فانهزم اقبح هزيمة واستباح عضد الدولة عسكرهُ. ثم جرت لعز الدولة اشياء يطول شرحها آخرها انهُ رحل من بغداد واستولى عليها عضد الدولة

وفي سنة سبع وستين وثلاث مئة خلع عليه الخليفة الخِلَع السلطانية ونوّجه وطوّقه وسوّده وعقد له لواءين بيده وولاه ما وراء بابه . وقبض عضد الدولة علي بن ابي طاهر على وزير عز الدولة وقتله وصلبه

ولما دخل عضد الدولة الى بغداد وملكها مضى عز الدولة الى عدة الدولة ابي ثعلب بن ناصر الدولة متصرخًا على عضد الدولة فتجهز للقائهما وخرج من بغداد بجيوشه ومعه الطائع لله والتقوا وتقاتلوا قتالاً شديدًا وذلك في شهر شوال فانهزم عز الدولة واصحابه وقُتِل واتى من قتله براسه الى ابن عمه عز الدولة في طشت. فيُقال انه لما رآه وضع منديله على عينيه وبكى. وكان عمر عز الدولة ستًا وثلاثين سنة وكانت مدّة امره احدى عشرة سنة وشهورًا . وسيرته كان ملكًا شهمًا جلدًا قوي الجسم والقلب. فيُقال انه كان يصرع الثور بيديه من غير اعوان ولا حبال يقبض على قوائمه ويطرحه على الارض وكان يبرز الأُسود ويصيدهم وكان كريمًا شجاعًا

قال وفي هذه السنة مات هشول بن وشمكين بجرجان فقام بالملك بعده قابوس بن وشمكين وملك جرجان وطبرستان

وفي سنة ثمان وستين وثلاث مئة ملك عضد الدولة بن بويه الموصل وديار ربيعة وميافارقين وديار بكر وهرب عدة الدولة ابو ثعلب بن ناصر الدولة بن حمدان الى العزيز بالله صاحب مصر

وفي هذه السنة امر الخليفة الطائع لله بان يخطب الملك عضد الدولة ببغداد في خطبة الجمعة الثالثة الخطبة للطائع لله فابتدأ بذلك يوم الجمعة لاربع بقين من شعبان ولم يتقدم هذا لاحدٍ قبله ولا لولاة العهود وامر ان يُضرَب على باب عضد الدولة بالدبادب في اوقات الصلوات الخمس ولم يكن هذا لاحدٍ قبله ولا لولاة العهود وعضد الدولة هو اول من خُوطِب بالملك في الاسلام وكان يخطب على المنابر بشاهنشاه الاعظم ملك الملوك

وفي هذه السنة جهز العزيز بالله صاحب مصر جوهرًا ومعه الجيوش لقتال

افتكين الشرابي صاحب دمشق فوقع القتال بينهما شهرين. فاستدعى افتكين الحسن بن احمد القرمطي فخاف جوهر منهُ وعاد الى طبرية وتعاقد افتكين والقرمطي وحاصرا جوهرًا بها . فانهزم منها الى الرملة فسيَّر جوهر الى افتكين فطلب امانهُ. فاجابهُ افتكين بشرط ان يعلّق سيفهُ ورمح القرمطي على باب الرملة ويخرج جوهر واصحابهُ من تحتها . ففعل ذلك ومضى جوهر الى مصر وحضّ العزيز بالله على قتال الافتكين. فبرز العزيز من مصر في جيوشهِ والتقى الجمعان في الرملة. فكانت الكسرة للعزيز وانهزم القرمطي وافتكين واصحابهما ثم أُخذ افتكين اسيرًا وأُتي بهِ الى العزيز فعفا عنهُ واحسن اليهِ وولاهُ حجبتهُ . ثم رجع العزيز الى مصر ومات افتكين بعد ذلك مسمومًا . سمَّهُ وزير العزيز حسدًا لهُ على ما ذُكِر. فغضب العزيز على وزيرهِ واعتقلهُ وصادرهُ . ثم رأى الامور لا تنتظم الاّ بهِ فاعادهُ الى وزارتهِ واحسن اليهِ

وفي سنة تسع وستين وثلاث مئة كان مقتل عدة الدولة بن حمدان وكما ذكرنا ان المذكور هرب من عضد الدولة وقصد مصر وكتب الى العزيز بالله فكتب اليهِ الجواب انهُ قد قبلهُ والتمس مصيرهُ اليهِ فخاف وعاد الى طبرية . وكان بالرملة بدري يُقال لهُ مفرج بن دعفل قد استولى على تلك الناحية ويفحل امرهُ. فاراد مفرج بن دعفل ان يوقع ببني عقيل المقيمين بالشام ويخرجهم منها فلجأُوا الى عدة الدولة وسألوهُ نصرتهم فنزل بينهم وتجمَّع لهُ المفرج واحتشد. وكان العزيز بالله بعث برجل من اصحابهِ يُقال لهُ الفضل الى دمشق ليحتال لهُ في فتحها واصلاح اهلها فخاف الفضل من عدة الدولة فاجتمع باصحابهِ الى المفرج وصاروا يدًا واحدة ثم قصدوا عدة الدولة وبني عقيل فهزموهم واسروا عدة الدولة. فقتلهُ المفرج خوفًا ان يحملهُ الفضل الى العزيز فيصطنعهُ حسب اصطناعهِ لافتكين . فلما قتلهُ المفرج بعث الفضل براسهِ الى مصر واحرق جثتهُ

وفي سنة سبعين وثلاث مئة زُفَّت ابنة عضد الدولة بن بويه الى الطائع لله. وكان العقد قد وقع في سنة اربع وستين وثلاث مئة

وفي سنة احدى وسبعين وثلاث مئة كان الحرب بين مؤيد الدولة بن بويه وبين اخيهِ فخر الدولة وقانوس بن وشمكين. سببهُ ان فخر الدولة اخا عضد الدولة ومؤيد الدولة قد اتفق مع قانوس بن وشمكين على اخويهِ عضد الدولة ومؤيد الدولة والتظافر عليهما . فبعث عضد الدولة عهدًا من الطائع لله الى اخيهِ مؤيد الدولة على جرجان وطبرستان. فسار مؤيد الدولة لقتال قانوس. وسار اخوهُ فخر الدولة لمعاضدة قانوس. وجرت بينهم حروب كثيرة آخرها ان قانوس انهزم واستولى مؤيد الدولة على جرجان وطبرستان

وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة تُوُفّي الملك عضد الدولة ابو شجاع فنا خسرو ابن ركن الدولة بن بويه في بغداد. وكان عمرهُ سبعًا واربعين سنة واحد عشر شهرًا . وكان له ملك بغداد والعراق وكرمان وفارس وعمان وخوزستان والموصل وديار بكر وحران ومنبج. وسيرتهُ كان ملكًا جليلاً عظيمًا مهيبًا صارمًا حازمًا عاقلاً سائسًا كريمًا شجاعًا بطلاً. ويُقال انهُ خرج يومًا الى بستان . فقال ما اطيب يومنا لو ساعدنا الغيث . فجاء المطر الوقت. ولما مات كُتم موتهُ مدةً ودُفن بدار المملكة في بغداد

وفي سنة ثلاث وسبعين وثلاث مئة أُظهر موتهُ وحُمِل من قبرهِ في بغداد الى الكوفة فدُفِن بمشهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب . فقام بالملك بعدهُ ولدهُ الملك صمصام الدولة ابو كاليجار المرزبان بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه وخلع عليهِ الخليفة الطائع لله وتوَّجهُ وطوَّقهُ وسوَّرهُ

وفي هذه السنة كانت وفاة مؤيد الدولة بن بويه اخي عضد الدولة وذلك في ثالث شعبان بعلَّة الخوانيق. وكان وزيرهُ المدبّر لملكهِ الصاحب ابو القاسم بن عبَّاد. ولما مات مؤيد الدولة استولى على مملكتهِ اخوهُ فخر الدين بن ركن الدولة بن بويه. وقدم جرجان في ثالث رمضان فتلقَّاهُ الصاحب بن عباد وارباب الدولة وبايعوهُ المملكة واستقرَّ بجرجان واستوزر الصاحب بن عباد

وفي سنة اربع وسبعين وثلاث مئة كتب الخليفة الطائع لله الى فخر الدولة بن

بويه عهدًا بتقليده ما كان بيد مؤيد الدولة من الممالك والاقاليم وسيّرهُ اليهِ ومعهُ الخلع السلطانيّة

وفي سنة خمس وسبعين وثلاث مئة استولى الملك شرف الدولة على بغداد. وكان شرف الدولة ابو الفوارس هذا اكبر اولاد ابيهِ وكان بيدهِ اصفهان والري وشيراز من بلاد الديلم وغيرها. فلما كانت هذه السنة تجهّز الى العراق ليملكها. فكتب الى اخيهِ ابي الحسن احمد بن عضد الدولة وكانت بيدهِ بلاد فارس يستنجدهُ على اخيهِ صمصام الدولة فلم ينجدهُ فخرج اليهِ يقاتلهُ. فقاتلهُ شرف الدولة فاسرهُ وحبسهُ. ثم قصد شرف الدولة العراق واستولى على الاهواز والبصرة وواسط. وكثرت امواله ورجاله. وبعث الى الخليفة الطائع يطلب الخلع السلطانية والعهد والتقليد. فاجابهُ الى ذلك وبعث اليهِ بهِ وطلب تسليم اخيهِ صمصام الدولة وكان معتقلاً عندهُ فسلّمَ اليهِ بعد ان اتفق الصلح بين صمصام الدولة واخيهِ شرف الدولة وان يُخطَب لهُ اولاً وان لا يتعرّض احد منهما الى ما في يد الآخر وتحالفا على ذلك ثم انحدر صمصام الدولة الى شرف الدولة وهو بواسط فانزلهُ خيمةً بغير سرادق ووكّل بهِ جماعة لحفظهِ وحفظ الخزائن. ثم قصد شرف الدولة بغداد فقدمها في شهر رمضان ومعهُ ما يناهز عشرين الفًا من الديلم وثلاثة آلاف غلام تركي. واستقرّ ملكهُ بها وسيّر اخاهُ صمصام الدولة الى قلعة اعتقلهُ بها فكانت مدّة مملكة صمصام الدولة بالعراق ثلاث سنين واحد عشر شهرًا

وفي سنة سبع وسبعين وثلاث مئة خلع الطائع لله على الملك شرف الدولة ابي الفوارس بن عضد الدولة وتوّجهُ وطوّقهُ وسوّرهُ وكتب لهُ عهدًا وولّاهُ ما وراء بابهِ وعقد لهُ لواءين ولقّبهُ شاهنشاه

وفي سنة تسع وسبعين وثلاث مئة تُوُفّي شرف الدولة وذلك لليلتين مضتا من جمادى الآخرة فكانت مدّة مملكتهِ ببغداد سنتين وثمانية اشهر. وكان عمرهُ ثمانيًا وعشرين سنة وخمسة اشهر وحُمل تابوتهُ الى الكوفة فدُفِن الى جانب ابيهِ

ولما تُوُفّي شرف الدولة قام بالملك بعدهُ اخوهُ الملك بهاء الدولة ابو نصر

بن عضد الدولة وخلع عليهِ الطائع لله الخلع السلطانية وتوّجهُ وطوّقهُ وسوّرهُ وكتب لهُ عهدًا

وفي سنة ثمانين وثلاث مئة اطلق صمصام الدولة من محبسهِ وكان اخوهُ شرف الدولة سمل عينيهِ. فلما مات شرف الدولة اطلقهُ اخوهُ بهاء الدولة واعطاهُ شيراز وارجان وبلادهما وجعل معهُ اخاهُ ابا طاهر بن عضد الدولة. ومات ابو طاهر بعد مدّة قريبة . واستمرّ صمصام الدولة ملكًا في الصورة لا في المعنى وقام بامرهِ رجل يقال لهُ فولاد

وفي سنة احدى وثمانين وثلاث مئة كانت وفاة سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان وذلك في شهر رمضان . فكانت مدّة ملكهِ من حيث مات ابوهُ خمسًا وعشرين سنة وشهورًا. ولما توُفي قُلّد الملك بعدهُ في حلب لولدهِ الامير سعيد الدولة ابي الفضائل بن سعد الدولة بن سيف الدولة ابي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان . وكان سعد الدولة اوصى ولدهُ لولو الخراجي . وكان ابو الفضائل صغيرًا فاستقلّ لولو بالامور جميعها وصارت كلها اليهِ. وبعث العزيز بالله صاحب مصر جيشًا كثيفًا لقتالهِ. فقدموا الى حلب وحاصروها حصارًا شديدًا. واستنجد لولو بالروم فاتوا اليهِ في عالم عظيم فالتقوا فنصر الله المصريين عليهم فقُتِل من الروم خلق كثير ونازل المصريون حلب ومقدّمهم منجوبكين وطال مقامهم عليها فضجروا وقلّت عليهم العلوفة فكتبوا الى العزيز يستأذنونهُ في الانصراف . ثم انصرفوا قبل ان يصل اليهم الجواب . فلما ورد على العزيز كتابهم غضب غضبًا شديدًا ثم بلغهُ انصرافهم فعظم عليهِ اكثر وسيّر يتهددهم ويأمرهم بالعود الى حلب والاجتهاد في التضييق عليها الى ان يفتحوها. فرجعوا واقاموا عليها ثلاثة عشر شهرًا وبنوا بظاهرها الحمامات والفنادق والاسواق وكتب لولو الى ملك الروم يطلب نجدة ويحرّضهُ على نصرتهِ ودفع المصريين عنهُ. ويقول في جملة قولهِ ان حلب دهليز بلاد الروم ومتى أُخِذَت حلب أُخِذَت بلاد الروم . فاقبل ملك الروم في عدد لا يُحصى. فرحل منجوبكين مقدّم المصريين عن حلب منهزمًا .

ووصل ملك الروم الى حلب فخرج اليهِ لولو وسعيد الدولة ابو الفضائل فاكرماهُ وحملا اليهِ من الالطاف والتحف شيئًا كثيرًا

ثم دخل ملك الروم بجيوشهِ الى حمص ففتحها ونهبها وقتل وسبى . ثم رحل الى طرابلس فاقام عليها نيفًا واربعين يومًا فلم يقدر عليها فرجع الى بلادهِ

واما منجوبكين مقدَّم العسكر المصري فانهُ رحل الى دمشق واقام متحصنًا فيها . فلما بلغ العزيز ذلك تجهَّز وخرج بعساكرهِ الى بلبيس ونزل بها فعرضت لهُ علَّة صعبة آيس فيها من روحهِ . فعهد الى ولدهِ الحاكم واوصاهُ الى ارجوان الخادم وتوُفّي في سنة ست وثمانين وثلاث مئة . وهذه الحوادث انما ذكرناها وان جاوز بعضها هذه السنة فلسياقة الحديث

قال وفي هذه السنة خُلِع الطائع لله من الخلافة وذلك لما عزم الملك بهاء الدولة بن عضد الدولة على خلعهِ ركب اليهِ وقبَّل الارض بين يديهِ ووُضع لهُ كرسي فجلس عليهِ وازدحم الناس فتقدم بعض اصحاب بهاء الدولة وجذب بحمائل سيف الطائع لله وهو متقلد بهِ فاخرجهُ عن سريرهِ وتكاثر الديلم عليهِ فلفُّوهُ في كساء وحملوهُ الى حرامة من دور المملكة واعتقل بها ونُهبت دار الخلافة يومئذٍ وانصرف الملك بهاء الدولة الى دارهِ وأُظهِر امر الخليفة القادر بالله ونُودي بذلك في الاسواق . ثم اشهد على الطائع لله بخلعهِ نفسهِ وتسليم الامر الى القادر بالله طائعًا في شهر شعبان . فكانت مدَّة مملكة الطائع لله سبع عشرة سنة وتسعة اشهر وستة ايام واقام مخلوعًا معتقلاً الى ان توُفي ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة وعمرهُ ست وسبعون سنة وصلّى عليهِ القادر بالله. صفتهُ كان ابيض اشقر . وسيرتهُ كان جوادًا كريمًا الَّا ان يدهُ كانت قصيرة مع بني بويه فانهم كانوا الملوك وليس للخليفة الاَّ مجرَّد الاسم

قال المؤرخ ان مدَّة خلافتهِ سبع عشرة سنة وتسعة اشهر وستة ايام. اوَّلها يوم الخميس وآخرها يوم السبت لتتمة ثلاث مئة وثمانين سنة وسبعة اشهر وتسعة عشر يومًا للهجرة

كشف اميركا

ان الراي الشائع باسبقية كشف كولمبوس لاميركا لم يسلم من الاعتراض لوجود من قال بخلافهِ وقد اتى الذين قاموا ذلك ببراهين تستبين منها صحة ما ذهبوا اليهِ. ونودُّ لو نبلغ الحكم المعوَّل عليهِ في هذه المسألة التي يتوق الانسان الى احرازها. فنبسط كلاماً موجزاً يتضمن شيئاً مما جعلهُ بعض الباحثين في هذه القضية دليلاً على وجود سابق لكولمبوس في كشف هذا العالم الجديد

قال الاستاذ رافن عضو جمعية الآثار القديمة الملكية في كوبنهاغن في كتاب لهُ انهُ لامرٌ غنيٌّ عن الايضاح ان ملاَّحي شمالي اوربا القدماء اتصلوا الى اميركا الشمالية في مسافرتهم غرباً وذلك نحو سنة الالف للميلاد ويُحتمل ايضاً انهم توغَّلوا في السير جنوباً الى خليج نارَّكسست. وقد تحقق لكثيرين غير الاستاذ المذكور من الابحاث المطوَّلة ان بعض شعوب الشمال استوطنوا جزيرة ايسلاند قبل هذه الايام بنحو الف سنة. ومن يقف على تاريخ هذه الجزيرة يعرف ان بعض مستوطنيها نزحوا الى كرينلاند ومكثوا هنالك زماناً طويلاً. وبما ان ذلك كذلك فلا يُستبعَد البتة ان يكون بعض اولئك في مسافرتهم من ايسلاند الى كرينلاند او بعد استيطانهم كرينلاند قد ساقتهم الارياح رغماً عنهم الى ارض اقصى او انهم فعلوا ذلك عن رضًى وطيب نفس . وفضلاً عما ذكرناهُ يُستفاد من تقليدات شعوب الشمال ان ملاَّحيهم ادركوا بلاداً ابعد من كرينلاند بعد الميلاد بالف سنة. وهاك ما تداولتهُ السنتهم اباً عن جدٍّ حتى وقتنا الحاضر

ان الامير ليف بن ارك تأهَّب للسفر من كرينلاند غرباً مصحوباً بخمسة وثلاثين رجلاً وواحد منهم جرماني الجنس . فلما وقعوا على ارض غريبة ضلَّ هذا عن رفقتهِ وخيف فقدانهُ. ولكنهُ لم يمضِ كثير حتى وافاهم ثانيةً والاشياء التي شاهدها في مبارحتهِ اياهم جعلتهُ يتظاهر بوقوع عارض سوءٍ عليهِ. ثم قال لهم ان لا يرتاعوا مما حدث وانهُ مزمع بان يبشرهم بما استكشفهُ من الكروم المزينة بالاثمار الشهية .

فقال له الامير ليف ألا تمزح بما تقول . اجابهُ كيف ذلك وقد رجعت الآن من اراضي العنب . ثم رقدوا تلك الليلة ولما اقبل الصباح التالي اوصى ليف قومهُ باغتنام الفرصة لاجتناء العنب واحتطاب الدوالي وغيرها من الاشجار شحنًا لسفينتهم . ويقال انهم انفذوا امرهُ وشحنوا مركبهم عنبًا وحطبًا ورجعوا الى حيث جاءوا وادعوا تلك الارض فينلاند اي ارض العنب

ثم بعد نحو سنتين عزم ثرولاد اخو ليف على السفر الى الارض الجديدة التي كشفها اخوهُ ونوتيَّتهُ طمعًا باكتشاف جديد . فاتى هو وجماعة اولًا الى بقعةٍ كان بنى فيها اخوهُ اكواخًا كثيرة وشتّوا هناك ثم اخذوا يجولون الربيع التالي في الجهات الغربية حتى عثروا على ثلاثة قوارب من الجلد في كلٍّ منها ثلاثة رجال . فاوقع بهم ثرولاد وصحبهُ وقتلوهم جميعًا الّا واحدًا . وللحال هاجمهم عدد غفير من هذه القوارب فجرت بينهم وبين الهنود الذين فيها معركة دموية انجلت عن انهزام الهنود وتشتُّت شملهم . اما ثرولاد فمات من جرحٍ أُصيب بهِ في اثناء الواقعة وكان ذلك سببًا لرجوع قومهِ الى كريلاند في الربيع القادم

فتزاحمت في تلك الاثناء اقدام نزاح شمالي اوربا في فينلاند واطنبوا بمدحها في الكتابات التي ارسلوها الى اوطانهم وفضّلوها على ايسلاند وكريلاند . وعمّا قليل اخذوا يتجرون مع السكان الاصليين متمتعين بالراحة والامن . على انهُ لم تطُل مدّة الصلح بينهم فهاجمهم الهنود اخيرًا واقاموا عليهم حربًا نجوا فيها

وقد استدل بعضهم على صحة ذلك من البناية المعروفة بطحنة الحجر القديمة الباقية الى هذا اليوم في مدينة نيوبورت ومن كتابة منقوشة على صخر في جوار هذه المدينة وكذلك من هيكل عظام يُستدَل من الدرع التي تكتنفهُ انهُ هيكل رجل حرب اكتُشِف بين المكانين المذكورين . قيل ان هذه من آثار شعوب الشمال المذكورين آنفًا . وقال آخرون بتفنيد هذا الراي ونسبوها الى السكان الاصليين والله اعلم بالصواب

ومن ينظر الى خارطة الكرة الارضية يرى ان ايسلاند ليست بعيدة عن نروج

ولا كرينلاند عن ايسلاند وكذلك لابرادور عن كرينلاند . فقرب هذه البلدان من بعضها البعض يرجّح صحة راي الذين يقولون بذهاب الشماليين الى اميركا قبل كولمبوس بنحو ٥٠٠ سنة . ولاسيّما اذا اعتبرنا التقدم الذي كان لاولئك الشعوب في سلك الابحار فانهٔ لم يضاهِهم فيهِ احد في تلك الاوقات . ولا يزال العلماء الى وقتنا الحاضر يبحثون في هذه المسألة املاً بكشف ما يجزم بوجود سابق لكولمبوس في كشف العالم الجديد

حريق موسكو

ادّعى نابوليون الاول بوجود نجم يحرسهُ في اعمالهِ ويقيهِ نوائب الزمان . فقد قال غب ظفرهِ بالعدو في احدى الوقائع الحربية العظيمة ان ما قوّاني على ذلك هو نجمي الحارس . وكان ايضاً ينسب الخذلان في امر ما الى سبب خفي مسبّب عن ذلك النجم الموهوم . ولا نعلم حاسياتهِ في كلتا الحالين على انهُ لا بدّ ان يكون شأنهُ وقت الظفر شأن كل من تكلل بهِ . ولا ينفرد في الحال الثانية ولكنهُ كسائر الخلق يسودهم الغم والاضطراب اذ تقصر مساعيهم عن ملاقاة المطلوب . وما من انسان ذاق لذّة الإقدام والانتصار ومرارة الانخذال كنابوليون الاول فغوزهُ في معركة اوسترليتز يضاهيهِ فشلهُ العظيم في موسكو ونواحيها . وعزهُ وانتصارهُ عندما كانت تصدح كل اوربا باصوات انتصاراتهِ يقابلها ذلهُ وضعفهُ وهو منفيّ الى جزيرة القديسة هيلانة . ولأمرٌ معلوم ان اعظم البلايا التي قهرت ذلك الانسان العظيم ما نتج عن حرق مدينة موسكو في حربهِ الاخيرة مع روسيا . ولما كانت تلك الحادثة الشهيرة مما تشوق مطالعتها لكثيرين رأيت ان استخلص منها النبذة الآتية

بعد ما قهر نابوليون الاول روسيا والنمسا واستعلى عليهما راسل روسيا بان تتحد معهُ على تعطيل تجارة الانكليز بحجزها عن الدخول الى مواني اوربا . فاغتاظ جدًّا لان روسيا لم ترتضِ بذلك وعمد الى اخضاعها بالقوة وخرج الى مهاجمتها

بعسكر عدده ٥٠٠٠٠٠ فاستظهر عليها في معارك كثيرة ولما اشتدَّ البرد في تلك البلاد وتصعَّب الاستمرار على القتال همَّ ان يلتجئ الى موسكو قاعدتها ويشتي فيها ثم يعود الى المطاردة في الربيع القادم فزحف اليها بجيشهِ الجرّار ولما اطلَّ عليها ورأى ابراجها العالية وقصورها الشاهقة وقببها المزينة وقف قبالتها وقفةً كشفت شدَّة افتكارهِ واعربت عن فرط تشوُّقهِ للقبض على تلك الجعالة . فاصدر امرًا لكي يجتاز المرشال مورات بفرسانهِ ابوابها اولاً وكان كذلك. غير ان القلم عاجز عن وصف الاندهاش الذي استولى على المرشال المذكور لما رأى سكان تلك القاعدة قد هجروها وتركوها خالية من كل ما ترتاح له الخواطر وتقرُّ بهِ العيون . فما راع اذنيهِ سوى اصوات معسكرهِ المزدريے بقيمة تلك الغنيمة التي جهزوا لها تجهيزات بليغة خوف الرجوع عنها رجوع العار المهين. ولبث نابوليون خارجًا عنها حتى آخر النهار ولما خيَّم عليها الليل بجناحي الظلمة دنا منها ودخل ابوابها وقلَّد مورتيه احد مرشالاتهِ وظيفة الحكم عليها واوصاهُ كثيرًا بان يصدَّ عنها ادنى تعطيل يخشى وقوعهُ حتى قال لهُ صريحًا انهُ اذا لم يدفع عن موسكو عدوها وصديقها يجلب الخطر على حياتهِ لانهُ يطالبهُ بها

ولولا الهواجس الكثيرة التي تراكمت على فؤَاد مورتيه لاعجبهُ منظر المدينة فان القمر اضاءَ في تلك الليلة الاولى بنورهِ اللامع على قصورها العديدة وعلى ابراج كنائسها العالية وعلى مساكنها المحتشدة مساكن ثلاث مئة الف نفس . فهجر طرفهُ النوم ولم يحفل بما احاط من الابنية الفاخرة والجنائن ذات الروائح العطرة والمراسح الفسيحة التي تكللت بجانب عظيم من الاتقان والظرافة . ولم يحل من امام عينيهِ المصيبة التي راعهُ وقوعها لحظةً بعد اخرى وما الجأَهُ الى انتظار ذلك هو حال المدينة عند دخولهِ اليها وحقًّا انها حال غريبة فكانت خالية من سكانها واما قاعاتها ومخادعها فلم ينقصها شيء من الاثاث وما شاكلهُ وهو بغاية الترتيب والانتظام . فتيقن وتحقق ان هذا الهجران السريع لم يكن بغير مقصد خصوصي لم يزل مجهولاً عندهُ. ولم يمضِ وقت طويل قبل ان أُعلِنت لهُ غوامض ذلك السر

بواسطة الصراخ الذي امتد الى جهات المدينة دالاً على شبوب النار فيها . ونور هذه النيران هو أول الانوار التي ضاءت على ملكة نابوليون المتزعزعة وهو المعروف بحريق موسكو ويُعَدُّ من اشهر حوادث الاجيال المتأخرة

ومن المطالب بدفع هذه النازلة غير من نيط بو امر المدينة وهل نسي هذا ثقل المسؤولية المُلقى على عاتقه او لم يصدر الاوامر باسرع ما يكون لكي يتلافوا الداهية العظيمة التي سكبت غيظها عليهم ولم يدرِ الاَّ نابوليون الجدّ الذي بذله ذلك الحاكم دون الوصول الى مرغوبهِ. على انهُ لم يصدق ما أُخبر بهِ ان السكان انفسهم فطنوا لهذا التدبير وهم الذين شرعوا في حرق مدينتهم ولذلك شدّد الاوامر اكثر على المرشال الحاكم وحثهُ بان يمنع الجيش عن التخريب. واما مورتيه فسدّ فاهُ عن المجاوبة بان اومأ الى بعض المساكن المسقوفة بالحديد وكانت هذه لم تزل مسدودة من كل الجهات فرأوا الدخان خارجًا منها ومتصاعدًا كما يتصعّد البخار من فوهة البراكين الهائجة . حينئذٍ ارتد نابوليون على اثرهِ كئيبًا وشديد البلبال واتى الى الكرملين مقرّ القياصرة اولاً وكان هذا البناء عظيمًا جدًا ومرتفعًا عن كل ابنية المدينة حولهُ. ولم يذهب التعب الذي بذلهُ مورتيه اولاً سدًى لانهُ قدر على تسكين النار التي اضطرمت في مدينة ملجإهم واوقعت في قلوبهم الخوف الشديد . ولكنهُ لسوء الحظ عادت الاصوات المكدرة تتعالى بكيفيات مخيفة وانبأتهُ برجوع النار الى المدينة وكان ذلك في الليل التالي وهو مساء اليوم الخامس عشر من شهر ايلول سنة ١٨١٢

وبان بعد قليل مناظر تلك الحادثة الغريبة فمنها نار تتموّج في وسط المدينة ومنها بلونات نارية تتساقط من الجو على سطوحِ البيوت تعالت لها الاصوات المشومة من كل الانحاء. والعواصف التي كانت تهبُّ وقتئذٍ كانها على قصد زادت اضطرام النار جدًّا وكان لها صوت كبحر مضطرب بامواجهِ العجاجة وأثرت كثيرًا في توسيع البلاء لانها دفعت اللهيب في طريقها ونشرتهُ في كل جهات المدينة . وتعجّ الجوُّ من الدخان الكثيف التي كانت تسوقهُ الارياح محملاً بالشرار الملتهب

الى ناحية الكرملين. وهل تهامل مورتيه عن القيام باعمال اعظم من السابقة املاً بالنجاح مع ما كانت عليهِ الحال وهل لم يفعل فعل الابطال الاشدَّاء اذ هجم هو والحرس القليل العدد الى وسط النار واخذوا في هدم البيوت من امام وجهها طمعًا بالحصول على ما حصل عليهِ اولاً . ولكن وا أسفاه فان العناء الذي ضحّاهُ المرة الثانية لم يتكلل فيهِ بشيء من النجاح ورجع من المهاجمة غب ست وثلاثين ساعة وعلى وجههِ وحاجبيهِ اثر النار المفترسة ودخل مكانًا ورمى بنفسهِ فيهِ مُعيي مما قاساهُ . فلم يمكن لشخصهِ المهيب ولا لساعدهِ الشديد اللذين كثيرًا ما جلبا الموت لصفوف الاعداء ان يقهرا ذلك العدوَّ الجديد العنيد فتركوهُ وشأنهُ كما تركهم اهالي موسكو

وكانت النار تقترب رويدًا رويدًا من الكرملين وحينئذٍ طرق مسامع الامبراطور المدهش عجيج اللهيب وصوت انهدام البيوت وتفرقع الاخشاب المشتعلة فارتعد قلبهُ وخفق فؤادهُ مما كان . وحدث وهو على تلك الحال ان مورات وغيرهُ من مرشالاتهِ اسرعوا وتضرعوا اليهِ جاثين على ركبهم ان يفرَّ من هناك حالاً. واما هو فلم يكترث بما عملوا ولا بما قالوا واستمرَّ متشبثًا بذلك القصر العظيم حاسبًا اياهُ قسمًا من املاكهِ الخاصة. وهل دام لهُ ذلك يا ترى او لم يهرب منهُ رغمًا عنهُ لما تكاثرت الاصوات المريعة قائلةً لهُ بان يخرج من الكرملين لان النار اضطرمت فيهِ. فانحدر مسرعًا الى الاسواق وعصاهُ بيدهِ قاصدًا الفرار من مخالب ذلك العدو فرأى انهُ قد سد دونهُ ابواب النجاة على انهُ وجد اخيرًا بابًا صغيرًا يؤدّي الى نهر موسكوا فاجتازهُ بعد ان قاسى من المخاوف ما لا يوصَف. ولو لم يرَ من هناك احد الاسواق الذي لم تكن وصلت اليهِ النار لتعسَّر خلاصهُ من بين يدي عدوّهِ المفترس. ففرَّ من ذلك المكان واتى الى بتروسكي التي جعلها مقرًا لهُ وهي بلدة تبعد ثلاثة اميال عن موسكو

ولم ييأس مورتيه من الحصول على قليل من الفائدة فبعدما سكن اضطرابهُ بنجاة الامبراطور من الخطر الذي كان يكتنفهُ رجع الى الاشتغال في ما ظنهُ سببًا

لتسكين النيران قليلاً ولكنهُ علم بعد وقت قصير انهُ لم يعد الفوز بالمرغوب ممكنًا على الاطلاق اذ رأى رجالهُ يخوضون ابحار المخاطر بكل جراءة ولكن بدون ادنى فائدة. فمادت الابطال الذين لم يرعهم من قبل خوف المعارك الدموية من مهاجمة عدوهم الظافر الذي فاقت اصوات لهيبهِ قصف المدافع الكثيرة في اعظم المواقع الحربية

ومن يستطيع ان يصف تمامًا منظر موسكو بعد ان اخذت فيها النار كل مأخذ وكست كل ما فيها ثوبًا ارجوانيًا وتوشحت السماء بسربال غير سربالها. فلم يكن لذلك المنظر مضاهٍ في غابر الازمان . وما زاد تأثيراتهِ المؤلمة في قلوب الذين نظروهُ عيانًا والذين قرأوا تفاصيلهُ ان كثيرين من المنكودين طردتهم الحرارة من السراديب التي كانوا فيها والحركات التي ابداها هؤلاء وقتئذٍ مما تتفتت لها الاكباد وترق عليها القلوب القاسية . فالشبان لم يهنأ لهم الفرار من الهلاك وحدهم تاركين والديهم في وسط العذاب فكنت تراهم يحملونهم ويسرعون طمعًا بالنجاة . وكان ايضًا كثيرون من الاقوياء فرثوا لحال الضعفاء ومدوا لهم يد المساعدة مبتغين ان ينالوا معًا نصيبًا واحدًا كما تأتي بهِ الاقدار

ولم ينجُ نابوليون من تأثيرات ذلك المنظر الذي اكتنفتهُ اهوالهُ وسقتهُ كاسًا مرّةً لم يتجرعها من قبل ولا خطرت لهُ ببال . وخيّل لهُ وهو ينظر الى المدينة عن بعدٍ ان انفجار اللهيب وصعودهُ الى فوق ثم انقطاعهُ وارتفاع مجاري الدخان المظلم الى الجو المنعكسة اليهِ الانوار الحمراء مسبَّب عن هيجان بركان عظيم تحت ذلك الاضطرام. ومما يستحق الاعتبار ان الحرارة وصلت الى المحل الذي نزح اليهِ كما ذكرنا سابقًا وصار لا يأمن ان تلامس يداهُ حيطان منزلهِ بدون اذى. فحرق موسكو ردع نابوليون الاول عن الوصول الى النتيجة المطلوبة ولربما وافاهُ نجمهُ الموهوم بذلك لسبب لا يعلمهُ الاَّ الله . فأُغلقت ابواب الالتجاء عن جيشهِ فمات اكثرهُ من البرد والجوع وغير ذلك. فسبحان من يقضي بما يشاء

ما كلُّ ما يتمنى المرء يدركهُ تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

القسم الخامس

نبذ علميّة

لطلبة العلم والصناعة

كثيرًا ما حثّ العلماء على احراز العلم والصناعة وحسن القيام بهما ووضعوا لذلك قيودًا وشروطًا عرفوها بالاختبار واستدلّوا عليها بالاستقراء حتى صار اكثر ما يُقال في هذا الموضوع مبتذلاً . غير انّا اذ رأينا كثيرين يطلبون العلم والصناعة لا في طريقهما احببنا ان نضع لهم هذه النبذة الوجيزة تذكرةً لهم ولمن اخذ اخذهم وقد اقتطفنا شيئًا منها من رسالة للدكتور هند يسّيد الانكليزي فنقول

شأن العلم والصناعة شأن كل عزيز المطلب فلا ينالهما الاّ مَن شمّر عن ساق الجدّ واطّرح ما فيهِ من الخلال المانعة عن ادراكهما وقوي على المصاعب المحيطة بهما واعتمد الوسائط اللازمة لبلوغهما . فمن كان فاتر الهمّة متقلّب الاهواء ضعيف العزم قليل الحزم لا يُرجى له النجاح ولا يؤمّل منهُ الفلاح ما لم يتدرّب على إعمال الفكرة والتشبُّث بكل ما تستصوبهُ البصيرة . ومن كان كسلاً محبًا للنوم والبطالة مكتفيًا بالقليل الخسيس عن الكثير النفيس محجمًا عن المعالي المحفوفة بالمتاعب ومؤجّلاً اعمالهُ الى ان تصير فوق طاقتهِ لا يبلغ شيئًا مما يتمناهُ ما لم ينبذ عنهُ الكسل مع كل ما يدعو اليهِ ولقد اجاد من قال

اطلبِ العلمَ ولا تكسلْ فما أبعدَ الخيرات عن اهل الكسَل

ومَنْ مال الى اتّباع هوى نفسهِ وانصبّ على قراءة القصص الفارغة وجرى وراء الملاهي الباطلة يفسد ذوقهُ ويبلّد عقلهُ فلا يستطيع التضلّع بمسائل العلم السامية

ولا يعبأُ منهُ الاَّ اليسير القريب المأخذ . وكل قريب الولوج قريب الخروج .
ولم نتعرَّض لذكر هذا الاَّ لانَّا رأينا البعض من شباننا قد نحوا هذا النحو ولو انحصر
ضررهُ في اضاعة وقتهم لكفى بهِ ضررًا. ومن اقبح الخِلال في الشبان واكبرها مانعًا
عن الاكتساب الادّعاء . ألا ترى ان اكبر الفلاسفة اقرب الى الاقرار بجهلهِ من
بعض الاحداث الذين دخل يسير من العلم ادمغتهم ولمَّا وجدها فارغة انتشر
فيها انتشار البخار فظنوا انفسهم قد امتلأُوا من جواهر العلم وهم لا يعبأُون منهُ الاَّ
الاسم وليست هذه كل الخلال المانعة من الاكتساب بل هناك موانع كثيرة نذكر
منها واحدة اخرى فقط وهي النسيان المشهور بآفة العلم. وهو نقص في القوة الحافظة
الاَّ ان الحافظة كغيرها من قوى العقل تقوى بالاستعمال وتضعف بالاهمال ومَن
نصحت فيهِ فلومهُ على نفسهِ

هذا ما يحتملهُ المقام من ذكر ما يمنع اكتساب العلم والصناعة ولكنَّ اجتناب
الموانع لا يكفي ما لم يصحبهُ اعتياد اللوازم وهي كثيرة منها الصحة الجسدية. زعم البعض
ان العقل يقوى بتضعيف الجسد غير ان الحقائق الطبيَّة تنافي هذا كل المنافاة
وتثبت انهُ اذا وقع خلل في عضوٍ من الاعضاء او حدث نقصٌ في عمل جهاز من
الاجهزة يضعف العقل عن قضاء اشغالهِ . ولا يُعدُّ صحيح البدن الاَّ من وجد في
العمل راحة وفي الشغل سرورًا . ومنها الحرص على الوقت لان الوقت اثمن ما
يملكهُ الانسان فالحرص عليهِ من اوَّل سمات الفلاح . قال بعضهم من يستعمل
كل وقتهِ لا بدَّ وان ينجح وقال آخر اذا اضعتُ دقيقةً من صباحي جريتُ وراءها
يومي كلهُ ولم ادركها. وقال آخر اذا اضعتُ يومًا بكيتُ عليهِ سنةً ويناسب ذلك
قول الشاعر

اذا فاتني يومٌ ولم استفد بهِ ولم اكتسب علمًا فما ذاك من عمري

ومنها الانتباه الى كل امر صغيرًا كان او كبيرًا فان العين والاذن بابان
للدماغ وما يدخل من الواحد لا يدخل من الآخر فان لم يكونا مفتوحين على
الدوام فات الانسانَ فوائدُ عميمةٌ وفُرَص كثيرة لا يتيسر لهُ ارجاعها . وما من

احد نجح في علمٍ من العلوم او صناعة من الصنائع الاَّ وكان شديد الانتباه

ومنها الاجتهاد والصبر والمواظبة وهي صفات ذكرها يغني عن الاطناب في بيان لزومها وحسبنا قول الشاعر

وقلَّ من جدَّ في امرٍ يحاولهُ واستعملَ الصبرَ الاَّ فاز بالظَّفَرِ

هذا من قبيل اللوازم التي يشترك فيها العلم والصناعة الاَّ ان للصناعة لوازم اخرى فوق هذه وهي درس العلوم الابتدائية كاللغة من صرفها ونحوها وبيانها واصول الحساب والجغرافية مما لا بدَّ منهُ لكل طالب صناعة مهما كانت الاَّ ان كثيرًا من الصنائع لا تكفي لهُ هذه العلوم كالصباغة والصياغة وما جرى مجراها فلا بدَّ قبل تعلمها من درس الكيمياء وكذا الحراثة فانهُ يجب قبل معاطاتها درس الفلسفة الطبيعية والكيمياء والجيولوجيا والنبات والحيوان وكذا الطب فانهُ يجب قبل الشروع في تعلمهِ درس جميع العلوم المتقدم ذكرها مع اللغة اللاتينية ولغة من لغات اوربا الكثيرة التآليف الطبية كالجرمانية والانكليزية والفرنساوية. ولا يمكن النجاح الاَّ بذلك كما ذكرنا في مقالة «العلم مفتاح الصناعة»

ثم على كل طالب علم او صناعة بل من اوجب الواجب عليهِ ان يكون عفيفًا صادقًا امينًا ومن أخلَّ بواحدة من هذه المناقب لا يُرجَى لهُ النجاح الصحيح

توجَّه بصدقٍ وأتقِ المينَ واقتصد تجئكَ رهيناتُ النجاحِ المقاصدُ

استوعِب العلم

استوعب العلم لان التقليل منهُ شرٌّ عظيم والاكثار منهُ نفع عميم ألا ترى ان من يلتقط فضلات المعارف ينتفخ غالبًا فيأبى الاذعان للحقائق ويزدري بها تشامخًا وكبرًا بيدَ ان من يستوعب المعرفة ويتضلَّع منها تلين عريكتهُ وينخفض جناحهُ ويزداد حذرهُ من الحكم بامرٍ قبل البحث والتروّي. فكأني بهِ سنبلة ملآنة سمينة تحني راسها لعظم ما بها من العلم والاتضاع. وكأني بالمقلّ من المعارف سنبلة فارغة ملفوحة ترفع راسها لخلوّها من اثمار الفضائل. ولما كان رجوع العلم الينا

جديد العهد كان ولا بدّ المقلّون من تحصيلهِ كثارًا فاستفادوا منهُ ان نبذوا الاوهام وكذبوا الخرافات ولكنهم اطالوا المضمار حتى جازوا حدود الاعتدال فنبذوا مع الاوهام الحقائق وجعلوا يسعون بالقليل الذي عندهم لكي ينقضوا اركان اجلّ الحقائق واسماها. فصار البعض منهم اذا علموا ان فلانًا العالم قال مثلاً ان الارض قديمة العهد جدًّا وربما كان عمرها الوفًا والوفًا من السنين يقتصرون من العلم على مثل هذا القول ثم يشرعون لاجلهِ في تكذيب الوحي وهدم اركان الدين وهذا ضلال مبين يبتعد عنهُ من يستوعب المعرفة . واذا سمع الخالي من العلم منهم ذلك يعتقد ان قولهم هو راي اصحاب العلم فينكر نفع العلوم ويتهم اصحابها بانهم طبيعيون كافرون وهذا ظلم وعدوان عظيم . فكما ينبغي على الخالين من المعارف ان لا يسدُّوا سبيل العلم كذلك يلزم الراغبين في العلم ان لا يجعلوهُ معثرة للبسطاء بالتقاطهم بعض الآراء الآبدة والهجوم بها على اركان الحقائق وان يكبحوا جماح عقولهم ولا يتطوّحوا في تيه الظنون التي لا طائل تحتها فان اصحاب العلم لا يعوّلون على ظن ان لم يثبت بالبرهان القاطع ومهما قوي الظن عندهم فان خلا من برهان يثبتهُ فهو محتمل للصدق والكذب

الهواءُ

اذا اخذنا كل الاجسام التي على الارض سواءٌ كانت حيوانية او نباتية او جمادية وحللناها بوسائط مختلفة وجدنا انها كلها مركّبة من مواد قليلة بالنسبة اليها تُسمّى عناصر بسيطة فاذا اخذنا الماء المقطّر مثلاً وحلّلناهُ رأيناهُ مركّبًا من مادتين او عنصرين بسيطين احدها يُسمّى أكسيجينًا والآخر هيدروجينًا . وهما اسمان اعجميّان معرّبان . اما القدماء فكانوا يعتقدون ان جميع الاجسام الارضية مركّبة من اربعة عناصر بسيطة وهي الماء والهواء والتراب والنار وتُعرَف عند العرب بالاركان ايضًا . قال الشيخ الرئيس ابن سينا في ارجوزتهِ الطبيّة

امّا الطبيعيّاتُ فالاركانُ   تقوم من مزاجها الابدانُ

وقولُ بقراطٍ بها صحيحُ   نارٌ وماءٌ وثرى وريحُ

واما المتأخرون فوجدوا ان هذه الاركان هي ايضاً مواد مركّبة من مواد ابسط منها كما ذكرنا قبلاً ان الماء مركّب من عنصرين بسيطين وليس عنصراً واحداً وكذا الهواء فانهُ مؤلّف من عنصرين بسيطين وهما الاكسجين والنتروجين وفيهِ ايضاً قليل من الحامض الكربونيك والبخار المائي فيصح ان يُقال اننا محاطون باربعة اهوية متداخلة بعضها ببعض نتنفسها ونقوم بها حياتنا ولولاها ما عاش حيوان ولا نبات على الارض بل كان موت عامٌ. فان كانت حياتنا تتوقف على هذه الاهوية أفلا يليق بكل انسان ان يبحث عنها ليعرف سبب قيام حياتهِ بها وكيفية ابقائها على الحالة المناسبة لحياتهِ وتجنُّبها اذا شابها مواد اخرى سامّة تبيد حياتهُ لو تنفّسها معها. هذا ما شئنا ان نتكلم عنهُ الآن بالتفصيل فنقول

الاكسجين والنتروجين هما العمدة في تركيب الهواء والحامض الكربونيك والبخار المائي الفضلة فالاكسجين عنصر لا لون لهُ ولا طعم لازم للاشتعال فلا تشعل نار بدونهِ ولا يضيء ضوء ومع ذلك فلم يتحقق لهُ وجود في الشمس مصدر النور والحرارة وهو يكوّن نحو خمس الماء. فاذا اردت اشعال قطعة من الحطب لم يتم لك ذلك الاّ اذا وصل اليها اكسجين ولذلك تنفخ النار بالمنفاخ لتكثير الاكسجين لان المنفاخ يدفع الهواء اليها وبما ان الهواء يحوي اكسجيناً يتحد الاكسجين بالحطب فيشتعل ومما يوضح فعل الاكسجين بالاشتعال انك اذا ملأْت منهُ قنينة ثم ادخلت فيها شمعة منطفئة مدخنة اشتعلت الشمعة بنور ساطع واذا احميت شريطاً من الفولاذ حتى يحمرّ ثم ادخلتهُ الى القنينة يشتعل ايضاً ويحترق . ولكن هذا الاشتعال لا يحدث الاّ اذا تولّد كثير من الحرارة فجأةً باتحاد الاكسجين مع المادة القابلة الاشتعال اتحاداً سريعاً ويُسمّى هذا الاتحاد التركيب الكيماوي . او اذا اوردنا اصطلاح الحكماء في ذلك نقول ان الاشتعال لا يحدث الاّ اذا اتحد الاكسجين بسرعة مع المادة القابلة الاشتعال فان اتحد رويداً حدثت حرارة فقط ولم يحدث اشتعال . ومن اشهر صفات الاكسجين ايضاً انهُ لازم لحياة الحيوان فاذا

انقطع عن الحيوان مات للحال. فقد ثبت اذًا ان واحدًا من عناصر الهواء الاربعة لازم للحياة ضروري للاشعال مولد للحرارة. فامَّا لزومهُ للحياة فسياتي الكلام عليهِ بالتفصيل في مسألة التنفس واما كونهُ ضروريًّا للاشعال فقد اتضح سابقًا فبقي علينا ان نذكر توليدهُ للحرارة وذلك يظهر جليًّا في حرارة الانسان وسائر الحيوانات.

يزعم عامة الناس ان تكثير اللباس في ايام البرد يدفئُ الانسان لانهُ ياتيهِ بحرارة من الخارج والصواب انهُ يدفئُ الانسان لانهُ يحفظ حرارتهُ عليهِ ويمنعها من التفرق في الهواء. وتتولد هذه الحرارة هكذا. بعدما يتناول الانسان اوسائر الحيوانات الاطعمة تُهضَم في المعدة ومنها تتغير عدة تغيرات حتى تتحول دمًا فتدور في الجسد لتغذيهُ. وعندما يُدخِل الانسان الهواء الى جوفهِ بالتنفس يدخل الاكسجين ضرورةً ومتى اصاب الاكسجين الدم يتحد معهُ رويدًا رويدًا فتحدث حرارة (لا اشتعال) وهذه هي الحرارة الحيوانية. وما دام الدم يدور في الجسد تتولَّد هذه الحرارة ولكن اذا توقَّف دوران الدم لم تعُد الحرارة تتولد فيبرد الجسد. ولذلك تكون ابدان الموتى باردة لان الدم لا يدور فيها وقس عليهِ امثلة كثيرة تتضح لدى امعان النظر

اما العنصر الثاني وان شئت فالهواء الثاني فهو ايضًا كالاكسجين مادة لا لون لها ولا طعم ولا رائحة ولكنهُ يناقضهُ في سائر صفاتهِ اي انهُ يطفئُ المشتعل ويميت كل ذي نفَس ولذلك اذا جمعتهُ في قنينة وادخلت اليهِ شمعة مشتعلة انطفأَت او وضعت فيها حيوانًا صغيرًا مات وهو اكثر من الاكسجين كثيرًا في الهواء فانهُ يبلغ نحو اربعة اخماسهِ

فيظهر ممَّا تقدَّم ان الاكسجين والنتروجين هما اشهر ما يتألَّف منهُ الهواء واما الباقيان اي البخار المائي والحامض الكربونيك فقليلان فيهِ. وبخار الماء هو ما يصعد عن مياه الارض بحرارة الشمس ويتغير مقدارهُ في الهواء فتارةً يكون كثيرًا وطورًا قليلاً ومنهُ تتكوَّن الغيوم والانداء والامطار والثلوج وباقي ما يتعلق بالآثار المخيلة

واما الهواء الرابع اي الحامض الكربونيك فهو مادة سامة قتالة اذا استنشقهُ الحيوان مات واما سبب عدم تأذي الانسان وسائر الحيوان منهُ مع انهُ يدخل الى جوفهِ بالتنفس فهو انهُ قليل جدًّا في الهواء فلا يضر واما اذا كثر فانهُ يضر ضررًا بليغًا كما سيبين . وهو يحدث عن كل جسم يحترق فاذا ادخلنا قطعة من الخشب مثلاً في قنينة الاكسجين واشتعلت كما تقدم ثم فحصنا ما في القنينة لم نجد فيها اكسجينًا بل مادةً اخرى هي الحامض الكربونيك. ثم اذا وضعنا فيها شمعة مشتعلة انطفأت او حيوانًا صغيرًا مات . فاذا تجمعت هذه المادة في مكان سمَّ بها ما فيهِ من الحيوان. ولما كانت تحدث عن كل ما يقبل الاحتراق كالخشب والزيت والدهن والشمع والشحم ونحوها فحيثما اشتعلت هذه المواد تولَّد عنها حامض كربونيك واذا لم يجد منفذًا ينصرف منهُ يتجمع ويتكاثر حتى يخشى على المحصرين معهُ من شرّ عظيم اذا لم يكن من الموت . ومن الاغلاط الجارية عندنا ان الناس ينامون ليلاً وكانون النار متقد بجانبهم ويغلقون كل الابواب والشبابيك قائلين ان ذلك يزيد المحل دفاً . نعم انهُ يزيدهُ دفاً ولكنهُ يزيدهُ سمًّا قتالاً فبئسَ الدفء الذي يموت الانسان للحصول عليهِ. ولقد سمعنا عن كثيرين القوا بانفسهم الى تلك التهلكة فماتوا فيها او كادوا لولا انتباه الآخرين وحسن درايتهم . وكذلك يُقال عن نوم كثيرين في محل واحد وتسكير ابوابهِ ولو لم يكن نارٌ فان النفس الخارج من الفم والانف يحوي ايضًا حامضًا كربونيكًا فاذا كثر افسد الهواء واضر النائمين . حُكي ان عددًا غفيرًا من الناس سُجنوا معًا في محل ضيق فاصبح اكثرهم امواتًا وذلك من الحامض الكربونيك المتجمع من انفاسهم . وكذلك تكثير الانوار في المحلات العمومية كالتياترات وقاعات الخطب ونحوها فانهُ يضرُّ بالحاضرين ولاسيما اذا أُضيف اليهِ ضرر انفاسهم فاذا أُغلقت المنافذ زادت الآفة آفات فيكثر الحامض الكربونيك ويقلُّ الهواء النقي المحتوي الاكسجين فتخدر ادمغة السامعين ويتلبَّك المشخصون او الخطباء وتثقل جفونهم من النعاس وتبحُّ اصواتهم وتُبدَّل اوقات انسهم باوقات كسل وضجر وكدر وخدر

فعلى آباء العيال ومدبري تلك الاعمال ان يراعوا هذه الامور. واحسن ما تُتّقى به اضرارها ان تُفتح الشبابيك والابواب ولو كان الطقس باردًا حتى يتجدد الهواء في المحل على الدوام. وليحترس كل واحد من ان ينام او يجلس بين الشبابيك في مجاري الهواء فانهُ يعرّض نفسهُ لعلل متنوعة

الغيم

ما اصدق الغيم مثلاً على سرعة الزوال وتغيُّر الاحوال فتراهُ تارةً متماليًا معترضًا في نواحي السماء كانهُ طود من الاطواد . وتارةً رقيقًا مبسوطًا ينشقُّ عما خلفهُ تبددهُ نسيمات السحر وتلاشيهِ انفاس الرياض. وتارةً يتسامى متلبدًا متراكمًا فتصرّم تحتهُ اذيال الجوّ. وتارةً تعبث بهِ ايدي الرياح فتمزّقهُ وايَّ ممزّق وتمحو من السماء آثارهُ كانهُ لم يكن لهُ في الوجود وجود . وهو الذي تنسكب منهُ ميازيب الجود والرحمة وتفيض ينابيع الحياة والبهجة فتحيي من الارض رميها وتنعش سقيمها وهو زينة للسماء وموضوع لغزل الشعراء. ولله در ابن الرومي حيث قال

وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفًا　　على الجوّ دكنًا والحواشي على الارضِ
يطرّزها قوسُ السحاب باخضرٍ　　على احمرٍ في اصفرٍ اثر مبيضِّ
كاذيال خودٍ اقبلت في غلائلٍ　　مصبّغةٍ والبعض اقصر من بعضِ

فلصدق نصحها وعظم نفعها وجمال صنعها لا يتأمّلها انسان الاّ رأى فيها شيئًا جميلاً واحبَّ ان يطرق الى معرفة اسبابها سبيلاً لاسيما وان الانسان بالطبع مائل الى معرفة الاسباب ولذلك اردنا ان نبحث قليلاً عن تكوّن الغيم تمهيدًا لمعرفة دلالتهِ على الطقس وتغيراتهِ فاننا قد بلغنا في الهواء ما يمكننا من التكلم في ذلك

لا يخفى ان الشمس متى شرقت على مكان تسخنهُ بحرارتها فتحوّل ما فيهِ من الماء والرطوبة الى بخار كما يتحوّل الماء اذا سخن على النار وعلى ذلك يتحوّل جانب من مياه الارض الى بخار كل يوم فيصعد البخار في الهواء غير منظور حتى يبرد

فيتكاثف ويظهر فان تكاثف قريبًا من سطح الارض فهو الضباب وان تكاثف عاليًا عنهُ فهو السحاب. فلا فرق بين الضباب والسحاب الاَّ في العلو فاذا ارتفعت ضبابة من سطح الارض الى قمة جبل صارت سحابة واذا هبطت سحابة من قمة جبل الى سطح الارض صارت ضبابة

فيظهر مما ذكرنا ان السحاب لا يتكوَّن ما لم يكن الهواء رطبًا (اي ما لم يكن فيهِ بخار مائي) وما لم يبرد ويتكاثف. فحيثما تمَّ ذلك في الطبيعة على حدٍ محدود تكوَّن منهُ ضباب او سحاب. كما يحدث اذا تنفسنا في ايام الشتاء الباردة فانَّا نرى نَفَسنا خارجًا من افواهنا بصورة ضباب او دخان وما ذلك الاَّ لان نفسنا يخرج رطبًا حارًّا فيصادف الهواء باردًا فيبرد وتتكاثف الرطوبة التي فيهِ فتظهر. بخلاف ايام الصيف الحارَّة فانَّا لا نرى نفَسنا فيها وذلك لان الهواء يكون احرَّ مما يلزم لتكثيف رطوبة انفاسنا فلذلك تبقى غير ظاهرة. وعلى هذا القياس تكون رؤُوس الجبال الشامخة مكلَّلة بالسحاب في غالب الاحيان لانها تكون باردة فاذا هبَّت الرياح من ناحيةٍ طالبةً ناحيةً اخرى عارضتها الجبال وصدَّتها عن المرور واكرهتها على الصعود بجوانبها فتصعد حتى تبلغ قممها فتبرد هنالك ويتكاثف البخار المائي الذي فيها فيصير غيمًا فيكلّل رؤُوسها. وبعض الجبال لا يفارقها الغيم الاَّ نادرًا فاذا فارقتها الغيمة الواحدة تكوَّنت حولها غيمة اخرى في الحال

وعلى هذا القياس ايضًا تغيم السماء عندنا في اواخر النهار ايام الصيف الحارَّة ثم تصحو عقيب ذلك في المساء. فان حرَّ الشمس يُصعِد عن الارض مقدارًا كبيرًا من البخار حينئذٍ فاذا كان الهواء هادئًا يبقى اكثر ذلك البخار فيهِ ثم متى مالت الشمس نحو الغروب وبرد الطقس يتكاثف البخار في الهواء ويحجب وجه السماء عن الارض وياخذ في الهبوط نحو الارض رويدًا رويدًا لان ثقلهُ يزيد عن ثقل الهواء الحاملهِ. وكأنَّ الارض تهيج شوقًا لرؤْية السماء وتحسر لفراقها فتتنهد وتصعد زفرات حارَّة الى العلاء فتذيب الغيوم وتبلغ منها مآربها فيبرز وجه السماء صاحيًا نقيًا كما كان. ولا حاجة الى التطويل اكثر من ذلك فان كل من حفظ في ذهنهِ

ان الغيم يتكوّن اذا برد الهواء الرطب لم يعسر عليهِ في الغالب ان يبين سبب تكوينهِ في اي زمان ومكان رآهُ

، اما تلوّن الغيم فحاصل عن نور الشمس او القمر فاذا اشرقت الشمس من وراء غيمة بانت صفراء ذهبية اذا كانت رقيقة او حمراء داكنة اذا كانت كثيفة او حمراء وردية اذا كانت بينَ بين او غير ذلك حسب اختلاف كثافتها وموقعها من الشمس بالنسبة الى الناظر اليها. فاذا انقطع النور عنها لم يعد لها لون وتبدّل بهاؤها وزخرفها باكفهرار واكداد واستولى عليها السواد. ولذلك عينهِ ترى السماء عند مغيب شمسها وافول قمرها تلبس اثواب الحداد وتحجب ببرقع الحلك حتى تلوح في الشرق اعلام الصباح فتكسو الحمرة وجنتها وتُطرّز بالذهب حلّتها وتنتزع عنها آثار السواد وتستبدل بالوان الزينة الوان الحداد

المطر

اذا غلت القدر مكشوفة تناقص ماؤها حتى يجفّ لان النار تسخنهُ فتلطّفهُ فيخف فيصعد وينتشر في الجو واذا كان فيهِ شيء ذائبًا بقي في القدر فيقال حينئذٍ ان ماء القدر قد تحوّل الى بخار وهو ما يصعد عنها كالدخان. واذا غلت مغطاة انحصر البخار فيها ثم اذا كُشِفت بسرعة كان داخل غطائها مبلّلاً لان البخار يبرد فينضغط فيرجع ماء كما كان . فلنا مما تقدّم هذا الحكم انهُ اذا عملت الحرارة في الماء لطّفتهُ فيخف فيصعد في الهواء واذا عمل البرد فيهِ تكاثف وانضغط وعاد الى ما كان عليهِ . وذلك سرُّ الآثار المخيلة وما يبدو فيها من الظواهر الجويّة موقوف عليهِ

فالبحار والبحيرات والانهار ونحوها من مسالك الماء بمنزلة القدر وما فيها والشمس بمنزلة النار فكلما اشرقت الشمس عليها عملت فيها الحرارة تسخنها فيلطف ماؤها ويصعد وينتشر متخللاً دقائق الهواء شفافًا لا يُرى فيبقى فيها الى ان يطرأ عليهِ عارض . واذا كان الماء قليلاً جفّ وترك ما فيهِ ألم ترَ الملح يبقى في نقر

الصخور بعد جفاف ماء البحر منها. وعلى ذلك تبخر المياه ويعي الجو لسكب الرحمة واحياء الارض

قلنا ان البخار شفّاف وانما كان ظهورهُ صاعدًا عن القدر كالدخان لان برد الهواء يمسّهُ فيتكاثف قليلاً فيظلم ولم يظهر صاعدًا عن البحار لان حرارة تكون كحرارة الهواء لتوقفها كليهما على الشمس. واذا برد الطقس عما كان تكاثف البخار اما رويدًا او بسرعة . فان تكاثف رويدًا قرب سطح الارض تحوّل الى نقط صغيرة واظلم فيظهر وذلك هو الضباب او تكاثف كذلك مرتفعًا عن سطح الارض فهو السحاب فالضباب والسحاب سيان ولكن الضباب ما كان واطئًا من البخار المتكاثف والسحاب ما كان مرتفعًا منهُ. وان تكاثف بسرعة تحوّل الى نقط كبيرة ووقع من الجو مطرًا فالمطر هو بخار مائيّ تكاثف دقائقهُ بسرعة فتنزل نقطًا متفاوتة في الكبر. والبَرَد مطر معتقدٌ لبرد شديد يصيبهُ. واعلم ان وقوع المطر متفاوت على سطح الارض فيزيد في اماكن وينقص في اخرى على احكام قد عُرِف بعضها ولا يزال البعض الآخر غامضًا . فما عُرِف انهُ يزيد على خط الاستواء وعالمول عن ذلك بريحين متضادتين ابدًا تلتقيان عندهُ حاملتين بخارًا فتصعدان ريحًا واحدة الى علوّ عظيم فيبرد البخار لارتفاعها وينزل مطرًا . وهو مذهب الجمهور وكثيرون يناقضونهُ وربما كانوا مصيبين ولا يمكن تفصيل مذاهبهم هنا وان تكن ملذّة مفيدة . ومنها انهُ يزيد على رؤوس الجبال عمّا على سطح البحر وذلك لانهُ اذا صعدت الريح على راس جبل بردت فيبرد بخارها فيمطر. وحيثما وجدت سلاسل جبال عالية اجتذبت الامطار اليها فتسير الريح عنها جافة فتجذب الاراضي التي وراءها وهذا هو سبب الصحارى فلا بدَّ لكل صحراء من جبال تعارض الريح في مسيرها اليها فتتناول رطوبتها وترسلها جافةً . ومنها انهُ ربما زاد في مكان بقرب جبل مجرّد قربهِ الى ذلك الجبل او قرب البحر مجرّد قربهِ اليهِ. ذلك فضلاً عن جهة الريح فان اكثر المطر النازل في محل متوقف على الريح ولذلك ترى اكثر الامطار التي تنزل على السواحل في سوريا تاتي بها ريح

من الجنوب الغربي

ومن العجب ان المطر يدور في الارض على نظام دوران الدم في الجسد. تبخر البحار والانهار فتسير بالبخار الرياح بشرًا بين يدي رحمته فتعارضها الجبال وتلتقف المطر منها فتروي ظمأها وتبعث ما فاض عنها الى الاراضي المطمئنة فترتوي به ثم تبعث الباقي الى البحار. واما ما نفذ منه في الجبال فيتجمع ويتفطر ويجري عيونًا يشرب منها الحيوان ويرتوي بها النبات ثم كانها تحنّ الى ربوعها فتترك اليابسة وتعود الى البحر الذي خرجت منه وهكذا يتلو الجديد القديم الى ما شاء الله من الزمان فتبارك من حكيم عليم

غرائب الجوّ

لقد صدق القائل ان العالِم للعالَم بمثابة العنق للراس فاذا زلّ العالِم زلّ بزلّته العالم او نهض نهض بنهضته ألا ترى ان ظلمات الجهل لم تمحها الّا شمس العلم وان الوهم لا يسود الّا بمعزل عن العلماء. ولا حرج في ذلك فلو اردنا سرد الشواهد على صحته لضاق بنا المجال اذ كان تاريخ كل علم من العلوم يحوي ما لا يُحصى منها. على أنّا نكتفي بذكر بعض الحوادث الجوّية فانها دليل واضح على فضل اهل العلم وتقدّم العالم واتساع العقل البشري بواسطتهم

قلنا انّا نريد ذكر بعض الحوادث الغريبة التي تبدو في الجوّ ويرتاع لها السذّج ولسنا نقصد بذلك ذكر الخسوف والكسوف والبرق والرعد وانقضاض الصواعق والشهب وثوران العواصف واحمرار السماء ومجاري الكهربائية ونحو ذلك من الامور الاعتيادية الحدوث التي طالما اقلقت الانسان فكان يُنسب بعضها الى غيظ الآلهة وبعضها الى الجن ويتطيّر بها ويتوقع بسببها النوازل والمصائب واما الآن فيتلقّاها بالتأمّل عساه ان يستفيد منها. ولكنّا نقصد ذكر ما هو اندر منها ونادر المطالع يتصوّر بنفسه تاثيرها في عقول الناس مجرّدةً عن تفسير الحكماء لها فنقول

طالما روى المؤرخون ان السماء امطرت نارًا وكبريتًا وحجارًا وترابًا ورملًا وثمرًا ودمًا وحيوانات حيّة كضفادع واسماك وحيات وجراد وجنادب فمن ذلك ما رُوي ان السماء امطرت نارًا آكلة سنة ٨٢٣م في جرمانيا فاحرقت قرى عديدة وانها امطرت نارًا على دوقية هسّي فاستعرت استعارًا شديدًا ثم جرت في الازقّة ولكنها لم تضرّ بالابنية . وان نارًا نزلت من السماء على سكسن هوسن سنة ١٦٧٨ واضطرمت على الارض نصف ساعة ثم انطفأت . وان نارًا نزلت على برنسويك سنة ١٧٢١ فتشتت الناس مذعورين ثم حموا الماء وجعلوا يصبونه عليها حتى تبيّن لهم ان الماء يعجز عنها

ومن هذا القبيل ما حدث سنة ١٦٤٦ و١٦٦٥ في كوبنهاكن حيث امطرت السماء كبريتًا فاحت رائحته في الجو وما حدث ١٨٠١ في راستات فقد رُوي انه نزل هناك كبريت كثير من السماء حتى استعمله الناس لعمل كبريت الضوء. وقد وقع بكثرة على ما يجاور بحيرة لوط منذ نحو اربعين سنة حتى ان العرب باعت ما التقطته منه في القدس باكثر من خمسين الف قرش وقد رُوي نزول الكبريت غير مرة في اماكن ضربنا عن ذكرها صفحًا لضيق المقام. وكثيرًا ما امطرت السماء موادّ معدنية غير الكبريت فمن ذلك نزول مادة معدنية حمراء على وستفاليا سنة ١٥٤٣ وعلى لوبن ١٥٦٠ وعلى امبدان ١٥٧١ وكان نزول المعدن في هذه الاخيرة كوابل المطر حتى صُبغت به الارض الى بعد فراسخ عديدة عنها وقد تواتر حدوث ذلك في روسيا وسوابيا وقرب بحيرة كستانس وايطاليا في اواخر ١٧٥٥ ولكن لون المادة المعدنية كان مختلفًا فيها فكان في بعضها بلون لحم البندر وفي البعض الآخر ابيض ثم احمرّ عند دوي الرعد ثم عاد ابيض

واغرب من هذه الغرائب وارهب ان تمطر السماء على الارض دمًا كما زعم اهل هالك بهولاندا فانهم اصبحوا ذات يوم فاذا الماء في غدرانهم وبركهم احمر كالدم القاني فزعموا ان السماء امطرت عليهم دمًا وقلقوا قلقًا شديدًا وكثر بينهم القيل والقال حتى اجمعوا على ان ذلك معجزة تنذرهم بالخطر ولكن طبيبًا منهم

اغترف قليلاً من الماء وفحصهُ فاذا هو مشحون حشرات صغيرة لونها كاللهيب وهي تُعرَف ببراغيث الماء وتعيش في الاوحال وبين خضراء الدمن وتطلب الماء في اواخر ايار واوائل حزيران وقلما يخلو الماء الراكد منها في بعض البلدان في ذلك الحين . فابى الهولانديون ان يصدقوا الآن ذلك معجزة ثم لما دمرت بلادهم بحروب الملك لويس الرابع عشر قالوا ان تلك المعجزة كانت ولا بد رمزًا الى الدماء التي أُهرِقَت ولا يزالون يعتقدون ذلك الى اليوم. ولما كان ظهور هذه الغرائب مقصورًا على الوقت المذكور فالارجح ان سببها هو ما قدمناهُ وان الحشرات التي تسببها لم تكن في الجوّ مطلقًا

وما لنا ولهذا كلهِ فكم من مرة روى الرواة ان السماء رمت الارض بحصى وحجارة فخرَّبت فيها وقتلت من اهلها كما جاء منذ طويل الزمان في تواريخ اهل الصين وغيرهم الى هذا اليوم. ولعظم غرابتهِ لم يصدقهُ كثيرون من الفلاسفة وكانوا يحملون قول المؤرخين والمشاهدين على غيرهِ مما ليس بصحيح او على شدَّة التوهم لاسباب شتى. ولكن تواتر هذه الحوادث ولاسيما في هذه السنين المتأخرة لم يترك محلاً للشك والتكذيب فاضطرَّ العلماء الى البحث عن اسبابها فجاءوا العالم بمنافع لا تُقدَّر. اما الحجارة فقد سقط حجر منها في الولايات المتحدة سنة ١٨٠٧ ثقلهُ نحو ٣٠٠ ليبرا ولما بلغ الارض تحطَّم وحطَّم ما وقع عليهِ من الصخور وغرز في الارض الى عمق قدمين وكان حاميًا وسقط آخر هناك ١٨٦٠ ثقلهُ نحو سبع مئة ليبرا وسقط آخر في بوهيميا ١٨٤٧ وكان من حديد فنزل في الارض الى عمق ثلاثة اقدام وبقي ست ساعات حاميًا لا يُمسَك باليد . وكثيرًا ما ذُكر نزول ضفادع وسمك من السماء. حكى موسيو پلتييه ان الضفادع سقطت عليهِ ذات يوم افواجًا من السماء وغطَّت الارض حولهُ وحكى غيرهُ من الفرنساويين والهنود ان السماء امطرت عليهم سمكًا. وحكى آخر ان السماء امطرت برتقالاً على بيتهِ في نابولي . وحكى غيرهُ انها امطرت رملاً وقشًّا ونحو ذلك

فلا غرو اذا ارتاع الجاهل لمثل هذه الحوادث ولا يُلام القدماء على التطيُّر

بها زعمًا بانها نزلت عليهم من السماء او انها تكوّنت في اعالي الجوّ كما يتكوّن المطر. وانما الفضل لاهل العلم الذين انضوا الى معرفة اسبابها ركاب الجد والتفتيش فكان جلُّ ما اتصلوا اليهِ منها ان الحجارة التي تتساقط من الجوّ هي نيازك دائرة حول الشمس تقترب الارض اليها احيانًا وتبعد عنها اخرى فاذا قاربتها بحيث تغلب الشمس في جذبها اليها تسحبها نحوها فتنزل اليها . وان النار حادثة من التقاء الجاري الكهربائية بمواد في الجو تلتهب وتسقط الى الارض نارًا وان ما بقي مما لم يُعلَّل آنفًا حاصل عن واحد من امرين وهما البراكين والزوابع فاذا هاج بركان قذف رمادًا وكبريتًا ودخانًا الى الجوّ فتحملها الرياح وتلقيها في اماكن اخرى . واذا مرّت الزوابع برمال اثارتها في الجوّ واسقطتها في مكان آخر واذا مرّت بغدران فيها سمك او ضفادع او حيّات او ببساتين ذات اشجار مثمرة حملت ما فيها من السمك وغيرهِ والفتة في اماكن اخرى بعيدة او قريبة حسب شدّتها .

فبهذه التعاليل تضعف قوّة الوهم وتزول المخاوف من عقولٍ طالما اقلقتها حوادث الطبيعة على غير طائل

الاعصار او الزوبعة

الاعصار او الزوبعة عمود من التراب او السحاب او النار ينتصب ما بين الغيم والارض غالبًا منتقلاً من مكان الى آخر دائرًا على نفسهِ مصحوبًا ببرق ورعد وريح عنيفة زوبعية تدور حوله . فاذا حدثت في صحراء ثارت رمالها وارتفعت الى السماء كانها اعمدة وهي كثيرة الضرر عظيمة الخطر بزعم العرب ان المَرَدَة تسكنها ولذا سمّوها بالزوبعة . قال في محيط المحيط في تعريف الزوبعة ما نصّهُ . الزوبعة زعموا انها اسم شيطان او رئيس للجن . قيل ومنهُ سُمّيت الاعصار (وهي ريح تثير الغبار وترتفع الى السماء كانها عمود) زوبعة .... زعموا ان فيها شيطانًا ماردًا يثور بها اه . روى المؤرّخون عن كمبيس ملك الفرس انهُ بعث بخمسين الف مقاتل على واحة سيواه فساروا اليها في مفاوز وهلكوا عن آخرهم والظاهر انهم

لقوا في طرقهم اعاصير فهلكوا من رمالها وحرّ هوائها فانهُ طالما هلك من هذه الزوابع جمٌّ غفير من الحجاج والتجار الذين يجوبون البوادي لاسيما وانها تفاجئ المسافرين مفاجأةً مع شدَّة حرّها وجفاف رياحها. فاذا شعرت النياق بقدومها نفرت في فيافي البوادي حتى اذا اصابت شجرة او نجمًا استترت بهِ الى ان تتجاوزها الرمال الثائرة. والظاعنون المجرّبون يخرّون بوجوههم ملتفة على الارض حتى تمرّ فاذا كانوا من طوال الاعمار يقصر زمان مرورها ولا تطمرهم رمالها والاّ هلكوا كمن هلك من قبلهم

واذا حدثت الاعصار في بلاد معمورة غلب عليها اسم الزوبعة ولكن صفاتها وافعالها تبقى واحدة فالبادية والحاضرة سيّان عندها. فاذا اصابت بيوتًا خرّبتها او اشجارًا قلعتها او مركبات حطّمتها او نفوسًا سلبتها . ولو اردنا وصف صفاتها وافعالها لضاق بنا المقام فنقتصر على ذكر بعض ما رُوي منها

قال بعضهم يصف هيئتها. شهدتُ يومًا من ايام سنة ١٨٢٣ شهيرًا بزوبعةٍ عظيمة حدثت فيهِ . وكان يغشى السماء قبل حدوثها غيم كثيف مكفهرّ ذو مطر غزير وبرق شديد . ثم انقطع المطر واما الغيم فكان يزداد كثافةً واكفهرارًا والهواء سكونًا والحرُّ اشتدادًا حتى فاجأتنا السماء باصوات هائلة كدمدمة رعود قاصفة قد ملأَت الجوّ. فهرعنا الى باب البيت وفتحناهُ فاذا غيمةٌ نيّرة كاتون من نار متقدة تشغل مساحة نصف فدّان من الارض قد تدلّت من سحاب السماء واقبلت علينا بسرعة كانها خرطوم فيل من نارٍ يتلوّى ذات اليمين وذات اليسار فخال لنا ان البدر ينير ظلام ذلك الليل الدامس . وتيقّنّا انها زوبعة فبادرنا الى اغلاق الابواب رجاء النجاة من شرها ولكنها سبقتنا فرفعت سطح البيت وحملت كل ما اصابت من الاثاث ثم مضت باسرع من لمح البصر فخرجنا في اثرها لعلنا نستردُّ شيئًا من الامتعة وكان نورها مالئًا الآفاق فوجدنا كثيرًا منها مطروحًا بعيدًا عن البيت

وقال آخر يصف شرَّ فعالها وعظم اهوالها اصابت اعصار غابةً فقطعت

بها مسافة ثلاثة اميال تقلع من اشجارها وتحطم كل ما اعترض طريقها ثم دخلت المزروعات فلم تبقِ منها ولم تذر وهدمت بيوتاً عديدة ثم دخلت وعراً كثير الشجر واكثر اشجاره من السنديان الكبير فلم تبقِ منها الاّ القليل وكان بينها سنديانة كبيرة كانها في اخواتها طودٌ من الاطواد قطر ساقها ثلاثة اقدام فثارت بها الزوبعة وحطمتها ارباً اربا . وقد حسبت من ذلك سرعتها فوجدتها مئة وثلاثة وسبعين ميلاً في الساعة او ٢٥٣ ½ قدم في الثانية اي ربع سرعة كلّة المدفع بلا مبالغة. واعجب من ذلك انها اصابت في طريقها لوحًا من الخشب فحملته وضربت به ارومة شجرة من السنديان فدخل فيها الى عمق ثلاثة اقدام . ووجدت ايضاً انهُ لو قُطع من هذه الزوبعة قطعة عرضها ربع ميل وعلوُّها مئة قدم لكانت قوّتها فقط تساوي نصف قوة البخار الذي في العالم فانها كسّرت وقلعت اكثر من خمسين الف شجرة في نصف ساعة اه . وقال آخر اصابت زوبعة آلة من آلات الحراثة وكان في الزوبعة ماسكًا امسك بزنجير الآلة فرأينها تجرُّها وهي تحرث في الارض اثلامًا عميقة

ومع كل ما بها من الزخم والقوة فقد تمرُّ باوهن الاشياء ولا تلحق بها ضررًا. روى بعضهم ان زوبعة اصابت فراخًا في طريقها فنتفت عنها كل ريشها فخرجت الفراخ منتوفة حلطاء ولكن سالمة. وقالت امرأة كنت يومًا اغسل مع جارتي في مكانٍ واحد وابنانا بجانبينا في سريريهما . فمرّت بنا زوبعة وكانت جارتي قد انحنت على سرير ابنها ترضعهُ فما دريت الاّ والبيت قد طار بنا وانا وابني في سريره طائران في الهواء واللكن الذي فيهِ الثياب طائر امامي حتى نزلنا الى الارض سالمين. فالتفتُّ فاذا البيت قد تهدّم وجارتي مسحوقة فوق سرير ابنها . وذُكر غير مرة ان الزوابع تمرُّ بالبيوت فتسلب البراويز عن المرايا تاركة الزجاج مكانهُ وتقتلع المسامير من السقف دون ان تزحزح الاجر . وقد اصابت زوبعة رجلاً في مركبتهِ فحملتهُ مسافة ثلاثين قصبة الى جهة وحملت خيلهُ كذلك الى جهة اخرى بعد ان نزعت العدد عنها وحملت المركبة مسافة شاسعة ثم القتها الاّ دولابا

لم يوقف له على اثر. ففي ما تقدّم عن الزوبعة غنًى عن التطويل

واما اعاصير النار فتتولّد اذا حدث حريق عظيم. قيل انهُ لما حرق الروس موسكو سنة ١٨١٢ ايام محاربتهم لبونوبارت حدثت في الجوّ اعاصير هائلة وارتفعت كانها اعمدة من نار وسارت مخرّبة اشدّ التخريب وقد تنشب النيران في قفار اميركا فتتكوّن هناك اعاصير من نار هائلة تاكل كل ما تصادف في طريقها

واذا حدثت الاعصار على الماء تُعرف عند العامة بالتنين فيجيش الماء ويزبد ويتصاعد الزبد مسرعًا حتى يلاقي العمود المتدلي من السحاب كمخروط منقلب اشبه بخرطوم الفيل فيتكامل العمود منتصبًا بين الماء والسحاب وتدور الريح حولهُ بعنفٍ شديد غير انهُ قد يبتدئ بصعود الزبد اولاً ثم بتدلي السحابة او بتدلي السحابة اولاً ثم بصعود الزبد وقد لا يتكامل العمود

والاعصار شديدة الخطر على السفن فتجرّها بعنفٍ شديد ثم ترفعها ثم تهبط بها فتحطمها وتهلك من فيها والنواتي يحتالون عليها فاذا قاربتهم اطلقوا عليها المدافع فتنقطع ولها هدير شديد ثم تزول . ويهطل منها حين انقطاعها ماء عذب دالاً على ان ماءها مقتطر من السحاب لا مجتذب من البحار التي تحدث عليها اذ لا يصعد اليها من ماء البحار الاَّ الزبد . وكثيرًا ما تمرُّ الاعصار بغدرانٍ فتغترف ماءها مع ما فيها من السمك ثم تلقي سمكها في محلّ آخر وقد اشرنا الى ذلك في نبذة غرائب الجوّ. وقد رووا عن الاعصار حوادث عديدة لا يسعنا ذكرها الآن فحسبنا ما تقدّم

اما سبب الاعصار او الزوبعة فمختلف فيهِ. ذهبت جماعة من الحكماء الى ان اصلها ريح زوبعية تحدث بين الارض وسحابة فتطرد اجزاء السحابة السفلى وتلفّها بعضها في بعض حتى تتدلى على شكل مخروط منقلب كانها خرطوم فيل. ومتى قاربت اليابسة او المياه اجتذبت ما عليها الى جوفها فترفع الاجسام عن الارض وتفعل بها ما تفعل من الانقلاب كما ذُكر

وذهبت جماعة اخرى الى ان الكهربائية اصلها وبينوا ذلك بانهُ اذا افلتت الكهربائية من غيمة وكانت الغيمة كثيفة تنخفض الغيمة الى الارض واذا كانت كثيفة جدًا تتدلى بعض اجزائها السفلى وتطاول شيئًا فشيئًا حتى تصير بشكل مخروط قاعدتهُ متصلة بالسحابة وراسهُ مدلًى الى الاسفل . فاذا حدث ذلك فوق الماء اضطرب الماء ووثب ملاقيًا السحابة فيكمل العمود. واذا حدث على اليابسة اهاج الغبار ونحوهُ من الاجسام الخفيفة فتثب هذه الى السحابة وتلتصق بها حتى تتكهرب فتندفع راجعة الى الارض وهكذا حتى تتم الصلات بين الارض والسحابة فتجتذب الاجسام الثقيلة كما تجتذب الخفيفة ويحدث ما يحدث كما مرَّ والله اعلم.

الجاذبيَّة ميزان السماء والارض

اذا وضعنا قطعتين من الفلّين في كاس ماء رأيناهما تتقربان احداهما من الاخرى حتى تلتصقا مع عدم وجود محرّك لهما في الظاهر . فلو قيل ما سبب اقتراب الفلينتين احداهما الى الاخرى والتصاقهما اخيرًا ولا محرك لهما في الخارج فلا الماء متموّج ولا الهواء متحرك لقيل لا بدّ وان يكون السبب داخلهما وهذا السبب هو الجاذبية وعنهُ بحثنا الآن. فاذا اخذنا قطعة من قطعتي الفلين او جسمًا آخر غيرها وقطّعناهُ ثم قطّعنا قطعة قطعًا اصغر ثم قطّعنا هذه ايضًا قطعًا اصغر وهكذا حتى لا يعود في وسعنا تقطيع ذلك الجسم الى اصغر مما قطّعناهُ قيل لتلك القطع جواهر مادية او دقائق. فالجوهر المادي او الدقيقة هو اصغر ما يتوصّل اليهِ بالعمل ويُفرَض عند الفلاسفة انهُ مؤلَّف من جواهر اخرى اصغر منهُ لا تشعر بها الحواس تُسمّى الجواهر الفرديَّة. ولهذه الجواهر صفة ملازمة لا تنفكُّ عنها وهي انها تجذب بعضها بعضًا حيثما وُجِدَت وتطلب ابدًا ان تتلاصق بعضها ببعض وهذه الصفة هي الجاذبية. فقطعة الفلين مثلاً جسم مؤلَّف من جواهر فردية جاذبة بعضها بعضًا ومرتبطة بعضها ببعض بقوة الجذب التي فيها واذا قربت اليها قطعة اخرى فجواهرها تتجاذب فتتقارب بعضها من بعض حتى تتلاصق ولولا الجاذبية

لكانت كل مادة العالم جواهر متفرقة متباعدة بعضها عن بعض ليس فيها جسمٌ من الاجسام فكان لا فرق بين الماء والحجر والخشب والذهب وسائر الاجسام الاّ ان يكون في جواهرها الفردية

ومن البيّن انهُ كلما زاد عدد جواهر الجسم زادت جاذبيتهُ فجاذبية الخشبة المؤلّفة من الف جوهر اقل من جاذبية الخشبة المؤلّفة من الفين. واذا وُضِعتا كلتاهما على وجه الماء فذات الالفين تجذب ذات الالف اكثر مما تجذب منها واذا وضعنا معهما خشبة مؤلّفة من عشرة آلاف جوهر تجذبهما اليها ولا تجذب منهما الاّ قليلاً فتقتربان اليها اكثر مما تقترب اليهما واذا كانت ذات جواهر اكثر فلا تتحرك من موضعها في الظاهر واما هما فتجذبان اليها حتى تلتصقا بها. ثم ان الارض جسم كبير مؤلَّف من جواهر لا يحصى عددها وكل جسم عليها صغير جدًّا بالنسبة اليها فجواهرها مرتبطة بعضها ببعض بالجاذبية التي بينها وكذلك جواهر ما عليها من الاجسام. ولمّا كان من طبيعة جواهر المادة ان تتجاذب حيثما وُجِدت فجواهر الارض تجذب الاجسام التي عليها وجواهر الاجسام تجذب جواهر الارض وبعبارة اخرى ان الارض تجذب ما عليها من الاجسام وتجذب منها حتى تصير وإياها كالجسم الواحد ولكنها لكبرها وصغر تلك الاجسام يظهر انها تجذب فقط ولا تُجذَب كما يظهر ان الخشبة الكبيرة تجذب الخشبتين الصغيرتين ولا تُجذَب منهما كما تقدّم آنفًا. فكيفما دارت الارض بالاجسام التي عليها تبقى تلك الاجسام لاصقة بها ولا تفلت منها لانها مرتبطة بها بالجاذبية كانها مربوطة بحبال فاذا دارت الارض على محورها تبقى الاجسام ثابتة عليها وكذلك اذا دارت حول الشمس. واذا رمينا جسمًا عنها فلا تكفُّ عن جذبهِ حتى تردّهُ اليها ولذلك تنزل كل الاجسام الى الارض ولذلك ايضًا يبقى الهواء محيطًا بها والماء مستقرًّا في البحار على سطحها اذ هي كلها مرتبطة بها ارتباطًا بالجاذبية

ومن البيّن ايضًا انهُ كلما قربت جواهر الاجسام بعضها من بعض يقوى تجاذبها وكلما بعدت بعضها عن بعض يضعف فاذا فُرِض البعد بين جوهرين

شعرة كانت قوة الجذب بينهما اقوى مما تكون لو صار البعد بينهما شعرتين . وكلما قربت الاجسام بعضها من بعض زاد تجاذبها ايضًا لان جواهرها تكون قد تقاربت فاذا وضعنا فلينتين في الماء على بعد قيراط احداها من الاخرى تجاذبتا وتقاربتا باسرع مما لو وضعناهما على بعد قيراطين احداها من الاخرى وكذلك اذا ارتفع حجر عن سطح الارض فجذبها له يقلّ عما كان وهو على سطحها . ونُعرّف جاذبية الارض للاجسام التي عليها بالثقل فاذا قلنا ان جاذبية الارض لهذا الجسم اشدّ مما لذاك كان المراد ان ثقله اعظم من ثقل ذاك . وما يصدق على الجاذبية يصدق ضرورةً على الثقل فكلما زادت جواهر الجسم زاد ثقله لان جاذبيته تزيد وكلما بعد الجسم عن سطح الارض قلّ ثقله فثقل النسر يخفّ متى علا عن سطح الارض عما يكون وهو على سطحها والرطل ينقص اذا طيّر به الى اعالي الجو واذا صعد انسان في بلون وكان ثقله على سطح الارض ثلاثين رطلاً يصير ثقله ستة دراهم فقط اذا علا عنها علوّ القمر . فظهر مما سبق أنّا من الصغائر اي من تجاذب قطعتي الفلين انصلنا الى الكبائر اي الى جذب الارض لما عليها من الاجسام وثبوت الاجسام عليها وثقلها وخفّتها ومن هذا سنتّصل الى ما هو اكبر واسمى ونعني به ثبوت الارض وعوالم السماء متوازنة هادئة حالة كونها معلّقة في الخلاء على لاشيء

الارض كرة معلّقة في الفراغ لاشيء فوقها ولا شيء تحتها ولا شيء عن جوانبها كانها طابة في الهواء وهكذا الشمس والقمر وسائر الكواكب فانها عوالم اكثرها اكبر من الارض بما لا يُقاس وجميعها مركوزة في جوانب الكون على الخلاء . فرُبّ قائلٍ يقول وكيف يتمّ لها ذلك ولا عماد تستند اليها ولا دعائم ترتكز عليها . نقول ان الباري يحفظها كذلك بالجاذبية فالارض تجذب الشمس وبقية الكواكب والشمس تجذب الارض وبقية الكواكب وهذه الكواكب تجذب الشمس والارض وتجذب بعضها بعضًا كانها مرتبطة بحبال وقد وضعها الباري تعالى على ابعاد مناسبة بحيث يكون تجاذبها واسطة لتوازنها فكأنّ الجاذبية ميزان ذو كفّات لا كفّتين وكأنّ كلّ عالم عيارٌ في كفة موازن للعيار الآخر . فلو قرب بعض هذه

العوالم من البعض الآخر او تلاشى من الوجود لبطلت موازنتهُ وتجاذبت الكواكب فتلاطمت وتحطّمت وتخرب الكون تخربًا . ولقد امسك عقل الانسان هذا الميزان وعرف احكامهُ فصار ابن هذه الاعصار يزن الارض وعوالم السماء بالارطال كما يزن البائع امتعتهُ . فسبحان من رتّب هذه النواميس وعلّم الانسان ما لم يعلم

القمر

القمر جرم كرويٌّ مظلم يستمد نورهُ من الشمس ثم يعكسهُ الى الارض فيرفع ظلام الليل عنها وهو اقرب الكواكب الى الارض واوضحها منها منظرًا واكبرها بحسب الظاهر الاّ الشمس غالبًا وهو اصغر من الارض تسعًا واربعين مرة في الحجم ويتبعها دائرًا حولها مرة في نحو تسعة وعشرين يومًا ونصف يوم من هلال الى هلال وبعدهُ عنها نحو ٢٣٩٠٠٠ ميل فلو سار اليهِ مسافر سيرًا متواصلاً ليلاً ونهارًا على معدَّل ستة اميال في الساعة (وذلك مضاعف السير الاعتيادي) لبقي على الطريق نحو ١٦٦٠ يومًا. ودورانهُ حول الارض ظاهر لكل مراقب ألا ترى الى الهلال كيف يغيب في اول ليلة مع الشمس ثم يتأخّر عنها ليلة فليلةً حتى اذا صار بدرًا اشرق عند مغيبها فذلك انما كان من دورانهِ حول الارض من الغرب الى الشرق واما شروق القمر والشمس وسائر الكواكب وغيابها كل يوم فذلك من دوران الارض على محورها مرة في اربع وعشرين ساعة لا من دوران الاجرام نفسها فدوران القمر حول الارض هو الظاهر في تأخره عن المغيب يومًا فيومًا . وهو غير دورانهِ المائل لدوران بقية الاجرام بالظاهر. قالوا ومن الغرائب التي حملت الاقدمين على مراقبة القمر اختلاف شكلهِ من يوم الى آخر فتراهُ تارةً دقيقًا اعقف وتارةً قرصًا مستديرًا يُضرَب بهِ المثل في الجمال وتارةً بين بين وتارةً اقرب الى الهلال وتارةً اقرب الى البدر وهو على كل ذلك قمر واحد ولو لم نكن قد اعتدنا على مشاهدة ذلك لعجبنا منهُ غاية العجب وما كلّنا انسانًا

في هذا الموضوع ولم يكن له اطّلاع عليهِ الاَّ سألنا عن علّة هذا الاختلاف. فاختلاف القمر شكلاً ناتجٌ عن أمرين دوران القمر حول الارض واستمدادهُ النور من الشمس ولايضاح ذلك افرض الارض كرةً مركوزةً في الجو لا تتحرك وافرض القمر كرةً اصغر منها تدور حولها قريبةً اليها وافرض الشمس كرةً اخرى كبيرة جدًّا مركوزة في الجو على بعد شاسع عنها فالامر واضح ان القمر بدورانهِ حول الارض يتوسط بينها وبين الشمس فمتى صار القمر بين الارض والشمس اصاب نور الشمس وجههُ المتجه اليها ولم يصب الوجه المتجه الى الارض فيختفي لان نور القمر مستمد من الشمس كما تقدَّم فيُقال حينئذٍ ان القمر في المحاق ثم متى دار القمر قليلاً اصاب نور الشمس جانبًا مما يظهر للارض منهُ فيُقال انهُ هلال واستدارة الهلال على شكل قوس مسبَّبة عن كروية القمر وهكذا يزداد الجزء المنوَّر بدوران القمر حتى يظهر نصف وجههِ منيرًا فيُقال انهُ في الربع الاوَّل ثم يتزايد حتى يتكامل وجههُ فيُقال انهُ بدر ثم ينقص كذلك الى ان يرجع الى المحاق ثم الى الهلال وهكذا الى ما شاء الله

فهذا تعليل اختلاف وجوه القمر وقد فرضنا فيهِ ان الارض ثابتة في الجو وان القمر يرسم دوائر حولها في دورانهِ وذلك خلاف الاصل فان الارض تدور حول الشمس والقمر يدور معها لانباعهِ لها ولذلك لا يتمُّ الدوائر حولها كما لو كانت ثابتة لانهُ متى توسَّط بينها وبين الشمس وهمَّ بتكميل الدائرة حولها تكون هي قد انتقلت من محلها فيتغير مركز الدائرة الدائر هو حولهُ فيلتزم ان يترك الدائرة الاولى ويدور في دائرة أُخرى فيكون طريقهُ مع الارض حول الشمس دائرة متموّجة

ان من العجب ما يندهش لهُ العقل واحب ما تتمول لهُ النفس ويرتاح لهُ القلب معرفة ماهية الكواكب وطباعها وما اذا كان فيها سكان ونحو ذلك مما يخطر لكل مفكرٍ في هذه المواضيع السامية ولعلَّ ذلك اعظم باعث حمل العلماء في كل زمان على مراقبة النجوم ودرس احكامها حتى توصَّلوا الى ما توصَّلوا اليهِ . ولما كان القمر اقرب الاجرام السماوية الى الارض واحق منها بالمراقبة كان ما قد

عُرِف عنهُ اكثر ما عُرِف عن سواهُ فمن ذلك انهُ ارض مثل ارضنا فيهِ جبال واودية وبراكين وهضاب ونحوها ويرى الناظر السهول فيهِ بقعاً مزرقة تجعل صورتهُ كصورة الانسان على زعم كثيرين . واذا نُظِر القمر بنظارة ازداد وضوحاً وكلما كُبِّرَت صورتهُ قَرُب منظر ما فيهِ الى المناظر الارضيَّة وقد فحصوا سطحهُ فحصاً مدققاً فقسموا اشهر ما يُرَى الى ستة اقسام وهي سهول وسلاسل جبال او تلال وبراكين منطفئة واودية وشقوق او فِزَر واراضي زاحلة . اما السهول فهي البقع الزرق المشار اليها وكانوا يزعمون قبلاً انها بحار وليست بحار كما سياتي وهي مثل الصحاري والمفاوز في ارضنا وتكتنف الجبال اكثرها وقد عدُّوا منها اثنين وعشرين سهلاً ولا تزال تُسمَّى بحوراً كبحر الانواء وبحر الغيوم وبحر الرحيق الخ . واما سلاسل الجبال فكثيرة الاشكال منها ما هو ممتد كثيراً ومنها ما هو منبسط تقاطعهُ اودية وشُعَب ومنها ما هو مرتفع في اواسط السهول وتظهر السلاسل بالنظارة خطوطاً بيضاء منيرة والجبال نقطاً بيضاء لوقوع نور الشمس عليها وتظهر ظلولها ملقاة بجانبها ومن العجيب ان هذه الجبال اوعر على الجانب الواحد مما على الآخر مثل جبال الارض فاستدلُّوا من ذلك على انها قد ارتفعت بفعل الحرارة المستبطنة القمر في الطبقات التي فوقها فنهضتها وبتقلص قشرة القمر عند جمودها كما ارتفعت جبال الارض والله اعلم . واما البراكين فكثيرة العدد واكثر جبال القمر منها وهي اكبر من براكين الارض كثيراً ومنظر بعضها منظر سهل محاط بجبال شامخة . وفوهاتها هائلة الاتساع قالوا ان البركان شيكار لاتساع فوهتهِ اذا وقف ناظر في وسطهِ لم يرَ الجبال المحيطة بهِ فيكون اتساع الفوهة اعظم من اتساع افق الناظر ومنها ما هو عميق جداً فلا تظهر الشمس ولا الارض من قعرهِ . وهي اما مرتفعة عن مساواة سطح القمر او منخفضة عنها . وفي اواسط بعضها تلول على شكل البراكين الارضيَّة فترى الفوهة بالنظارة حلقة نيرة وسطها مظلم فيهِ نقطة بيضاء هي قمة التل . ويُستدَل من هذه البراكين على انها لم تتوصل الى ما هي عليهِ الاَّ بعد ان هاجت وخمدت مرات عديدة متوالية وقد راقبوها كثيراً زماناً طويلاً ولم يروا

فيها اثرًا يدل على الهيجان وزعم بعضهم انهُ رأَى بعضها هائجًا وذلك غير مؤكَّد ولا محل لاطالة الكلام بهِ في هذا المقال

واما الاودية فمثل اودية الارض منهـا ما هو كبير جدًّا ويمتد كثيرًا ومنها ما هو صغير ويمتد قليلاً. واما الشقوق فكثيرة تقطع السهول او الجبال فتختفي على جانب منها وتظهر على الجانب الآخر كانها قد مرَّت من تحتها وزعموا ان سببها تقلص قشرة القمر عند بردها. واما الاراضي الزاحلة فآثارها شقوق مسدودة والظاهر انها قد نتجت عن انشقاق سهل او جبل فزحل احد الشقين هابطًا عن شقيقهِ غير مبتعدٍ عنهُ فتكوَّنت من ذلك العقاب والشعاب كما يظهر في جبال ارضنا. فالواقف على سطح القمر يرى حولهُ جبالاً شامخة وسلاسل جبال ممتدَّة وصحاري فسيحة وبراكين متسعة هائلة واودية كبارًا وصغارًا ونحو ذلك مما يُشاهَد في ارضنا فبين الارض والقمر مشابهة كليَّة في ما تقدَّم ومخالفة عظيمة في ما يأتي وهو

ان القمر خالٍ من الماء والهواء والغيم والمطر وقد تحققوا خلوَّهُ منها بتجريبات مأنوسة واحكام مقرَّرة لا يسعنا الآن تفصيلها فالمخلوقات الحيَّة لا تعيش في القمر لخلوهِ مما تقوم بهِ حياتها وذلك لا يوجب خلوَّهُ من السكان فربَّ مخلوق من الخلائق يميتهُ ما يحيا بهِ غيرهُ. ولو قيل لمن لا يعلم بوجود السمك في العالم ان من المخلوقات ما يعيش في الماء ويموت في الهواء لاعتراهُ من العجب ما يعترينا حين يقال لنا ان القمر مسكون. واعلم ان العلماء قد احسنوا اتقان النظارات حتى صاروا يقربون القمر منهم فينظرونهُ كما لو كان على بعد اربعين ميلاً فقط عنهم غير ان ذلك لا يزال كثيرًا على البصر فلا يميّز الاشباح عنهُ فضلاً عن ان هواء الارض كثير الاضطراب فلا يؤذن بانجلاء الشبح للعين ولطالما طاف العلماء في جهات الارض رجاء ان يصيبوا محلاً نقيَّ الهواء ساكنهُ فيتيسَّر لهم ان يروا ما في القمر وكانوا يؤمّلون ان يروا سكانهُ ولم يروا ولا يزالون يبذلون اموالهم ويجهدون انفسهم في سبيل الاكتشاف والله اعلم بمنتهى اكتشافهم. وقال بعض الفلاسفة بما ان

جاذبيَّة القمر اقلُّ من جاذبية الارض فاجسام اهلهِ اكبر من اجسام اهل الارض كثيرًا اذا لم يكونوا غليظي الابدان ثقيلي الحركة وانهم ان كانوا اكبر جسمًا فمساكنهم اكبر من مساكننا لمناسبة اجسامهم ومدنهم اكبر من مدننا فكنا نراها لو كانت . وقال آخرون القمر عالم قد خرب فجفَّ ماؤُهُ وتلاشى هواؤُهُ وانقضى زمان اهلهِ وقال غيرهم ان للقمر هواء واطئًا وربما لم يبلغ رؤُوس جبالهِ الشامخة والله اعلم . ولما يئسوا من اكتشاف السكان في القمر عمدوا الى التفتيش عن النبات فيهِ فحكموا بعدم وجودهِ وذلك لانهُ لو كان فيهِ نبات لكان منظر القمر يتغير بتغيُّرهِ فالناظر الارض من القمر يراها تختلف منظرًا من فصل الى آخر كما لا يخفى ولم يروا شيئًا من ذلك في القمر ناهيك عن خلوّهِ من الماء والهواء اللازمين للنبات فهو خالٍ من مثل المخلوقات الحيَّة الارضيَّة وزِد عليهِ ان نهارهُ نحو خمسة عشر يومًا وليلة كذلك والطقس يتغيَّر فيهِ فجأَةً من الحر الشديد الى البرد الشديد وبالعكس ولا سيما في الجهات الاستوائية وليس لهُ فصول وكل ذلك مما لا يوافق المخلوقات الحيَّة الارضيَّة ومما يستحق الذكر اننا لا نرى الاَّ وجهًا واحدًا من القمر والوجه الآخر لا يظهر لنا ابدًا وقد سبقت الاشارة الى ذلك غير انهُ قد يظهر منهُ اقسام صغيرة بسبب ما يُسمَّى التمايل ولا حاجة الى تفصيلهِ هنا . والخلاصة ان القمر يشابه الارض في امور ويخالفها في أُخرى وانهُ خالٍ من الماء والهواء وكل ما يحدث عنهما وليس فيهِ نبات ولا سكان مثل سكان الارض وربما لم يكن فيهِ سكان على الاطلاق وانهُ سريع الانتقال من الحر الى البرد ومن البرد الى الحر وليس لهُ الاَّ فصل واحد ابدًا .

اما الواقف في القمر فيرى الارض هلالاً وبدرًا وفي التربيع كما نرى القمر غير انَّا متى رأَينا القمر هلالاً يرى الارض بدرًا ومتى رأَيناها بدرًا يراها هلالاً كما يتضح بعد امعان النظر ومنظر الارض من القمر اجل من منظرهِ منها فبدر اهل القمر يساوي ثلاثة عشر بدرًا من بدورنا وهلالهم كذلك ولا تغيب الارض عنهم كما يغيب هو عنها وكما تغيب باقي الاجرام عنهُ وعنها فيراها الواقف في مركز

قرص القمر قريب سمت راسهِ . والواقف على حافة القرص قرب افقهِ يرى كل سطحها في خمس وعشرين ساعة وما عليهِ من المياه والجبال والاودية والصحارى غير انها لا تكون واضحة وضوح ما نراهُ على سطحهِ لان هواء الارض يعكس النور ويفرقهُ فيقلّ وضوح منظرها وذلك انما يُشاهَد من الوجه الظاهر للارض منهُ واما اهل الوجه الآخر فلا يرونها البتة الاَّ الذين يكتشفونها بالتمايل المشار اليهِ او الذين يأتون الوجه الآخر لغرض كالتفرُّج عليها

قلنا ان اختلاف القمر شكلاً كان من اعظم البواعث التي حملت القدماء على البحث فيهِ وذلك على سبيل الترجيح فانهُ لم يصلنا شيء من آرائهم الى ايام فلاسفة اليونان واولهم ثاليس نبغ سنة ٦٤٠ ق م وذهب الى ان بعض نور القمر ذاتي وبعضهُ مستمد وذلك لظهور القسم المظلم من القمر قبل الهلال وبعدهُ بقليل ولعدم اختفاء القمر تمامًا عند خسوفهِ وقد وافقهُ جماعة من المتاخرين على مذهبهِ. اما الاول فيُعلّل عنهُ الآن بنور الشمس ينعكس عن الارض الى القمر ثم يندفع من القمر الينا فيظهر القسم الذي لا تصيبهُ الشمس منيرًا قليلاً واما الثاني فبانكسار النور عن هواء الارض الى القمر فيظهر لنا بهِ. ثم اناكسوراكاس نبغ سنة ٥٠٠ ق م وعن ديوجينوس لارتيوس ان اناكسوراكاس ذهب الى وجود سكان في القمر وان البقع التي على سطحهِ هي جبال واودية وانهُ ليس اصغر من المورة في بلاد اليونان فكانوا يسخرون بهِ . وذهب اتباع فيثاغورس الى ان القمر صقيل يندفع النور عنهُ كما يندفع عن المرآة وان البقع التي عليهِ هي صور بحور الارض وقارّاتها . وذهب آخرون الى ان القمر مسكون وان سكانهُ جبابرة الرجل منهم قدر خمسة عشر رجلاً منا كما ان نهارهم خمسة عشر يومًا ولياليهم كذلك وقال هيرقليط الشمس والقمر اركانها واحدة وانما القمر اقل نورًا من الشمس لانهُ محاط بالاثير الكثيف المحيط بالارض. وقال اوريجين نور القمر ذاتي والبقع التي عليهِ هي ظلول الاماكن العالية. وذهب كثيرون بعدهُ غير ذلك الى ان قام ارسطو فذهب الى ان القمر صقيل والبقع التي عليهِ هي صور بحار الارض وقارّاتها منعكسةً عنهُ فلو

صحّ ذلك لوجب ان يختلف منظر القمر كل برهة يسيرة كما يُعرَف من قوانين انعكاس النور. وذهب الفلاسفة الرواقيون الى ان القمر مركّب من النار والتراب والهواء وانهُ كروي كالارض والشمس. وذهب فلوطرخس مذهب اناكسوراكاس الى ان القمر ذو جبال واودية واستدلّ على ذلك من الخط الفاصل بين القسم النيّر والقسم المظلم منهُ

وما زال الفلاسفة يخبطون حتى قام غلليليو الفيلسوف الشهير سنة ١٦٠٦ ق.م واصطنع نظارة تكبّر الاشباح ٣٠ مرة فحص بها سطح القمر واثبت وجود الجبال والاودية فيهِ وجعل يقيس علوّ الجبال بتقدير ظلولها حملاً لها على جبال الارض وظلولها ثم قام بعدهُ هفيليوس واخذ في رسم القمر فعيّن فيهِ جبالاً ومفاوز وسباخًا وبحارًا وبحيرات وجزائر وخلجانًا ورؤوسًا وبرازخ زعم انهُ رأى بعضها بنظارتهِ وحمل البعض الآخر على ما شابههُ في الارض. واشهر خارتتهُ سنة ١٦٤٧ للمسيح وقام بعدهُ كثيرون. وقد برع اهل المغرب في تخطيط القمر وتوصّلوا الى اخذ صورتهِ بالفوتوغرافيا دفعة واحدة مع كل ما فيهِ ظاهرًا جليًا فترى مراصدهم وبيوتهم مزيّنة بصور القمر على اختلاف اشكالهِ وهم يجسّمون القمر ايضًا بما يُعرَف عندهم بالستيريوسكوب فترى القمر فيهِ نصفًا واضحًا من الكرة. واعلم ان القمر اشهر علّة من علل الخسوف والكسوف والمد والجزر وبهِ يُعرَف الطول وطالما كان محطًا لقياس الوقت عند القدماء ولا يزال كذلك عند المسلمين

تاريخ الانوار.

من خشب الاشجار الى ما يكاد يكون كضوء النهار

من قاس مستقبل الامور بماضيها لم يصعب عليهِ ان يحسب ما يزعم محالةً الآن ممكنًا غدًا فلو قام ابونا آدم اليوم وطاف في الارض ورأى ما جدّ فيها من الغرائب ووقف على معارف اولادهِ وما كشفتهُ عقولهم من غوامض الكون وقاس

احوالنا الحاضرة باحوالهِ الغابرة لم يعسر عليهِ ان يصدّق لو قلنا انهُ سنصعد يوماً ما ونسكن النجوم . ولو تمشّى في شوارع المدن العظيمة ورأى ما فيها من الانوار الساطعة التي يستنير بها الجوّ فينير الآفاق احياناً كثيرة لما انكر علينا لو قلنا لهُ ان سوف يكون نور الليل وضوء النهار سيّين

قالوا ان اوّل الانوار التي استعملها البشر كانت قطعاً من خشب الصنوبر يشعلونها ويستضيئون بها ولم يزل ذلك جارياً عندنا في الشرق في ولائم الاعراس وغيرها وكثيرون يصرفون اكثر لياليهم على ضوءها . ثم عرفوا ان الدهن والشحم يحترقان فجعلوا يضعونها في اوعية يضعون فيها الفتائل ويستضيئون ولم يزل لذلك اثر في بعض قرى سوريا واستمرّوا عليها اجيالاً حتى بدا لهم ذلك السر في الزيت فاهلوها وشرعوا في استعمالهِ . وقد اجمع علماء الشرق والذين لهم اطلاع على آثار القدماء على ان الاشوريين والمصريين واليهود واليونان والرومانيين كانوا يستضيئون بالزيت والسراج . وقد اكتشفوا من السرج عدداً عظيماً مختلف الاشكال في غاية الاتقان من حجر وحديد ونحاس في اهرام مصر وهياكل المدن القديمة وخرابات اليهود واكثر سرج اليهود التي اكتُشِفَت زجاج وفخار . وقد عثرنا على شقف كثيرة منها في نقب جبل صهيون بالقدس . وفي موسيوم المدرسة الكليّة عدد من السرج القديمة بعضها من هذه البلاد وبعضها من قبرس وغيرها . ووجدوا كثيراً من سرج اليونانيين والرومانيين في ردم بومباي التي طمرها بركان بزوف لما هاج سنة ٧٩ للمسيح وهي مصنوعة من الذهب والفضّة والرخام والحجارة الكريمة ونحوها ما هو ثمين ومُتقَن الصنع حتى سرج العامة فان فيها من دقّة العمل وحسن الذوق في النقش ما يعجز اهل هذا الزمان عن ان يأتوا بافضل منهُ وهي مع ذلك من تراب

غير ان اثمن سرج ذلك الزمان واشدها نوراً كان دون ابسط الانوار التي اصطنعها اهل هذا الزمان فان القدماء لم يكونوا يعرفون ان يصفّوا الزيت بل كانوا يحرقونهُ بدرديهِ ويمزجونهُ لاخفاء رائحتهِ بخلاصة الورد وخشب الصندل

فيزيد ذلك ضعف نوره. روى المؤرخون ان لوكلوس وهو قائد من مشاهير قوّاد الرومانيين وغيره كانوا يصرفون اموالاً كثيرة على تلك الزبوت المطيّبة ونورها الضعيف ويعلّقون السرج الذهبيّة والفضيّة في اعمدة المرمر والرخام المزخرف بحبال من فضة وذهب فلا تعطيهم الاّ نوراً ضعيفاً مرتجفاً كثير الدخان يطفئه النسيم الضعيف والى هذا الزيت اشار المقري صاحب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب قال في الجزء الاول منه والمجبنات نوع من القطائف يُضاف اليها الجبن في عجينها وتُقلى بالزيت والطيب انتهى

وبعد ما شاع الزيت في رومية وسائر بلاد الرومانيين انتقل منها الى فرانسا وجرمانيا وبلاد الانكليز حيث كانوا لا يزالون يستضيئون بخشب الصنوبر او بالدهن وكان اهل الفلمنك واسكندناوية واسكوتسيا اذا قلّ عليهم الخشب امسكوا طائراً او حيواناً آخر سميناً واحرقوهُ وجلسوا يحتملون رائحة شواء جيفته حتى يصير رماداً. والظاهر ان الانكليز لم يصعب عليهم ان يطفئوا الانوار الساعة الثامنة بعد الظهر لمّا فرض ذلك عليهم الملك وليم الظافر لانهُ لم يكن لهم ما ينفقون عليها لغلاء ثمنها عندهم حينئذٍ. ودام استعمال الزيت في السراج الروماني الى حين اصطناع شمع الشحم وكان ذلك في القرن الثاني عشر وشاع اصطناعهُ في القرن الثالث عشر على الشكل الذي هو عليهِ الآن غير ان فتيلته كانت قنباً لا قطناً لعدم معرفتهم بهِ حينئذٍ ولم يستعمل الشموع الاّ المترفون وذوو الثروة والجاه ثم شاع استعمالها في قصور الملوك بعد بخمسين سنة وكانت لارتفاع ثمنها عند اوّل دخولها الى الكنائس لا يهديها الاّ الملوك ولم تزل كذلك الى القرن السادس عشر. حُكي عن اوليفر كرمول (وهو اشهر من مشاهير الانكليز وُلِد فقيراً وسما حتى هابتهُ الملوك وغيّر احوال بلادهِ كل التغيير) انهُ رأى شمعتين تتقدان في غرفة امرأتهِ فاطفأ واحدةً منها اقتصاداً

وفي القرن الثامن عشر اختلفت الحال باكتشاف زيت بزر اللفت وكان زيت الزيتون لا يزال مستعملاً في هذه البلاد وفي ايطاليا وفرانسا وزيت الحيتان

في الاصقاع الشمالية ولبخس ثمن زيت بزر اللفت شاع استعماله حالاً وجعل الخاصة والعامة اعتمادهم عليهِ حيث كان زيت الزيتون كثير الثمن . وفي سنة ١٧٨٢ اخترعوا الفتيلة المدورة المجوَّفة فاصطلح ضياء السرج احسن اصطلاح وكان مخترعها رجلاً من سويسرا يُسمَّى ارغند تبنَّاهُ رجل انكليزي في لندن فوضعها بين نحاستين كما هو معروف فزاد نورها بتناولها من أكسجين الهواء ووضع زجاجة حولها وانقطع الدخان ونقصت الرائحة وشاع اختراعهُ واتقنهُ جبرارد اخوان فوضعوا وعاء الزيت تحت اللهيب وكان يُوضع فوقهُ فحسَّن بذلك منظر القنديل وتسهَّل وضعهُ ثم زادوا عليهِ كرة الزجاج حولهُ لتكسير اشعتهِ فلا تُؤذي بها العين وتفننوا بعد ذلك كثيرًا باتقان واصلاح واصلحوا الزيت ايضًا في سنة ١٧٩٠ فاستعملوا الزاج لتصفيتهِ وكان اكتشاف ذلك في بلاد الانكليز وفرانسا في نحو وقت واحد. ولم ينفكوا عن التحسين وتكثير المواد التي تُعصَر منها الزيوت حتى اكتُشِفت آبار زيت البترو ليوم (المعروف بزيت الكاز) في اميركا سنة ١٨٤٥ فوضع هذا الزيت حدًّا لاستعمال تلك وشاع استعمالهُ على قسم عظيم من الارض وقد دخل سوريا منذ عهد حديث ولم يبقَ فيها الاَّ القليلون ممن لا يستعملونهُ . ثم اكتشفوا نور الغاز وهو يفوق نور زيت البترو ليوم كثيرًا واوَّل من استعملهُ للانارة رجل انكليزي اسمهُ مردوك استخلصهُ من الفحم ثم اضاء بهِ بيتهُ وادخلهُ سنة ١٨٠٤ الى معمل في مانشستر. وبعد بضع سنين عقدوا لهُ شراكة في لندن لاصطناعهِ هناك . وقد عمَّ استعمالهُ اكثر البلدان المتمدنة ودخل القاهرة والاسكندرية من الديار المصرية ولا يُعرَف الى الآن في سوريا . وقد اخترعوا غيرهُ انوارًا كثيرة ساطعة النور تبهر النظر كالنور الكهربائي ونور البوري الاكسيهيدروجيني ونور المغنيسيوم فان نورها شديد الى الغاية وربما ادرجوا استعمالهُ بعد زمان ولا يبعد انهم سيجعلون الليل يومًا كالنهار

فمن هم هؤُلاء المكتشفون والمخترعون هل هم الذين ابتدعوا الانوار وارسلوها في اربع جهات الارض او هل هم الذين كانوا يحرقون الدهن والزيت ويصنعون

بالنور وغيرهم يخبطون في ديجور الظلام انما هم الذين كانوا يقتنصون وحوش الفلوات ويحرقونها ليروا ما امامهم ويرفعوا عنهم ظلام الليل انما هم الذين لم يكن لهم ما يبيرون به بيوتهم عشيّة يومهم. فيا للعجب ما الذي ابطل دولاب تجارة اهل الشرق وادار دولاب تجارة اهل الغرب حتى صرنا نستمد الآن الانوار منهم وقد كانت عندنا . اخبرونا كيف كان ذلك أبجدّنا وكسل اولئك ام بكسلنا وجدّهم فما اصدق المثل القائل من جدّ وجد

البركان اي جبل النار

البركان جبلٌ او تلٌّ مخروطيُّ الشكل يخرج من قمتهِ دخان وبخار ولهُ نوبٌ يهيج فيها فيقذف حُمَمًا وصخورًا وموادَّ مصهورة تشبه الحديد الذائب او هو دائم الهيجان . والبراكين العاملة الآن نحو مئتين وسبعين بركانًا ولا يهيج منها في السنة اكثر من عشرين بركانًا . ويُقسم من حيث العلامات المنذرة بهيجانها الى قسمين قسم يسبق هيجانهُ علامات تنذر بهِ وقسم يهيج بغتةً من غير انذار واخصّ العلامات المنذرة خروج اصوات كهزيم الرعد من باطن الارض وحدوث زلازل في الاماكن المجاورة وسكون الهواء سكونًا يعسر بهِ التنفس وانقطاع مياه الينابيع وعند ذلك يبتدئ هيجان البركان بصوت كصوت المدفع يتلوهُ بخار ودخان كثيف يصعدان منهُ وصواعق تنقض عليهِ واوحال غامرة وحجارة يبلغ وزن بعضها عدة قناطير تقذف منهُ ثم تتبعها مادة ذائبة كالحديد المصهور ترتفع في الجو كما من نوفرة عظيمة وبعد برهة يخمد الهيجان ويعود الجبل الى حالتهِ السابقة مقتصرًا على اخراج الدخان والبخار ويلبث على ذلك الى ان يهيج ثانيةً وهلمّ جرًّا

من هذا القسم بركان بزوف في ايطاليا وهو جبل منفرد مكوّن من مواد بركانية ارتفاعهُ نحو ٤٠٠٠ قدم . فعندما يقترب اوان هيجانهِ تحدث كل الامور المذكورة آنفًا . تنشف الينابيع المجاورة وتتزلزل الارض زلزالًا عظيمًا ويُسمع من جوفها دمدمة هائلة ويتكاثر صعود البخار ثم يصعق الجبل بصوت عظيم يكاد

يندك منه دكًّا وحينئذٍ ينفث سحبًا من البخار والرماد يتلوها اصوات هائلة كلٌّ منها اشد مما قبله ويصحب جميعها اعمدة من البخار والرماد والصخور الذائبة فيظهر الجبل شعلة نار تدهش الناظرين وبعد ان يتسامى البخار الى علوّ ما تتغلب عليهِ قوة الجاذبية فينتشر كمظلة عظيمة المساحة (وقد قُدّر علوّ هذه المظلة في هيجان بزوف سنة ١٨٢٢ فكان سبعة آلاف قدم) ثم يتكاثف ويقع مطرًا ومن سرعة حركتهِ في الهواء تتولد الكهربائية فتتراسل البروق في انحائها كمخاريق بايدي اللاعبين. وعند ذلك تنقذف الحمم الذائبة من فم البركان وتجري انهرًا من نار الى مسافة بعيدة. وقد يدوم كل ذلك اسابيع واشهرًا. ومشهد البراكين في الليل اغرب منهُ في النهار لان السحب تستنير حينئذٍ من الحمم الذائبة تحتها فيخال الناظر ان السماء والارض قد اشتعلتا معًا. وقد تقذف قطع هائلة من الحمم الذائبة وتصعد الى اعلى طبقات الجو فتظهر كانوار في جلد السماء تستنير منها البلاد المجاورة

واشهر هيجان وصل الينا خبرهُ هيجان بزوف سنة ٧٩ مسيحية فانهُ طمر حينئذٍ ثلاث مدن عظام وهي هركولانيوم وبمبايي واستبايي بالاوحال المؤلفة من من الحمم والبخار المتكاثف كالمذكور آنفًا. وقد طمر هذا البركان قرية صغيرة في الهيجان الذي حدث سنة ١٨٢٢ على هذا الاسلوب ولا بدَّ من ان مقدار الاوحال كان عظيمًا في نكبة تلك المدن حتى انهُ ملأها مع جميع بيوتها وقصورها وطمى فوقها وبلغ سمك المواد الواقعة في هركولانيوم مئة قدم ونيف وعند كشفها من نحو مئة سنة وجد فيها كل شيء كما كان قبل ان داهمتها تلك النكبة ولكن لم يوجد فيها كثير من رمم البشر دلالة على انهُ كان لهم فرصة للهرب فهرب اكثرهم وما ذلك الا لان الهيجان لم يبتدئ فجأةً بل سبقتهُ العلامات المنذرة المتقدم ذكرها

هذا من جهة النوع الاول اما الثاني الذي لا يسبق هيجانهُ شيء من الانذار فمثالهُ البراكين التي في جزيرة هاواي من جزائر صندويج. قال بعضهم ذهبتُ الى واحد من تلك البراكين فاذا حولهُ حلقتان من الارض تحيط احداهما بالاخرى محيط الخارجة عشرون ميلاً ومحيط الداخلة خمسة عشر ولا اشك في انهما كانتا

حافتي هذا البركان في الازمنة السالفة . ولما وقفت على حافة البركان الحالية رأيت امامي خليجًا على شكل هلال عمقهُ نحو ٥٠٠ قدم وفي قعرهِ بحيرة واسعة من المواد البركانية الذائبة وهي اشبه شيء بطبخة الصابون قبل ان تنضج الاَّ في لونها . وفيها فوهات صغيرات تُقذَف منها حُمَم ذائبة على الدوام وقد تتكاثر الحمم حتى يتكوَّن منها بحيرة نارية محيطها نحو الميلين تتلاطم فيها الامواج فتصبح مشهدًا يعجز عن وصفهِ القلم واللسان . وفي هذه الجزيرة بركان آخر لكنهُ لا يهيج الاَّ مرةً كل بضع سنوات وقد هاج هيجانًا عظيمًا في سنة ١٨٤٠ فقذف حممًا كثيرة ذائبة كوَّنت في قعرهِ بحرًا عظيمًا كانت تعج امواجهُ وتتلاطم كالبحر اذا اثارتهُ العواصف الشديدة. ثم ان هذا البحر الناري اصاب منفذًا تحت الارض فجرى فيهِ مسافة ثمانية اميال اي الى ان بلغ وجه الارض فسار عليها مسافة اثنين وثلاثين ميلاً جارفًا وحارقًا كل ما صادفهُ في طريقهِ ولم يزل في سيرهِ حتى وصل البحر وهناك شاهق علوُّهُ خمسون قدمًا فانحدر عنهُ كشلال عظيم وكانت الحمم عند ما تصادف الماء تتجزَّأ اجزاء صغيرة ثم تطير في الجو وتقع على البلاد المجاورة فتكسوها باثواب الحداد. واستمر هذا النهر ثلاثة اسابيع وكان عرضهُ نصف ميل وعمقهُ ثلاثين قدمًا

وهناك بركان ثالث هاج سنة ١٨٤٣ وجرى منهُ نهران من الصخور المصهورة طول احدهما ٢٥ ميلاً وعرضهُ نصف ميل وهاج سنة ١٨٥٣ هيجانًا شديدًا جدًّا قال بعضهم انهُ رآهُ حال هيجانهِ ونظر في قعرهِ بحرًا من النيران متلاطمًا بالامواج وفي وسط البحر ينبوع عظيم من الحمم الذائبة صاعد في الجو كنوفرة عظيمة ارتفاعهُ ٧٠٠ قدم يتشعب من اعلاهُ على هيئات كثيرة يعجز القلم عن وصفها . ولم يسبق هيجان هذه البراكين زلزلة ولم يُسمع لها هزيم ولم ينذر شيءٌ بهيجانها بل كانت تفغر افواهها على حين غفلة فتقذف الصخور المصهورة وغيرها سيولاً طامية. حتى قال الاستاذ دينا ان مقدار المواد التي سالت من واحد منها وهو بركان كيلاوا في الهيجان الذي حدث سنة ١٨٤٠ يبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠ قدم مكعب اي ما يكفي لتكوين اكمة ارتفاعها ٨٠٠ قدم وطولها ميلان وعرضها عند سفحها ميل

فما هو هذا الفاعل العظيم الذي يدكّ جبالاً ويرفع اخرى بل قد غيّر وجه الارض تغييرًا ان حكماء هذا الزمان لم ينفكوا عن البحث والتنقير حتى القت اليهم الطبيعة مقاليدها فعلّلوا عن البراكين بما ياتي

اذا وضعنا في قدرٍ ماء وارزًا ووضعناها على النار حتى تغلي نرى اولاً البخار يتصاعد عنها ثم نرى فقاقيع تطفو على وجه الماء ثم تنفجر وعند انفجارها يتطاير منها نقط صغار من الماء وحبوب من الارز واذا اشتدّ الغليان يفور الماء والارزّ وينقذفان عن جوانب القدر. والفاعل في كل ذلك نقط صغار من الماء تحوّلت بخارًا في قعر القدر بفعل الحرارة فتمددت وخفّت وصعدت وكلما صعدت قلّ عنها الضغط فازدادت تمددًا ولم تزل كذلك حتى وصلت الى السطح كراتٍ من الهواء مغلفةً بالماء فانفجرت وخرج البخار منها. واذا كانت الحرارة شديدة كان صعودها سريعًا فترفع ما تصادفهُ امامها من حبوب الارزّ واذا كانت الحرارة اشد يتحوّل مقدار عظيم من الماء بخارًا دفعةً واحدةً فيرفع كل الماء الذي على السطح فيفيض عن جوانب القدر وقس على ذلك البراكين فان في جوف الارض حرارة شديدة جدًّا كافية لتذويب كل المواد بل لتحويلها بخارًا والارجح ان المواد تبقى جامدة هناك بسبب ما عليها من الضغط العظيم ولكن اذا وجدت منفذًا الى الاعلى وكان معها ماءٌ ارتفعت فيهِ وللحال يقلّ ما عليها من الضغط فتتمدد وتطلب الصعود فتصعد فيقل الضغط عن المواد التي تحتها فتتمدد هي ايضًا وتتبعها . وبما ان الماء يتحوّل بخارًا على درجه واطئة من الحرارة بالنسبة الى المعادن فيتحوّل قبلها وينفذ فيها اذا كانت قليلة ويصعد واذا كانت كثيرة دفعها امامهُ الى فم البركان والحالة الاولى هي حالة البركان قبل هيجانهِ وفي بداءتهِ اي حينما ينفث دخانًا وبخارًا فقط والثانية حال فيضان المعادن الذائبة . ولعلّ اكثر البراكين مسبّب عن الماء المتخلل قشرة الارض فانهُ اذا وصل الى مكان شديد الحرارة تمدد وفعل ذلك الفعل العظيم ويؤيد ذلك كون اكثر البراكين واقعًا على شواطئ البحار

ايسلاند وينابيعها الحامية

انهُ لما كان الانسان يرتاح الى الوقوف على اسباب ما يسمعهُ ويراهُ ولا سيما اذا كان غريبًا نادرًا وكانت ينابيع ايسلاند من الظواهر الارضيَّة الغريبة النادرة رأيت ان اكتب شيئًا يسيرًا عنها

ايسلاند جزيرة في البحر المتجمد الشمالي واقعة الى الشرق من كرينلاند (الارض الخضراء) في اميركا تبعد عنها ٩٩ ميلاً وهي وان تكن في اقاليم الجليد والثلج ففيها علامات شتَّى تدلُّ على نيران البراكين الكامنة فيها تحت سطح الارض ومن عجيب الغرائب التي فيها ينابيعها الحامية التي منها ينفجر الماء ويندفع في الجوّ الى علوّ مئة قدم تقريبًا . وهي كثيرة في داخلها وفي اطرافها البحرية ويحدث احيانًا ان مياه الاوقيانوس الشاطئية تسخن بمياهها الحامية المنصبَّة فيهِ . واشهر هذه الينابيع مجموعات منها في شمالي الجزيرة يسمونها بما ترجمتهُ شبَّابات واعظم هذه شبَّابة في ذروة تل متكوّن من المواد الصوَّانية التي تنقذف مع المياه يبلغ علوّهُ ثلاثين قدمًا واعظم طولهِ من جانب الى آخر مئتا قدم وفي اعلى راسهِ حوض وسعهُ ستون قدمًا بعمق سبعة اقدام وفي وسط الحوض فوهة تندفع منها المياه . والحجارة الصوَّانية المكوّنة منها الفوهة والحوض صقيلة بسبب هطل المياه المتتابع عليها . وتجيش الشبَّابة هذه جيشانًا خفيفًا مرة كل ساعتين او ثلاث ساعات واما هيجانها الكبير فيكون مرة كل ثلاثين ساعة او اكثر قليلاً ويستمر نحو عشر دقائق ويسبقهُ دمدمة واصوات اشد من هزيم الرعد تتزلزل الارض منها هناك ثم ينبعث بغتةً جسم عظيم من الماء ويندفع منقطعًا الى علوّ ثمانين او تسعين قدمًا وينيف مغشًّى بغشاءٍ كثيف من البخار ويتفرع من عمود الماء هذا اجزاءٌ بعضها يعلو الى اكثر من تسعين قدمًا وآخر يخترق عمود البخار المحيط بهِ وينصب على الارض على شكل قنطرة . وحينما تقشع الريح البخار عنهُ يرى انهُ مركَّبٌ من اقلام من الماء لا تحصى تروق للمتفرجين وتعجبهم وتتفرج من اعلاها عن شكل كشكل شجر

الصنوبر ثم يهبط غالبًا فيغور بغتةً فيخال للمتفرّجين ان قوّتهُ الدافعة قد نفدت ولا يمضي الأكلمح البصر حتى تنفجر المياه ايضًا بقوة متجددة ويُسمَع لها عند انبعاثها صوت هائل مصحوب باصوات سائرة في باطن الارض كالرعود في الشدّة. اما بعض الشبابات الصغار فيستمر في هيجانهِ اكثر من الكبيرة ويدفع المياه الى علوّ بعيد حتى تنتهي الى النفيان وقد يلقي المتفرّجون لبسطهم حجارة ضخمة كبيرة في فوهة الشبّابة فتأباها وتدفعها الى الجوّ حتى تتوارى عن النظر . وقد يحدث ان المواد الصوّانية التي تقذفها المياه معها تسدُّ الفوهة . ويقال ان الماء الباقي في الحوض بعد خمود الهيجان يكون عند درجة الغليان واما في الفوهة من اسفل فيكون عند ٤٠° فوق درجة الغليان

وما يأتي هو ترجمة ما قالهُ اللورد دَفرِين سائح انكليزي في شان هذه الينابيع حينما بلغ في سياحتهِ اليها : لمّا كانت ركابنا لم تبلغ الينا بعد برحالنا جلسنا بالقرب من شبابة لنستريح فاخذنا نغلي القهوة بماء الشبابة الحامي فما لبثنا ان سمعنا اصواتًا قاصفة تحت سطح الارض كانها طلقات مدافع ضخمة فاهتزت الارض بنا ومادت فهرعنا عامدين الى الشبابة الكبرى عسى ان نرى شبوب الماء البهج منها ولكنهُ لم يتيسر لنا ذلك لان الصوت كان قد انقطع حينما بلغنا حافة حوضها ولم نرَ الاَّ اضطراب الماء في اسفلهِ . ولما وجدنا انهُ قد ذهب تعبنا بالباطل وخاب املنا اردنا كيد شبابة قريبة التهيج سريعة الغضب فعمد احدنا الى بعض الثلج فطرحهُ فيها لان هذه ليس لها حوض كسائر الشبابات فيتمكن الانسان من الدنو الى فوهتها التي يبلغ قطرها نحو خمسة اقدام فيرى الماء يغلي في اسفلها دائمًا بقوة الحرارة ولم يمضِ الاَّ القليل حتى اخذ سفوف الثلج يعمل في جوفها فاَلَمها وأنَّت انين المتوجع شديدًا ثم استشاطت غضبًا وغطغطت فنفثت بعنفٍ شديد وسُمِع لها بعد هذا صوت يدل على تألُّمها وسخطها ثم انقذف منها الماء الى علو اربعين قدمًا حاملاً ما طرحناهُ فيها من الثلج فسقط عند ارجلنا . ومن شدّة كراهيتها لذلك السفوف بقيت تجيش وامواجها تتلاطم حتى نفدت كل قوّتها

ومن حيث ان للشبابة الكبرى نوبًا تهيج فيها التزمنا ان نقيم بالقرب منها فكنا كالزائرين مزارًا معتبرًا قديمًا ولبثنا اكثر من يومين نستسفرها فللنا وكاد يفرغ صبرنا ولم تشرفنا بادنى علامة يستبين قرب هيجانها منها على انها كانت قد هاجت هيجانًا صغيرًا لم نتمكن من التفرج عليه لانه كان يخمد في الوقت الذي به نصل اليها مع ان خيامنا لم تكن تبعد عنها اكثر من ثمانين يردًا. ثم ونحن متحيرون بامرها وما عسى ان يكون منها اذا بالدليل ينادينا قائلاً هلمّ هلمّ سريعًا فنهضنا للحال وهرعنا اليها فسمعنا اصواتًا كهزيم الرعد تخرج منها ثم هاجت هيجانًا شديدًا فانبعث منها اولاً عمود ماء الى علو عشرة اقدام ثم هبط فجأةً وانبعث عمود آخر اكبر منه فصعد في الجو الى علو ثمانين قدمًا رافلاً بحلل البخار ومتوّجًا بتيجان فضيةٍ ثم بعد ذلك هبط فغار وانتثأت الشبابة فرجعت المياه الى ما صعدت منه .اه* فسبحان الخالق القدير من بيده زمام الكائنات والمصنوعات الغريبة

پمپاي

پمپاي مدينة في ايطاليا واقعة الى الجنوب الشرقي من نابلي واوّل ما ذُكِرَت في التواريخ التي انتهت الينا قبل المسيح بثلاث مئة سنة وعشر سنين الاَّ انهُ يظهر من آثار الابنية التي فيها انها أُقيمت قبل ذلك بزمان طويل . وكانت في اوّل امرها مدينة يونانية ثم خضعت للرومانيين واستوطن فيها كثيرون من اغنيائهم وبعد المسيح بثلاث وستين سنة حدثت فيها زلزلة مهولة مسبَّبة عن استيقاظ جبل بزوف المشرف عليها وكان خامدًا منذ اجيال عديدة فهدمت اكثر قصورها وبيوتها وهياكلها ومشاهدها حتى ان مجلس رومية نهى عن ترميمها الاَّ ان اهلها استأذنوا الدولة بعد قليل وشرعوا في ترميمها حسب الزي الروماني الجديد . ولكن لم يمضِ عليها وقت طويل حتى داهمتها النكبة الشهيرة في اليوم الثالث والعشرين من آب سنة ٧٩ مسيحية وكان اهلها حينئذٍ محتشدين في مشهدها الكبير. وقد جاء بعض التواريخ القديمة بوصف هذه النكبة المهولة ولكن لسان

حال خرابها وهيئة رمم اهلها المدفونين فيها يصفانها ببلاغة تفوق بلاغة كل واصف

قلنا ان اهلها كانوا مجتمعين في مشهدها واذ هم غائصون في بحار الملاهي زلزلت الارض زلزالها وفتح بزوف فاهًا كالهاوية خرجت منهُ سحابة من الرماد طبّقت الجو وانهالت على المدينة انهيال السيل فطمرتها الى عمق ثلاثة اقدام فهرع البمبيون من المشهد طالبين النجاة وبهم من الخوف ما يكلّ القلم عن وصفهِ وساعدتهم التقادير فنجا اكثرهم ولكنّ منهم من ادركتهم المنيَّة وهم فارّون فلم يروا للقضاء مردًّا. ومنهم من رجعوا الى المدينة لانقاذ شيء من امتعتهم فكانوا كمن سعى الى حتفهِ بظلفهِ. ثم تلا انهيال الرماد انهيال الحُمَم والابارق[1] وهي في حالة الاشتعال فاحترقت من لظاها كل مادة قابلة الاحتراق وكانت الطبقات العليا من المنازل خشبًا فامست رمادًا هي وكل الابواب والشبابيك والاواني الخشبية التي في الطبقات السفلى واستمر انهيال الحمم حتى امتلأت بها البيوت والهياكل والمشاهد والازقة والشوارع وعلت فيها ثمانية اقدام ثم اخذ الرماد ينهال وعقبته الحمم الى ان صار علو الجميع نحو عشرين قدمًا فتغطت كل المدينة ولم يبقَ منها شيء ظاهرًا. اما السكان فهرب اكثرهم حال انهيال الرماد ولكنّ قومًا منهم التجأُوا الى منازلهم او الى الابنية القريبة منهم فغدت لهم مدافن . ومنهم مَن قادهم طمعهم الى انقاذ شيء من جواهرهم وامتعتهم كما قلنا سابقًا فدُفِنوا معها ولم تزل شاهدةً على جشع الانسان وتعلّقهِ بحطام هذه الدنيا. وقد وُجد في ما كُشِف منها الى الآن نحو ٦٠ رمة وكلٌّ منها تاريخ ناطق بعظم تلك البلية. ومن هذه الرمم ما تتفتت لرؤيتهِ الاكباد فهناك ترى الوالدة الحنونة ضامَّةً طفلها الى صدرها ولكن لا للرضاع ورب البيت وامرأتهُ واولادهُ حولهُ وكلهم دُفنوا في قيد الحياة وشرخ الشباب وهناك ترى المحبين متعانقين وعهدهم عدم الانفصال الى الابد والاسرى مقيّدين بالاغلال جاءهم القضاء المبرم فعجَّل لهم العقاب او انقذهم من ظلم

(١) الحمم لغة الفحم والرماد وكل ما احترق من النار واصطلاحًا مواد البراكين الذائبة. والابارق لغةً واصطلاحًا حجارة ورمل وطين مجتمعة معًا

مستأسريهم. والخيل والبغال التي عاشت في عبودية البشر قد ماتت في جربرتهم وتساوت بهم في المدافن

ومن عهد قريب كان الفعلة يفرغون شارعًا صغيرًا فعثروا على فراغ في الارض بجنوبه عظامًا فدعوا السنيور فيورلي مدير العمل فجبل طينًا وسكبهُ في ذلك الفراغ فانسبك حول العظام وعندما نزع الردم من حواليهِ اذا باربعة اشخاص من الطين الصلب لا ينقصهم الاَّ الحياة والنطق ولا تزال هذه الاشخاص في معرض نابلي مشخصة سكان بمباي . لان الذين طُمِروا بالرماد بلي لحمهم وبقي محلهُ فارغًا فلما انسكب فيهِ الطين انسبك حول العظام فجاء اشخاصًا يعجز امهر النقاشين عن المجيء بمثلها. واحد من هذه الاشخاص شخص امرأة وُجِد بجانبها ٩١ قطعة من قطع المعاملة وكاسان من فضة ومفاتيح وجواهر. والظاهر انها اخذتها وعمدت الى الفرار فسقطت في هذا الشارع ولم تزل مستلقية على جانبها الايسر وعلى راسها نقاب لم يزل ظاهرًا في الصورة وفي اصبعها خاتمان وهي قابضة يدها قبضًا شديدًا بل اكثر اعضائها منقبضة في هيئة مربعة ولا يراها احد الاَّ ويخالها آخذةً في النزع. وبجانبها امرأة وفتاة اما المرأة فمن الرعاع ويُعرَف ذلك من مقدار اذنيها وفي اصبعها خاتم من حديد ولا يظهر انها تالمت قبل موتها بمقدار ما تالمت الاولى واما الفتاة فلا تزيد على الخامسة عشرة ومنظرها محزن جدًّا وكل شيء ظاهر فيها حتى طيَّات ثوبها ونسيجهُ . ويظهر انها عندما تراءت لها المنية اشفقت منها وغطت راسها بثوبها فسقطت على وجهها وهي راكضة ولما تعذَّر عليها النهوض القت راسها على ذراعيها واسلمت الروح . والشخص الرابع شخص رجل مستلقٍ على ظهرهِ كمن لا يهاب الموت وذراعاهُ منبسطتان وجرموقاهُ مشدودان على ساقيهِ ولم تزل المسامير في نعلهِ وفي يدهِ خاتم حديد وفمهُ مفتوح وبعض اسنانهِ مفقود وعلى وجههِ امارات الهيبة والشجاعة

ويُروَى ان رماد بزوف وصل حينئذٍ الى شواطئ افريقيا وحجب الشمس عن رومية حتى قال اهلها ان العالم قد انقلب وانحدرت الشمس الى الارض

لتتوارى في الليل او ان الارض قد صعدت الى الشمس لكي تحترق بنارها الابدية
قال بليني وكان في ميسينوم ثم اخذ النور بالرجوع الينا وبان كل شيء حولنا
مغطًّى بالرماد كالارض اذا غطتها الثلوج

ولم يزل هذا الغطاء السميك مكتنفًا أكناف بمباي الى يومنا هذا. ومن شدّة
هذا الانقلاب تغيرت حدودها برًّا وبحرًا حتى تعسّر على الناس ايجاد مركزها
الحقيقي واستمرّت في زوايا النسيان الى سنة ١٥٩٢ اذ كان المهندس فُنتانا يجرُّ
قناة ماء الى مدينة تقرب منها فمرّت القناة في خرائبها فعُلم مقرّها ولكن لم يُشرَع
في كشفها حتى سنة ١٧٤٨ في عهد كارلوس الثالث . والى الآن لم يُكشَف سوى
ثلثها واذا بقي امر كشفها جاريًا على ما هو عليهِ الآن فستُكشف جميعها بعد اقل
من سبعين سنة . وقد وُجد في ما كُشِف منها غرائب وتحف يعجز القلم عن وصفها
ففحص فيها ذوو الخبرة واستدلوا منها على حالة تلك المدينة الادبية والسياسية
والعلمية والصناعية

اكتشاف دفائن الكنوز

انهُ كانت للمصريين قديمًا عادة ان يدفنوا موتاهم كلًّا بما كان عزيزًا عليهِ
في حياتهِ من موجوداتهِ من الذهب والجواهر واللآلي والسيوف والحراب وغيرها
كما كانت عادة من تقدمهم من الامم. ثم انهُ لما دوّخ الفرس بلادهم وملكوها نقروا
على ذلك في قبورهم وكشفوا عنهُ فاخذوا منها ما لا يُوصَف وكذلك كان يفعل
الامم من بعدهم من اليونانيين وغيرهم فكانوا يكرمون موتاهم فيصنعون لهم عند
موتهم توابيت من الذهب والفضة وامورًا اخرى غير ذلك فصارت قبورهم
مظنةً لذلك الى هذا العهد . فاعتنى البعض بالبحث والتنقيب وسعوا في استخراج
تلك الدفائن وتورطوا في الامر فاعتقدوا ان اموال الامم السالفة مختزنة كلها
تحت الارض ومختوم عليها بطلاسم سحرية لا يفض ختامها الا من عثر على كيفية
ذلك بايقاد البخور وذبح الذبائح وما اشبه . ويزعم بعض اهل اقاليم المغرب

وغيرهم ان الذين دفنوا اموالهم تحت الارض وضعوا لها امارات وعلامات ليجدوا هم طريقة استخراجها بفك الطلاسم السحرية والغلبة على ارصاد تلك الاموال . وقد تناقل البعض عن السنتهم ان الرصد يختلف فقد يكون افعى وقد يكون ديكاً وقد يكون سيفين حادّين دائمي التحرُّك فوق المال المختزن

وقد بالغ بعض المافونين بانهم بالاتفاق كانوا يرون الرصد عن بعدٍ يسير وحينما يدنون منهُ كان يختفي من امامهم ويدخل موضع الدفين من المال ومثل ذلك من المذرفياتي المغاربة الى مثل هؤلاء من ضعفاء العقول بصحائف كذبهم باوراق مخرمة الحواشي بخطوط على اشكال متنوعة يزعمون انها خطوط اهل الدفائن ويبتغون بذلك الرزق منهم ويطالبونهم بالمال لاشتراء العقاقير والبخور لحل تلك الطلاسم فيبعثونهم على التكاتف بجمع الايدي على حفر الاماكن التي يعطونهم امارات وشواهد عليها فينسترون في ظلمات الليل مخافة الرقباء وعيون اهل الدولة. فيخدعون ويلبس عليهم الامر من حيث لا يعلمون. فان المسألة عينها قد وقعت مع احد اهالي بلدي بالفعل . فانهُ كان قد أُغرم بابتغاء ذلك وتحصيلهِ فولع بحفر مكان في ملكهِ لهُ علامة هي دائرة محفورة على صخر كبير وفي وسطها شكلٌ محفور ايضاً كشكل الاثر الذي يتركهُ الفرس بعدما يطأُ . فحفر اولاً ولم يعثر على شيء ونسب ذلك الى جهلهِ الطريقة لفك رصد ذلك الدفين ومات وفي قلبهِ حسرة من ذلك فقام ابنهُ من بعدهِ وذهب الى احد المخرفين واتى بهِ واعدَّ لهُ موضعاً حسناً واكرم مثواهُ مؤمّلاً ان ينتفع بهِ فخاب الان ايضاً ولم يستفد شيئاً الاَّ علمهُ ان كل ذلك ليس الاَّ تمويهات وتخرفات باطلة واما ما خسرهُ فكان اضعاف اضعاف ما كسبهُ

وقد درَت الحكومة في ثلاثة آخرين انهم كشفوا عن كنز فوجدوهُ فقبضت عليهم وسجنتهم الى ان تحقق امر خيبتهم من ذلك فاطلقتهم فخسروا فوق اتعابهم كثيراً . والذي يحمل بعض الناس على ذلك هو غالباً ضعف عقولهم فيركنون الى تمويهات اولئك الكسالى واذ يكونون عاجزين عن تحصيل معاشهم بالوجوه

الطبيعية التي يقتضي لها جدٌّ وكدٌّ يطلبون نواله على وجه سهل مؤمّلين انهم يتناولون الرزق من غير نصبٍ ولا وصب وانهم يحصّلون المال العظيم دفعة واحدة من غير كلفة ولا يعلمون بما ينالهم من المصائب والشدائد. فيهربون من ورطةٍ ويقعون بأسوأ منها

اقول انه لا اصل لما يزعمه المغاربة وغيرهم من هذا القبيل. فان الكنوز وان كانت توجد لكنها في حكم النادر على وجه الاتفاق والعثور لا على وجه القصد اليها. وايضًا من اختزن ماله ودفنه خاتمًا عليه باعمال سحرية فقد بالغ في اخفائه فكيف يقيم عليه الادلة والعلامات ويكتبها في صحائف كما يزعمون حتى يسهل الاطلاع عليها وزد على ذلك ان افعال العقلاء لا بد وان تكون لغرض يقصد به الانتفاع فالعاقل اما ان يختزن المال لاولاده او لاقربائه او للاعزاء عليه فيعلمهم به او ان يقصد اخفاءه بالكلية عن كل احدٍ لاسباب توجب ذلك فلا يكتشفه احد الاّ بالعثور والاتفاق. وايضًا لو كان لتمويهات اولئك اصل بانهم يقدرون على كشف دفائن المال لما كنت تراهم يتقربون الى اهل الدنيا بصحائف كذبهم يبتغون الرزق منهم بل يحتفرون الاماكن المدفون المال فيها بانفسهم في ليالي كانون ولا يدعون احدًا يدري بهم. ولربما يحتجون انه انما حملهم على ذلك مخافة منال الحكام والعقوبات ولكن هذا ايضًا باطل. وقد يجتهدون بتثبيت اكاذيبهم بان يعترضوا قائلين اين اموال الامم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور فدعواهم هذه باطلة لا تثبت انهم يقدرون على كشفها والواقع اكبر برهان ببطلان محالاتهم وحكاياتهم الكاذبة فالتشنيع على من وسوس بذلك ان يتعوّذ بالله من العجز والكسل ولا يشغل نفسه بالمحالات والمكاذب فانما ثروة الانسان الكريمة في الاجتهاد والله لا يخيب جهد المجتهدين

الوعل

ان للوعل من القيمة والاعتبار في عيون عقلاء الارض ما ليس لغيره من

حيوانات البر وقد لقبوهُ منذ زمان طويل بملك الغياض حيث كان احقّ من غيره بذلك اللقب لتشعُّب قرونهِ كتشعُّب الاغصان فكأنهُ على الغياض ملك وكأن قرونهُ اكليل ملكهِ . ولم يزل الى يومنا هذا موضوعاً لتغزُّل الشعراء ومفاخرة الملوك والامراء . ألا ترى ان الشاعر الانكليزي الشهير السر ولتر سكوت استهلّ بذكرهِ احسن قصائدهِ اوَلا ترى ان الانكليز وغيرهم من اهل اوربا قد تركوا لهُ في اراضيهم غياضاً واسعة فيخرج اليها ملوكهم وامراؤهم ويتمرَّنون بمطاردتهِ ويتباهون بصيدهِ وقنصهِ . وهو حيوان جميل المنظر حسن العينين معتدل القد رشيق الحركة سريع العدو جيد السباحة فاذا طاردهُ الصائد وحصرهُ حاجز قفز فوقهُ ولو كان علوُّهُ ستة اقدام واذا عبثت بهِ دواعي الشوق يقطع الانهار او يترل في البحار ويقصد حبيبهُ من جزيرة الى اخرى . وطعامهُ من براعم بعض الاشجار وازاهرها واذا لم يتيسَّر لهُ ذلك ايام الشتاء ياكل قشر الشجر وما ينمو عليهِ من الطحالب وشرابهُ من انداء السماء وارواح الاهواء فلا يحتاج الى الماء في الربيع ولا الشتاء

واما في الصيف فيشتدُّ ظَمَأُهُ ويطلب جداول المياه ولا سيما في الخريف فانهُ يرتاد الارضين كروَّاد الغيث حتى اذا اصاب منهلاً او جدولاً شرب منهُ وسبح فيهِ ليبرد جسدهُ . ومن عجيب امرهِ ان لهُ تحت عينيهِ فوهة التنفُّس تستطرق الى الانف فيستعين بها على اطفاء ظمإهِ اذا طاردهُ العدو عنيفاً وهو على جانب عظيم من حب السكينة والسلام ويودُّ ان يعيش اسرآباً لولا خوفهُ من الغوائل وبعض العوارض التي تطرأُ عليهِ . فلا يقضي من عمرهِ مع رفيقاتهِ الاَّ زماناً يسيراً ثم يفارقها في الربيع ويترك الغياض ويطلب الغياب والاراضي المحروثة ضعيفاً معيَّى وحينئذٍ يسقط قرناهُ وينبت لهُ قرنان جديدان وانما يطلب الغياب ليختبئ من وجه الصيَّادين والوحوش المفترسة فان قرنيهِ الجديدين يكونان شديدي الحسّ والتأثر فلا يمشي الاَّ منخفض الراس خوفاً من ان تحكها الاغصان فتولمهُ الماً شديداً . قيل انهُ اذا اصابتهما لطمة قوية يخرُّ الى الارض كانهُ قد أُصيب

بصاعقة ولذلك يغتنم الصيادون فرصة ضعفهِ وتجدُّد قرنيهِ . ومتى كمل نموُّ قرنيهِ يفركهما باغصان الشجر او نحوها ليجرّد عنهما ما يلتصق بهما من الجلد . وفي اوائل آب يبلغ قرناهُ اشدَّهما وتشتدُّ صحتهُ فيحنُّ الى اوطانهِ ولقاء خلاّنهِ فيجوب الغياض هائمًا ولهانًا ينادي قريناتهِ باعلى صوتهِ ويشتدُّ بهِ الغرام ويطلب مناطحة القرن ومقاتلة المناظر . فاذا التقى بوعل آخر يتهاجان مهاجمة شديدة ولا ينفكان عن المناطحة والمكافحة حتى يغلب واحد منهما او حتى يموتا كلاهما باشتباك قرونهما

واما الوعلة فلا قرون لها ويقال ان لبعضها قرونًا كالذكور ولا تلد اكثر من غفر واحدٍ مرةً واحدة الاَّ نادرًا وهي شديدة الحنوّ على صغارها كثيرة الاعتناء بها فاذا شعرت بقدوم الصيّاد عليها ومطاردة الكلاب لها تعرّض نفسها للخطر املاً بان تتبعها الكلاب فترتد عن صغارها . والاغفار شديدة التعلق باماتها فلا تتركها الاَّ بعد زمان من بداءة استغنائها عنها

والوعل قابل للدجن نوعًا فبعض الناس يجرُّ بهِ العجلات وقد رُوي عنهُ انهُ يتعلم ما يكاد الكلاب لا يتعلمهُ كأن يطلق الطبنجة ويقفز من ضمن اطارة معلقة على علوّ عن الارض ويحني راسهُ للناس كعادة البشر عند اظهار الاعتبار ونحو ذلك . ولولا هيجان ذكورهِ وشراستها حينئذٍ وشدَّة خوفهِ من الكلاب لاستفاد الناس منهُ ما يستفيدونهُ من امثالهِ من الدواجن . اما لحمهُ فليس بجيّد ويُستعمل منهُ جلدهُ وقرونهُ ودهنهُ . فجلدهُ اذا دُبغ يكون ليّنًا متينًا وقرونهُ صالحة لعمل انصبة السكاكين واهل اميركا يصطادونهُ لعمل الشمع من دهنهِ . وكان القدماء يضربون بهِ المثل في طول العمر حتى كذَّب ارسطاليس ذلك . قال العلاَّمة بيفون ثم عاد الناس الى ذلك في ايام الغباوة فقد رُوي عن الملك شارل السادس انهُ اصطاد وعلاً في عنقهِ طوق مكتوب عليهِ ان قيصر اعطاني هذا فزعموا انهُ عاش اكثر من الف سنة وان امبراطورًا من امبراطورية الرومانيين طوّقهُ بذلك الطوق .

ومن قبيل ذلك ما حكاهُ صفيُّ الدين عبد المؤمن ابن فاخر الارموي قال حدَّثني مجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير قال خرجنا مرةً في خدمة الخليفة

المستعصم الى الصيد وضربنا حلقة قريبًا من الجلهمة وهي قرية بين بغداد والحلة ثم تضايقت الحلقة حتى صار الفارس يصيد الحيوان بيده فخرج في جملة حمر الوحش حمار كبير الجثة عليه رسم فقرأناه واذا هو رسم المعتصم وبين المعتصم والمستعصم حدود خمس مئة سنة انتهى

والصحيح ان الوعل لا يعيش اكثر من خمس وثلاثين الى اربعين سنة

الرَّخَمَة

الرخمة بالتحريك تُقال للذكر والانثى لان الهاء للجنس وجمعها رَخَمٌ وهو طائر اكبر من البجع بكثير ويشبهه في الشكل والخلقة . وله عنق طويلة ومنقار طويل عريض مسطح تحته جراب غشائي عارٍ من الزغب ينفط فيصير عظيم الحجم . وهذا الجراب خاضع لارادته فيقبضه ويبسطه حين يشاء واذا كان فارغًا فلا يكاد يرى . ولكنه يتسع اتساعًا عظيمًا عندما يظفر الطير بالسمك فينتهز الفرصة ليملأه ثم ينصرف الى خلوته وياكله على هينته . ويسع هذا الجراب من السمك ما يشبع ستة نفر جياع . ويوجد الرخم على الماء سواء كان عذبًا او مالحًا بخلاف غيره من طيور الماء فانها اما ان تفضل هذا او ذاك . قال فيكيه انه يعب من الماء نحو عشرين بينتًا فلذلك يسميه المصريون جمل الماء وانه لا ياكل الا مرتين في النهار وكل مرة ياكل ما يكفي كثيرين . ولم يذكر الدميري شيئًا من هذا وانما عرف جمل الماء بانه البجع وعرف البجع بانه الحوصل وقال في تعريف الحوصل انه طائر كبير له حوصلة عظيمة يتخذ منها الفرو وجمعه حواصل وقال قال ابن البيطار وهذا الطائر يكون بمصر كثيرًا ويُعرف بالبجع وجمل الماء والكي بضمّ الكاف وسكون الياء المثناة . اه

ولا يخفى ما في ذلك من التلبك اذ ان البجع هو غير الحوصل وغير جمل الماء كما مرّ . وقد وصف بيفون هذا الطير فقال انه يفوق بكبره البجع وانه اكبر طير الماء لو لم يكن الطير البطرسي اغلظ جسمًا والطير المحترق اعلى قدًّا فان

جسمهُ ضخم جدًّا وعرض جناحيهِ يبلغ نحو احد عشر او اثني عشر قدمًا وهو يضبط ذاتهُ في الهواء مدَّة طويلة بكل سهولةٍ ويصفُّ فيهِ بموازنةٍ وخفَّةٍ ولا يغيّر موضعهُ الَّا ينقضُّ على فريستهِ . ويصطاد في النهار صباحًا ومساء حيث تكثر الاسماك فيختار الاماكن التي ترد اليها بكثرة . وفي صيدها تهف على الماء وتدلي منقارها الطويل فيهِ فتلقط السمك ثم ترفعهُ ثم تدليهِ ايضًا الى ان يقول جرابها قطني مهلاً رويدًا قد ملأت بطني . فتذهب حينئذٍ الى راس صخرٍ تهضم غذاءها على هنيهةٍ وتبقى هنالك مرتاحةً حتى المساء

وهذا الطير قابل لان يدجن ويألف الانسان فيكون اكثر نفعًا من قاق الماء في صيد السمك لانهُ يصطاد كمية اكثر ويبقى صيدهُ في كيسهِ الغشائي مدَّة قبل ان يقع عليهِ الهضم . قيل ان الصينيين يتخذ مونة لذلك . وقيل ان بعضًا من البرابرة كانوا يسمّونهُ بتراب احمر ويطلقونهُ صباحًا فيرجع اليهم مساء وجرابهُ ملآن من السمك فياخذونهُ منهُ ليغتذوا بهِ . ويُوجَد وكرهُ في السواحل على الارض وهو جشع الى الدرجة القصوى فياكل في كلّ مرة ما يشبع ستة رجال كما تقدَّم ويبلع سمكة يبلغ وزنها ست او سبع ليبرات بكل سهولة

قال فيكيه ان الرخم يبني وكرهُ في نخاريب الصخور القريبة من الماء ونادرًا يبيض في حفرة في اليابسة وعدد بيضهِ اثنتان او اربع يحضنها اربعين او خمسة واربعين يومًا واذ تخرج الفراخ تكون مغطاة بشكير سنجابي اللون وتقوم امها باودها في بداءة عمرها بان تصطاد السمك وتحضرهُ لها في جرابها واذ تزقها تحني منقارها على صدرها فتلفظ السمك الى منقار فراخها . ولذلك قد وهم بعضهم بانها تطعم فراخها وتغذيها من دمها وانها تملأ جرابها ماء لتسقيهنَّ في الفلاة اقول وقد عدَّها العرب من الجوارح كالعقبان . قال ابو الطيب

ولا تشكُ الى خلقٍ فتشمتهُ شكوى الجريح الى العقبان والرخمِ

وقالوا في تعريفها انها طائر ابقع يشبه النسر في الخلقة ويقال لها الانوق ايضًا فلذلك يقال لها ذات الاسمين وهي تحمّق مع تحرّزها . قال الكميت

وذات اسمين والالوان شتّى تحمّقُ وهي كيّسة الحُوَيلِ

وقال الفيروزابادي في القاموس الانوق كصبور العقاب والرخمة وطائر اسود لهُ كالعرف او اسود اصلع الراس اصفر المنقار. وهو اعزّ من بيض الانوق لانها تحرزهُ فلا يكاد يظفر بهِ لان اوكارها في القلال الصعبة قيل في اخلاقها خصال منها انها تحضن بيضها وتحمي فراخها وتألف ولدها وتقطع في اوّل القواطع وترجع في اوّل الرواجع ولا تطير في التحسير ولا تغتر بالشكير ولا تربُّ بالوكور ولا تسقط على الجفير بالشكير اي بصغار ريشها حتى يصير ريشها قصبًا فتطير اه

اما قولهم وان كان يصدق في كثير على الطير المشار اليهِ آنفًا ففيهِ نظر. ولا يخفى ان عدم التدقيق في الامور يوقع المرء بالارتباك والوهم. واكثر وجود الرخم في الاماكن الحارّة مثل افريقيا وصيام والصين ومدكسكر وجزائر السند وفليبين ومانيلّ وامبركا

نوادر الكلاب

كان عند رجل كلب اسمهُ جبٌّ وكان يجلس تحت مائدتهِ عند مناولة الطعام يلتقط الفتات . فاتفق يومًا ان بنتًا من بنات الرجل غابت عن الغداء لحاجةٍ عرضت لها . فلما رجعت ركض الكلب لملاقاتها وفي فمهِ كسرة من الخبز فوضعها في حضنها فالقتها على الارض فتناولها ثانيةً ووضعها في حضنهِ وجعل يعوي متضايقًا . فهمّت بضربهِ ثم بدا لها انهُ ربما كان يقدمها لها لغيابها عن الطعام فاخذتها وقابلتهُ ببشاشة فولّى وهو يلوح ذنبهُ فرحًا. وامثال ذلك كثيرة

ومنهُ ما يدل على ان الكلب قد يفهم كلام البشر او بالاحرى يدرك معناهُ بالاستدلال كما يدركهُ الاخرس الاصم احيانًا. فمن ذلك ما حُكي ان بستانيًا انكليزيًا كان اذا اراد هدم شيء او بناءهُ في بستانهِ يأمر كلبهُ بجلب آلة كذا من نمره كذا فيذهب الى الخادم ولا يرجع الّا بالآلة المطلوبة من النمره المعيَّنة

ومنهُ ما هو اغرب من ذلك ويدلُّ على كبر فائدة الكلب وهو استعمال

الكلاب عوضاً عن البشر في التراكات لاطفاء النيران . قال صاحب جريدة شهيرة تُعرَف بالاميركان اكريكلتشرست ما ملخصهُ وقد شاهدنا الكلاب يفعلون ما لا يفعلهُ الرجال فتراهم يسرعون حالما يسمعون صوت الجرس ويسبقون الناس الى محلات الحريق وقد كان هنا كلبٌ شهدناهُ مرةً وقد وثب الى جوف اللهيب وخلّص عدة اطفال واحدًا فواحدًا

واغرب من ذلك كلهِ مونستانس الكلب الذي اشتهر في حروب بونوبارت مع النمساويين فمن عجيب ما يُحكى عنهُ ان فرقة من النمساويين ارادت ان تكبس فرقة من الفرنساويين وكان مونستانس معهم فلما دنا النمساويون منهم اشتمَّ مونستانس رائحتهم وجعل ينبح نباحًا شديدًا حتى استيقظ الحرَّاس وتحذَّر الجنود فلما شعر العدو بانكشاف امرهِ ولَّى مدبرًا . فقيَّدوا اسمهُ حينئذٍ بين اسماء الجنود وعيَّنوا لهُ مرتَّب جندي. وكان عند انتشاب القتال لا ينفك عن النباح والهجوم على العدو كانهُ اسد. وفيما هو هاجم يومًا رأى كلبًا بين صفوف الاعداء فهجم عليهِ وما زال بهِ حتى هزمهُ ولكنهُ خرج من المعمعة مقطوع الاذن. ودخل يومًا الى المحلة جاسوس يحسن التكلم بالفرنساوية فلم يشتبه بهِ احد فدنا منهُ مونستانس وما لبث ان شمَّهُ حتى هجم عليهِ وجرحهُ وهو يهرُّ هريرًا شديدًا . ففحصوا امرهُ فوجدوهُ جاسوسًا وقتلوهُ. وحدثت يومًا معركة شديدة مشهورة بمعركة اوسترلتز فهجم على حامل الراية عشرة من النمساويين وكادوا ياخذونها منهُ فاصطدمهم مونستانس لاعانتهِ واقتتلوا اقتتالًا شديدًا فتجندل ثلاثة من النمساويين وخرَّ حامل الراية قتيلًا ملتفًا بالراية فركض النمساويون لاخذها فلم يصلوا اليها حتى مزَّقهم رصاص الفرنساويين كل ممزَّق وأُصيب مونستانس برصاصة في كتفهِ الَّا انهُ انساب الى الراية كالافعى ولم يرجع الَّا وقماش الراية في فمهِ . فقلدوهُ في عنقهِ نيشانًا منقوشًا عليهِ ما ترجمتهُ " قد فقد رجلهُ في اوسترلتز ولكنهُ استخلص راية فرقتهِ ". ثم قُتِل في معركة بكرَة مدفع فدفنوهُ في ساحة القتال واقاموا على قبرهِ حجرًا عليهِ " هنا دُفِن ذو الباس مونستانس "

النظافة

بين النظافة وبين التحسُّن بالزينة والملبس فرق واضح لا يخفى الاَّ عمَّن التهى بتحسين خلقتهِ عن تنظيف جسدهِ فصار يحسب فعلهُ نظافة او من تهامل عن قضاء واجبات صحتهِ فصار يحسب النظافة ضربًا من التخنُّث وينكر على الغير اشمئزازهم من الاقذار وابتعادهم عن وسخ الملابس والاجساد. الاَّ ان صاحب الذوق السليم لا يخطئُ في امور النظافة فاذا رأَى اثوابًا فاخرة وشعورًا مرتبة وشمَّ الروائح الطيّبة ثم رأَى على الايدي الاوساخ المتجمعة وتحت الاظافر الاقذار المتلبّدة وعلى الاماق الارماص المتصلبة علم ان صاحب تلك الاثواب قد انزل النظافة منزلةً وضيعة. واذا رأَى منتقدًا ينتقد على حب النظافة علم انهُ انما ينتقد لتكاسلهِ عمَّا هو واجب عليهِ. وليس قصدنا الآن ان نبين لزوم النظافة ادبيًا فان ذلك شرط مقرَّر من شروط الهيئة الاجتماعية عند كل امَّةٍ متمدنة ولا يحتاج لتقريرهِ الى برهان. وانما قصدنا ان نبيّن لزوم النظافة لحفظ الصحة ونحث من يهتم لذلك ولاسيما الامهات على مراعاتها في بيوتهنَّ قيامًا بواجباتهنَّ ومحافظةً على صحتهنَّ وصحة عيالهنَّ. فلا جرم ان الصحة من افضل ما منحهُ الباري تعالى للانسان والنظافة واسطة من الوسائط الفعَّالة في حفظها ولعلهُ بهذا الاعتبار قيل فيها ان النظافة من الايمان. فاذا كانت ربَّة البيت تبذل جهدها في ارتقاء المقامات السنيَّة في الهيئة الاجتماعية كما اذا اولمت وليمةً فانها تتشدَّد في طلب اصناف الاطعمة وتجتهد في تحسين الطبخ والتتبيل وتظهر مزيد الملاطفة والترحاب بالمدعوّين لكيلا تخلّ باحكام الهيئة الاجتماعية فكم بالأولى يجب عليها ان تهتمَّ بنظافة بيتها وعيالها حرصًا على راحتها واطمئنان بالها اولاً ومحافظةً على قوانين الهيئة الاجتماعية ثانيًا

اذا تتبَّعنا الوصايا الطبيّة في المحافظة على الصحة كدنا لم نجد واحدة منها تخلو من التوصية بالنظافة وذلك لان كل ما فينا من شعور رؤُوسنا الى بواطن اقدامنا يحتاج الى تنظيف. امَّا ما لا يمكننا الوصول الى تنظيفهِ من اجسادنا فما دام في

حال الصحة فقد عيّن له الباري طرقاً ينظّف نفسهُ بها واما ما بقي منها فنحن موكّلون بهِ وعلينا ان نقوم بالواجب له فاذا غسلنا وجوهنا ولكن غفلنا عن ان نغسل وننظّف افواهنا نكون قد اتمنا بواجبات الاوّل واهملنا واجبات الثاني وتكون النتيجة ان ما يبقى بين اسناننا من الاطعمة وما يتجمّع عليها من سوائل الفم يخرها وينتنها فتسقد وتبلى وتبخر افواهنا وتكره رائحتها فنخسر شيئاً ثميناً ما نتأ ألف منه صحتنا وننفد لذّة عظيمة من جنى المجالسة والمؤانسة

واذا اقتصرنا على تنظيف الايادي وتحسين الاظافر والانامل وتغاضينا عن تنظيف سائر الجسد كانت النتيجة اشرّ حالاً . فلا بد في ان بواطن اجسادنا تفرز دائماً مفرزات سامّة اذا بقيت فيها الحقت بها ضرراً عظيماً وخرّبت حسن نظامها . فجلد الجسد طريق واسعة تخرج منه المفرزات المذكورة فان فيه ثقوباً كثيرة لذلك وقد حسبوا ان الثقوب التي يفرز منها عرق الجسد هي اكثر من خمسة آلاف الف ثقب. فاذا تجمّدت هذه المفرزات على سطح الجسد تسدّ ما فيه من الثقوب وتمنع غيرها من الخروج . فتبقى في الدم وتدور معهُ فتؤذي الرئة والمعدة وغيرها . ويمسي الجسد عرضة للحمّيات والامراض وتتبلّد قوى العقل ويضطرب المزاج فضلاً عمّا يبدو على الانسان من العلامات المكروهة

فلا بدّ للانسان اذاً من المحافظة على نظافة جسدهِ بالاغتسال ولبس الملابس النظيفة ولا يقصد من الاغتسال تنظيف الجسد مما يوسخهُ من الخارج فقط بل مما يخرج اليهِ من الداخل . ولطالما سمعنا الامهات يلمنَ اولادهنّ اذا اكثروا من طلب الاغتسال زاعمات انهُ لاحاجة لذلك ما داموا بعيدين عن اقذار الغبار ونحوهِ فذلك خطأ مبين

ولو كان الماء في العالم شيئاً ثميناً عزيز الوجود لكان لبعض الناس عذر عن الاغتسال ولكنهُ من كرم الباري اوفر ما في الارض واسعهُ انهُ مباح للجميع فاهمال الاغتسال بهِ حيث لا مانع ليس الّا اهمالاً لقضاء الواجب نحو الهيئة الاجتماعية والصحة الشخصية. واما اللباس فشانهُ غير شان الاغتسال حيث كان

اللباس غير ميسور للجميع كالماء على اننا لا نصدّق ان الانسان يعجز عن تخصيص ثوب بالنوم وآخر بلبس النهار طالما كان كيسة ملآناً نيفاً ومالة يحترق امام عينيه فمن يعجز عن الاهتمام بلباسهِ للمحافظة على صحتهِ فكيف يقدر على تحصيل ذلك السم الذي يؤثّر في اكثر بنيتهِ تأثيراً فظيعاً كما تحقق بالبحث والامتحان. فاللباس اذ كانت تدخلهُ بعض مفرزات الجسد كان لا بدّ من تنظيفهِ ولو لم يُلوّث باوساخ خارجية. ويظهر من ذلك ان اللباس التحتاني يحتاج الى تغيير اكثر من الفوقاني فلا ندري ايّة لذّة يجدها الذين يبقون قميص الصوف على ابدانهم اشهراً دون ان يغسلوهُ ولا نعلم كيف يطيق كثيرون ان يرفلوا بالملابس الفاخرة ويتردّوا بالحلل المزخرفة واثوابهم الداخلية قذرة لا تستطيع العين رؤيتها اشمئزازاً وكراهةً مع انهُ لا بد من ظهور نتائج ذلك فيهم اما عاجلاً او آجلاً. وهكذا يقال في لزوم تنظيف الفرش وغُرَف النوم وتهويتها جيّداً وادخال اشعة الشمس اليها . فان هذه الامور نفعاً عظيماً لصحة الانسان ولاسيما للمرضى لانهم اذا أُجريت لهم وسائط النظافة هذه كانت معيناً لهم على استرجاع حال الصحة وكم منهم اشتدّت عليهِ الامراض لقلة حسن التمريض ولتراكم الاقذار وكم من الاولاد تراهم كئيبي الهيئة سقيمي المناظر بليدي العقول لاهمال اهلهم تنظيف ابدانهم وملابسهم والاعتناء بفرشهم وغرف نومهم

وقس على ما تقدّم الازقة والشوارع فان هذه اذا كانت قذرة لا تقتصر اضرارها على الخصوص بل تشمل العموم حتى اذا وفد على البلدة مرض وكانت قذرة فربما توقف اكثر شرهِ واشتدادهِ على تلك الاقذار واكثر ضعفهِ وزوالهِ على ازالتها . هذا وان نظافة الازقة والشوارع دليل واضح على حب اهلها للنظافة فان محبي النظافة قلّما يطيقون ان يمرّوا في ازقة قذرة او ان تطلّ شبابيكهم على شوارع تفوح روائح النتانة والقذر

الصدق

الصدق يتوقف على نية قول الحق طابق الواقع او لم يطابقهُ . وقول الحق

اذا تعلق بما ثبت حدوثه في الماضي او في الحال كتاكيد هطل المطر امس او الآن فقد حصل تحقيقًا واذا تعلّق بما تقرّر قصد فعله في المستقبل كالتصريح بقصد اهداء شخصٍ ما شيئًا في الغد فهو وعدٌ . واعلم انهُ لابد من النظر الى النية عند التصريح بشيء . فاذا نوى شخص ان يصدق ادبيًّا فهو بريء من الكذب ولو اخطأ في قوله غير انهُ اذا نوى ان يغش اي يظهر خلاف ما في ضميره يقضى عليهِ بالكذب ولو كان قولهُ مطابقًا للواقع وعلى ذلك يعتبر الصدق في ما هو حاصل وما هو موعود بهِ فالحاصل نتكلم عنهُ الآن

ان قواعد الصدق تقتضي اذا قيل قول ان يتبيّن للغير نفس ما نقصدهُ في ذلك القول مجرّدًا عن كل تمويه وتاويل وعلى ذلك فضابط الصدق يمنع اولاً عن التفوه بما نعلم انهُ كذب كانهُ صدق فيدخل تحتهُ كل خطاب ينوى بهِ غرور الآخرين . ثانيًا عن التفوه بما لا يعلم انهُ صدق كانهُ صدق لانهُ لا يتبين اذ ذاك للآخرين نفس ما هو حاصل في النية بل خلافهُ فلا يصح ان نقول عن شيء لا نعلمهُ انهُ صدق لانهُ اذا كان الشيء مجهولاً عندنا فحكمنا عليهِ محتمل للصدق والكذب . وربما قال قائل ألا يمكنني ان اتكلم الاَّ بما اعلم صدقهُ اولا يمكنني ان اقدم رايي فيهِ . قلنا لا ريب في امكانهِ من ذلك الاَّ انهُ يلتزم ان يبديهُ كرايي لا كحكم جازم . ثالثًا عن التفوه بما يمكن ان يكون صدقًا باسلوبٍ او ظروفٍ تجعل الآخرين يعتقدون الخلاف ويرتكب ذلك بعدّة اساليب كما اذا أُطنِب ببعض الاشياء او أُوجِز ببعضها او اذا رُوي عنها حسب ما هي ولكن ركبت على اسلوب يجعل في الآخرين تاثيرًا باطلاً فاذا رُوي ان زيدًا دخل محل عمرو وحالاً بعد خروجهِ وُجِد ان ساعة عمرو فقدت يوهم ذلك ان زيدًا هو السارق . فاذا قرِّر الواقع ولكن بقصد الايهام بخلاف الواقع ارتكبت جناية الكذب لا محالة . والخلاصة انهُ لما كان الكذب متوقفًا على قصد ايهام الاخرين بخلاف الواقع فجنايتهُ ترتكب اذا قُصِد ذلك بايقاع الصوت اي بخفضهِ ورفعهِ الخ . وغمز الحاجب وايماء الراس واشارة اليد . فان استفهم سائح عن الطريق المؤدّية الى

اورشليم مثلاً واشير الى الجهة الباطلة ارتكبت جناية الكذب كما لو فُعِل ذلك بالكلام . وهذا الضابط يطرد في كل اختلاط بشري بعلاقات المعيشة كلها لانه يمنع كذب الوالد على الولد والمعلم على المتعلم والكبير على الصغير والبائع على الشاري والمتمدن على غير المتمدن وعكس كل ذلك وهو فرض عام على الجميع لا لاحدٍ منهُ مناص على الاطلاق فلا عذر اذًا لكاذبٍ ان يقول لا حق لمخاطبي ان يطّلع على صدق نيتي ولذلك كذبت عليهِ فانهُ اذا لم يكن مخاطبهُ محقًّا بما طلب منهُ ترتّب عليهِ ان لا يجيب طلبهُ لا ان يخدعهُ بالكذب . فمراعاة الصدق مهمة في كل حال من احوال البشر والكذب رذيلة عظيمة في التكلم او المزل او الاطناب الباطل للتسلية او لتحسين الكلام لان من ياذن لنفسهِ بالكذب مرةً يرى بعد حين انهُ قد صار كاذبًا مطبوعًا . فان كانت هذه هي النتيجة فاي اثم يرتكبهُ الذين يعلّمون الكذب كما يفعل الوالدون والمراضع بقَصّهم على الاطفال خرافات باطلة وتخويفهم اياهم بغيلان فارغة ليقضوا غرضهم وكما يفعل الذين يلزمون اولادهم او غلمانهم ان ينكروا وجودهم في البيت على من ياتي لزيارتهم حالة كونهم في بيوتهم وككثيرين غيرهم ممن لو قصدنا تقرير كل العلل التي يجعلونها سببًا للكذب لضاق بنا المقام

عليك بالصدقِ ولو انهُ	احرقكَ الصدق بنار الوعيد
وابغِ رضى المولى فاغبى الورى	من اسخط المولى وارضى العبيد

الخطُّ

لما جاء المُلك للعرب وفتحوا الامصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة واحتاجت الدولة الى الكتّاب استعملوا الخط وطلبوا صناعتهُ وتعلّموهُ وتداولوهُ . فترقّت الاجادة فيهِ واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان الّا انها كانت دون الغاية . والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد

ثم انتشر العرب في الاقطار والممالك وافتتحوا افريقية والاندلس . واختطّ

بنو العبّاس بغداد وترقّت الخطوط فيها الى الغاية لما استبحرت العمران وكانت دارَ الاسلام ومركز الدولة العربية وخالفت اوضاعُ الخط ببغداد اوضاعهُ بالكوفة في الميل الى اجادة الرسوم وجمال الرونق وحسن الرواء واستحكمت هذه المخالفة في الاعصار الى ان رفع رايتها ببغداد عليّ بن مقلة الوزير. ثم تلاهُ في ذلك عليّ بن هلال الكاتب الشهير بابن البوّاب ووقف سندُ تعليمها عليهِ في المئة الثالثة وما بعدها . وبعدت رسوم الخط البغدادي واوضاعهُ عن الكوفي حتى انتهى الى المباينة. ثم ازدادت المخالفة بعد تلك العصور بتفنُّن الجهابذة في إحكام رسومهِ واوضاعهِ حتى انتهت الى المتأخّرين مثل ياقوت والوليّ عليّ العجمي ووقف سند تعليم الخط عليهم وانتقل ذلك الى مصر وخالفت طريقةَ العراق بعض الشيء ولقنها العجم هنالك فظهرت مخالفة لخط اهل مصر او مباينة

وكان الخط الافريقي المعروف رسمهُ القديم لهذا العهد يقرب من اوضاع الخط المشرقي وتحيّز ملك الاندلس بالامويّين فتميّزوا باحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط فتميّز صنف خطّهم الاندلسي كما هو معروف الرسم. وطما بحر العمران والحضارة في الدول الاسلامية في كل قطر وعظم الملك ونفقت اسواق العلوم وانتسخت الكتب وأُجيد كتبها وتجليدها ومُلِئت بها القصور والخزائن الملوكية بما لا كفاء لهُ وتنافس اهل الاقطار في ذلك وتناغوا فيهِ

ثم لما انحلّ نظام الدولة الاسلامية وتناقصت تناقص ذلك اجمع ودُرِسَت معالم بغداد بدروس الخلافة وانتقل شانها من الخط والكتّاب بل والعلم الى مصر والقاهرة فلم تزل اسواقهُ بها نافقة لهذا الخط . وللخط بها معلّمون يرسمون للمتعلّم الحروف بقوانين في وضعها واشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلّم ان يحكم اشكال تلك الحروف على تلك الاوضاع ولقد لقّنها حسًّا وحذق فيها دربة وكتابًا واخذها قوانين علمية فيجيء احسن ما يكون

واما اهل الاندلس فافترقوا في الاقطار عند تلاشي مُلك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلّبت عليهم امم النصرانية فانتشروا في عُدْوة المغرب وافريقيا

من لدن الدولة اللمتونية الى هذا العهد وشاركوا اهل العمران بما لديهم من الصنائع وتعلّقوا باذيال الدولة فغلب خطّها على الخط الافريقي وعُفي عليهِ ونُسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدها وصنائعها وصارت خطوط اهل افريقيا كلها على الرسم الاندلسي بتونس وما يليها لتوفّر اهل الاندلس بها عند الجالية من مشرق الاندلس . وبقي منهُ رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كتّاب الاندلس ولا تمرّسوا بجوارهم اذ انما كانوا يفدون على دار الملك بتونس . فصار خط اهل افريقيا من جنس خطوط اهل الاندلس حتى اذا تقلّص ظلُّ الدولة الموحّدية بعض الشيء وتراجع امر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذٍ حال الخط وفسدت رسومهُ وجُهل فيهِ وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقُص العمران وبقيت فيهِ آثار الخط الاندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك

وحصل في دولة بني مرين بعد ذلك بالمغرب الاقصى لون من الخط الاندلسي لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم الى فاس قريبًا واستعمالهم ايّاهم سائر الدولة ونُسي عهد الخط في ما بعُدَ عن سدّة الملك ودارهِ كأنّ لم يُعرَف . فصارت الخطوط بافريقيا والمغربين مائلة الى الرداءة بعيدة عن الجودة وصارت الكتب اذا انتسخت فلا فائدة تحصل لمتصفّحها منها الاّ العناء والمشقّة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الاشكال الخطّية عن الجودة حتى لا تكاد تقرأ الاّ بعد عسر. ووقع فيهِ ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدولة

وللاستاذ ابي الحسن عليّ بن هلال الكاتب البغدادي الشهير بابن البوّاب قصيدة من بحر البسيط على رويّ الراء يذكر فيها صناعة الخط وموادّها من احسن ما كتب في ذلك . واوّلها

يا من يريد اجادة التحرير	ويرومُ حُسْنَ الخط والتصوير
ان كان عزمك في الكتابة صادقًا	فارغب الى مولاكَ في التيسير
اعدد من الاقلام كلّ مثقّفٍ	صَلِبٍ يصوغ صناعة التحبير

وإذا عمدت لبريه فتوخَّهُ ... عند القياس باوسط التقدير
انظر الى طرفيه فاجعل بريهُ ... من جانب التدقيق والتخصير
واجعل لجلفته قوامًا عادلاً ... يخلو عن التطويل والتقصير
والشقّ وسّطه ليبقى بريه ... من جانبيه مشاكل التقدير
حتى اذا اتقنت ذلك كله ... اتقان طبّ بالمراد خبير
فاصرف لرأيك القطّ عزمك كله ... فالقطُّ فيه جملة التدبير
لا تطمعَنْ في أن ابوح بسرّه ... اني اضنُّ بسرّه المستور
لكنّ جملة ما اقول بأنّهُ ... ما بين تحريفٍ الى تدوير
وألقِ دواتك بالدخان مدبّرًا ... بالخلّ او بالحصرم المعصور
وأضِفْ اليه مغرةً قد صوّلت ... مع اصفر الزرنيخ والكافور
حتى اذا ما خُمّرت فاعمد الى ال ... ورق النقيّ الناعم المخبور
فاكبسه بعد القطع بالمعصار كي ... ينأى عن التشعيث والتغيير
ثمّ اجعل التمثيلَ دأبك صابرًا ... ما ادرك المأمول مثل صبور
ابدأ به في اللوحِ منتضيًا له ... عزمًا تجرّدهُ عن التشمير
لا تخجلنّ من الرديّ تخطّهُ ... في أوّل التمثيل والتسطير
فالامر يصعب ثمّ يرجع هيّنًا ... ولرُبَّ سهلٍ جاء بعد عسير
حتى اذا ادركتَ ما أمّلته ... اضحيت ربَّ مسرّةٍ وحبور
فاشكر الهك واتّبع رضوانه ... ان الاله يحب كلّ شكور
وارغب لكفّك ان تخطّ بنانها ... خيرًا تخلّفه بدار غرور
فجميع فعل المرء يلقاهُ غدًا ... عند التقاء كتابه المنشور

واعلم ان الخطّ بيان عن القول والكلام كما ان القول والكلام بيان عمّا في النفس والضمير من المعاني فلا بدّ لكلّ منهما ان يكون واضح الدلالة. وهو يشتمل بيان الادلة كلها. فالخط المجوّد كماله ان تكون دلالته واضحة بابانة حروفه المتواضعة واجادة وضعها ورسمها كل واحد على حدته متميز عن الآخر الّا ما

اصطلح عليه الكتّاب من ايصال حروف الكلمة الواحدة بعضها ببعض سوى حروف اصطلحوا على قطعها مثل الالف المتقدّمة في الكلمة وكذا الراء والزاي والدال والذال وغيرها بخلاف ما اذا كانت متاخرة وهكذا الى آخرها

ثم ان المتاخرين من الكتّاب اصطلحوا على وصل كلمات بعضها ببعض وحذف حروف معروفة عندهم لا يعرفها الّا اهل مصطلحهم فتستعجم على غيرهم وهؤلاء كتّاب دواوين السلطان وسجلّات القضاة كانهم انفردوا بهذا الاصطلاح عن غيرهم لكثرة موارد الكتابة عليهم وشهرة كتابتهم واحاطة كثير من دونهم بمصطلحهم . فان كتبوا ذلك لمن لا خبرة له بمصطلحهم فينبغي ان يعدلوا عن ذلك الى البيان ما استطاعوهُ والّا كان بمثابة الخط الاعجمي لانهما بمنزلة واحدة في عدم التواضع عليه وليس يُعذَر في هذا القدر الّا كتّاب الاعمال السلطانية في الاموال والجيوش لانهم مطلوبون بكتمان ذلك عن الناس فانه من الاسرار السلطانية التي يجب اخفاؤها فيبالغون في رسم اصطلاح خاصّ بهم فيصير بمثابة المعمّى وهو الاصطلاح على العبارة عن الحروف بكلمات من اسماء الطيب والفواكه والطيور والازهار ووضع اشكال اخرى غير اشكال الحروف المتعارفة يصطلح عليها المتخاطبون لتأدية ما في ضمائرهم بالكتابة . وربما وُضع لكتّاب للعثور على ذلك وان لم يضعوهُ اوّلاً قوانينُ بمقاييس استخرجوها لذلك بمداركهم يسمّونها فكّ المعمّى وللناس في ذلك دواوين مشهورة

عجائب المخلوقات

للامام القزويني *

ان الحيوان في الرتبة الثالثة من الكائنات وابعد المولّدات عن الامّهات لان المرتبة الاولى للمعادن وهي باقية على الجمادية لقربها من البسائط . والمرتبة الثانية للنبات فانها متوسطة بين المعادن والحيوان لحصول النشوء والنموّ وفوات الحسّ والحركة . والمرتبة الثالثة للحيوان . وانه قد جمع بين النشوء والنموّ والحسّ

والحركة وهذه قوى موجودة في جميع افراد الحيوان حتى في الذباب والبعوض. واما الحس فلأنّ الله تعالى لما قضى لكل حيوان امدًا معلومًا وابدان الحيوان متعرّضة للآفات المفسدة لها والمهلكة اياها . فاقتضت الحكمة الالهية لها القوّة الاحساسية لتشعر بواسطتها بالمنافي فتدفعهُ عن نفسها اذا احسّت بالمو . فلولا هذه القوّة لما احسّ الحيوان بالجوع الى ان مات بغتةً فجاءةً من عدم الغذاء ولكان اذا نام فاصاب يدهُ او رجلهُ نار لم يكن يحسُّ بهِ حتى ينتبه من نومهِ فاذا هو بلا يد او رجل. واما الحركة فلانّ الحيوان لمّا كان محتاجًا الى الغذاء ولم يكن غذاؤهُ بجنبهِ في جميع الاوقات اقتضت الحكمة الالهية له آلات الحركة ليتحرّك بها الى الغذاء ولولا هذه القوّة واحتاج الحيوان الى الغذاء ولم يقدر على المشي اليهِ فات جوعًا كثيرة لا تجد الماء حتى تجفّ ولكان اذا اصابهُ آفة من حرق او غرق بقي على مكانهِ حتى ادركهُ الحرق او الغرق

ولما كانت الحيوانات بعضها عدوًّا لبعض اقتضت الحكمة الالهية لكل حيوان آلة يحفظ بها نفسهُ من عدوّهِ . فمنها ما يدفع العدوّ بالقوة والمقاومة كالفيل والجاموس والاسد . ومنها ما يسلم من عدوهِ بالفرار فأُعطي آلة الفرار كالظباء والارانب والطيور. ومنها ما يحفظ نفسهُ بسلاح كالقنفذ والشيهم والسلحفاة. ومنها ما يحفظ نفسهُ بحصن كالفار والحيّة والهوامّ . ومن مقتضى الحكمة الالهية ان خُلِق لكل حيوان من الاعضاء ما يتوقف عليهِ بقاء ذاتهِ ونوعهِ لا زائدًا ولا ناقصًا . فلذلك اختلفت اشكالها واعضاؤها وتنوّعت انواعًا كثيرة

الانسان

اعلم ان الانسان مجموع مركّب من النفس والبدن فانهُ اشرف الحيوانات وخلاصة المخلوقات ركّبهُ الله تعالى في احسن صورة روحًا وبدنًا وخصّصهُ بالنطق والعقل سرًّا وعلنًا وزيّن ظاهرهُ بالحواس والحظ الاوفى وباطنهُ بالقوى ما هو اشرف واقوى وهيأ للنفس المناطقة الدماغ واسكنهُ على محلّ واوفق رتبة وزيّنهُ بالفكر والذكر والحفظ وسلّط عليهِ الجواهر العقلية لتكون النفس اميرًا والعقل

وزيرهُ والقوى جنودهُ والحس المشترك بريدهُ والاعضاء خدمة والبدن محلّ مملكته والحواس يسافرون في جميع الاوقات في عالمهم ويلتقطون الاخبار الموافقة والمخالفة ويعرضونها على الحس المشترك الذي هو واسطة بين النفس والحواس على باب المدينة وهو يعرضها على القوّة العقلية تختار ما يوافق وتطرح ما لا يوافق فمن هذا الوجه قالوا الانسان عالم صغير. ومن حيث انهُ يتغذّى وينمو قالوا نبات ومن حيث انهُ يحس ويتحرّك قالوا حيوان ومن حيث انهُ يعلم حقائق الاشياء قالوا ملك فصار مجمعًا لهذه المعاني. فاذا صرف همّتهُ الى جهة من هذه الجهات يلتحق بها. وان كان قد صرف همتهُ الى الجهة الطبيعية فيكون رضيًا من دنياهُ بالتغذي وتنقية الفضول. وان كان الى الحيوانية فيكون اما غضوبًا كسبع اوشبقًا كتيس اواكولاً كثور او شرهًا كخنزير او ضرعًا ككلب او حقودًا كجمل او متكبرًا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع هذا كلهُ فيكون شيطانًا مريدًا . وان كان صرف همتهُ الى الجهة الملكية فيكون متوجهًا الى العالم الأعلى ولا يرضى بالمنزل الاسفل والمربع الادنى

النظر في القوى

القوى صنفٌ من الملائكة خلقها الله تعالى لتدبير الابدان وقوام منافع اعضائها من الافعال والادراكات فتشبه افعالها فيها افعال صنّاع البلاد وسكانها فان حال البدن مع الروح . وهذه القوى تشبه مدينة عامرة بآلاتها مأنوسة بسكانها مفتوحة الاسواق مسلوكة الطرقات مشتغلة الصنّاع وحالهُ عند النوم وهدوّ الحواس وسكون الحركات تشبه حال المدينة بالليل اذا أغلقت ابوابها وتعطلت صنّاعها ونام اهلها . ومنهم من قال ان البدن كبيت منقّش بنقوش غريبة وصور عجيبة والوان مختلفة. والقوى تلك النقوش والصور والنفس كالسراج الذي يُدار في اطراف البيت. وبسبب وصول ضوءهِ الى اجزاء البيت يُرى في سقفهِ وحيطانهِ وفرشهِ عجائب تبهر فيها بل في كل زاوية من زواياها مثل الحس والعقل والفهم والقوى الظاهرة والباطنة والخيال وغيرها . فاذا فارق

النفس بطلت هذه المعاني كلها كما ان البيت عند انطفاء السراج لا يرى لتلك
الصور والنقوش اثر. وعجائب القوى خارجة عن الفهم

القوى الظاهرة وهي الحواس الخمس

الاوّل حاسّة اللمس . وهي قوة منبثّة في جميع جلد البدن يدرك بها ما يلاقيه ويؤثر فيه فانها اول حاسة خُلِقَت للحيوان حتى اذا مسّته نار او حديد جارح يحسّ به فيهرب منه ولا يتصوّر حيوان الّا وله هذا الحس حتى الدودة التي في الطين فانها اذا غُرِز فيها ابرة انقبضت

الثانية الشمّ . وهي قوة في مقدّم الدماغ تدرك الروائح التي يؤدّ بها الهواء المتكيّف بتلك الكيفية

الثالثة البصر . وهي قوّة مرتّبة في عصبة مجوّفة في العين تدرك بحصول الاشياء ذوات الصور والالوان فان الضوء اذا سرى في الاجسام الشفّافة وحمل معه الوان الاجسام واتّصل بحدقة الحيوان وسرى فيها كما يسري في الاجسام الشفافة انصبغت الحدقة بتلك الالوان كما ينصبغ الهواء بالضياء فعند ذلك يحسّ بالقوة الباصرة

الرابعة السمع . وهي قوة مرتّبة في عَصَب داخل الصماخ تدرك الصوت الذي يؤدي اليه الهواء بالتموّج وحالة تشبه بتموّج الماء فان الهواء اشدّ لطافة من الماء فاذا وقع شيء في الماء تحدث من وقوعه دوائر فكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموّجه الى ان يضمحلّ فكذلك يحصل من قرع الصوت الهواء تموّج . فايّ سامع حصل في ذلك الموج دخل اذنه فتحس به القوة السامعة

الخامسة الذوق . وهي قوة منبثّة في جرم اللسان يدرك بها ما يماسّه من المطعوم بواسطة الرطوبة العذبة التي تحت اللسان فان تلك الرطوبة تخالف الجسم الذي فيه كيفية الطعم فتتكيّف بتلك الكيفية

فيحصل الاحساس

بالطعم

القسم السادس

أمثال للإمام علي بن أبي طالب من حرف الألف إلى الياء

الألف

إيمان المرء يعرف بأيمانه * أخوك من واساك في الشدة * إظهار الغنى من الشكر * أدب المرء خير من ذهبه * أداء الدين من الدين * أدب عيالك تنفعهم * أحسن إلى المسيء تسد * إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب * إستراحة النفس في اليأس * إخفاء الشدائد من المروءة * أخوك من واساك بنشب لا من واساك بنسب

الباء

بر الوالدين سلف * بشر نفسك بالظفر بعد الصبر * بركة المال في أداء الزكوة * بع الدنيا بالآخرة تربح * بكاء المرء من خشية الله تعالى قرة العين * باكر تسعد * بطن المرء عدوه * بكرة السبت والخميس بركة * بركة العمر حسن العمل *

بَلَاءُ ٱلْإِنْسَانِ مِنَ ٱللِّسَانِ * بِرُّكَ لَا تُبْطِلْهُ بِٱلْمِنَّةِ * بَشَاشَةُ ٱلْوَجْهِ عَطِيَّةٌ ثَانِيَةٌ

اَلتَّاءُ

تَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ يَكْفِكَ * تَأْخِيرُ ٱلْإِسَاءَةِ مِنَ ٱلْإِقْبَالِ * تَدَارَكْ فِي آخِرِ ٱلْعُمُرِ مَا فَاتَكَ فِي أَوَّلِهِ * تَكَاسُلُ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلصَّلٰوةِ مِنْ ضَعْفِ ٱلْإِيمَانِ * تَفَاءَلْ بِٱلْخَيْرِ تَنَلْهُ * تَأْكِيدُ ٱلْمَوَدَّةِ فِي ٱلْحُرْمَةِ * تَغَافَلْ عَنِ ٱلْمَكْرُوهِ تُوَقَّرْ * تَزَاحُمُ ٱلْأَيْدِي عَلَى ٱلطَّعَامِ بَرَكَةٌ * تَظَرَّفْ بِتَرْكِ ٱلذُّنُوبِ

اَلثَّاءُ

ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ ٱلْعُجْبُ وَٱلْبُخْلُ وَٱلْهَوَى * ثُلُثُ ٱلْإِيمَانِ حَيَاءٌ وَثُلُثُهُ عَقْلٌ وَثُلُثُهُ جُودٌ * ثُلْمَةُ ٱلدِّينِ مَوْتُ ٱلْعُلَمَاءِ * ثُلْمَةُ ٱلْحِرْصِ لَا يَسُدُّهَا إِلَّا ٱلتُّرَابُ * ثَوْبُ ٱلسَّلَامَةِ لَا يَبْلَى * ثَنِّ إِحْسَانَكَ بِٱلِاعْتِذَارِ * ثَبَاتُ ٱلْمُلْكِ بِٱلْعَدْلِ * ثَوَابُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ نَعِيمِ ٱلدُّنْيَا * ثَبَاتُ ٱلنَّفْسِ بِٱلْغِذَاءِ وَثَبَاتُ ٱلرُّوحِ بِٱلْغِنَاءِ * ثَنَاءُ ٱلرَّجُلِ عَلَى مُعْطِيهِ مُسْتَزِيدٌ

اَلْجِيمُ

جُدْ بِمَا تَجِدُ * جُنْدُ ٱلْمُنْزِلِ كَثِيرٌ * جَوْلَةُ ٱلْبَاطِلِ سَاعَةٌ

وَجَوْلَةُ ٱلْحَقِّ إِلَى ٱلسَّاعَةِ * جُودَةُ ٱلْكَلَامِ فِي ٱلِاخْتِصَارِ * جَلِيسُ ٱلْمَرْءِ مِثْلُهُ * جَلِيسُ ٱلْخَيْرِ غَنِيمَةٌ * جَالِسِ ٱلْفُقَرَاءَ تَزِدْ شُكْرًا * جَلَّ مَنْ لَا يَمُوتُ

ٱلْحَاءُ

حِلْمُ ٱلْمَرْءِ عَوْنُهُ * حُلِيُّ ٱلرِّجَالِ ٱلْأَدَبُ وَحُلِيُّ ٱلنِّسَاءِ ٱلذَّهَبُ * حَيَاءُ ٱلْمَرْءِ سِتْرُهُ * حُمُوضَاتُ ٱلطَّعَامِ خَيْرٌ مِنْ حُمُوضَاتِ ٱلْكَلَامِ * حُرْقَةُ ٱلْأَوْلَادِ مُحْرِقَةُ ٱلْأَكْبَادِ * حُسْنُ ٱلْخُلُقِ غَنِيمَةٌ * حِدَّةُ ٱلْمَرْءِ تُهْلِكُهُ * حَرَمَ ٱلْوَفَاءَ مَنْ لَا أَصْلَ لَهُ * حِرْفَةُ ٱلْمَرْءِ كَنْزٌ

ٱلْخَاءُ

خَفِ ٱللهَ تَأْمَنْ غَيْرَهُ * خَالِفْ نَفْسَكَ تَسْتَرِحْ * خَيْرُ ٱلْأَصْحَابِ مَنْ يَدُلُّكَ عَلَى ٱلْخَيْرِ * خَلِيلُ ٱلْمَرْءِ دَلِيلُ عَقْلِهِ * خَوْفُ ٱللهِ يُجَلِّي ٱلْقَلْبَ * خُلُوُّ ٱلْقَلْبِ خَيْرٌ مِنْ مَلْءِ ٱلْكِيسِ * خُلُوصُ ٱلْوُدِّ مِنْ حُسْنِ ٱلْعَهْدِ * خَيْرُ ٱلْمَالِ مَا أُنْفِقَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ * خَيْرُ ٱلنِّسَاءِ وَدُودَةٌ وَلُودَةٌ

ٱلدَّالُ

دَوَاءُ ٱلْقَلْبِ ٱلرِّضَاءُ بِٱلْقَضَاءِ * دَوَاءُ ٱلنَّفْسِ فِي ٱلصَّمْتِ *

دَاءُ ٱلنَّفْسِ فِي ٱلْحِرْصِ * دَلِيلُ عَقْلِ ٱلْمَرْءِ فِعْلُهُ وَدَلِيلُ عِلْمِهِ قَوْلُهُ * دَوَامُ ٱلسُّرُورِ بِرُؤْيَةِ ٱلْإِخْوَانِ * دَوْلَةُ ٱلْأَرْذَالِ آفَةُ ٱلرِّجَالِ * دِينَارُ ٱلشَّحِيحِ حَجَرٌ * دِينُ ٱلرَّجُلِ حَدِيثُهُ * دَوْلَةُ ٱلْمُلُوكِ فِي ٱلْعَدْلِ * دَارِ مَنْ جَفَاكَ تَجَمُّلًا * دُمْ عَلَى كَظْمِ ٱلْغَيْظِ تُحْمَدْ عَوَاقِبُكَ

ٱلذَّالُ

ذَمُّ ٱلشَّيْءِ مِنَ ٱلِاشْتِغَالِ بِهِ * ذَرِ ٱلطَّاغِيَ فِي طُغْيَانِهِ * ذَنْبٌ وَاحِدٌ كَثِيرٌ وَذِكْرٌ وَأَلْفُ طَاعَةٍ قَلِيلٌ * ذَوَاقَةُ ٱلسَّلَاطِينِ مُحْرِقَةُ ٱلشَّفَتَيْنِ * ذِكْرُ ٱلْأَوْلِيَاءِ يُنْزِلُ ٱلرَّحْمَةَ * ذُلُّ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلطَّمَعِ * ذَلِيلُ ٱلْخَلْقِ عَزِيزٌ عِنْدَ ٱللهِ * ذِكْرُ ٱلْمَوْتِ جِلَاءُ ٱلْقَلْبِ * ذِكْرُ ٱلشَّبَابِ حَسْرَةٌ

ٱلرَّاءُ

رُؤْيَةُ ٱلْحَبِيبِ جِلَاءُ ٱلْعَيْنِ * رَاعِ أَبَاكَ يُرَاعِكَ ٱبْنُكَ * رَفَاهِيَةُ ٱلْعَيْشِ فِي ٱلْأَمْنِ * رُتْبَةُ ٱلْعِلْمِ أَعْلَى ٱلرُّتَبِ * رِزْقُكَ يَطْلُبُكَ فَٱسْتَرِحْ * رَسُولُ ٱلْمَوْتِ ٱلْوِلَادَةُ * رَاعِ ٱلْحَقَّ عِنْدَ غَلَبَاتِ ٱلنَّفْسِ * رَفِيقُ ٱلْمَرْءِ دَلِيلُ عَقْلِهِ

ٱلزَّايُ

زِنِ ٱلرِّجَالَ بِمَوَازِينِهِمْ * زَحْمَةُ ٱلصَّالِحِينَ رَحْمَةٌ * زَلَّةُ

ٱلْعَاقِلِ كَثِيرٌ * زَوَالُ ٱلْعِلْمِ أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ ٱلْعُلَمَاءِ * زُرِ ٱلْمَرْءَ عَلَى قَدْرِ إِكْرَامِهِ لَكَ * زِيَارَةُ ٱلْحَبِيبِ إِطْرَاءُ ٱلْمَحَبَّةِ * زَوَايَا ٱلدُّنْيَا مَشْحُونَةٌ بِٱلرَّزَايَا * زِيَارَةُ ٱلضُّعَفَاءِ مِنَ ٱلتَّوَاضُعِ * زِينَةُ ٱلْبَاطِنِ خَيْرٌ مِنْ زِينَةِ ٱلظَّاهِرِ

ٱلسِّينُ

سُوءُ ٱلظَّنِّ مِنَ ٱلْحُزْنِ * سُرُورُ ٱلْمَرْءِ بِٱلدُّنْيَا غُرُورٌ * سُوءُ ٱلْخُلُقِ وَحْشَةُ ٱلْإِخْلَاصِ فِيهَا * سِيرَةُ ٱلْمَرْءِ تُنْبِئُ عَنْ سَرِيرَتِهِ * سَلَامَةُ ٱلْإِنْسَانِ فِي حِفْظِ ٱللِّسَانِ * سُكُوتُ ٱلْإِنْسَانِ رَاحَةُ ٱللِّسَانِ * سَادَةُ ٱلْأُمَّةِ ٱلْفُقَهَاءُ * سَكْرَةُ ٱلْأَحِبَّاءِ سُوءُ ٱلْخُلُقِ * سِلَاحُ ٱلضُّعَفَاءِ ٱلشِّكَايَةُ * سُمُوُّ ٱلْمَرْءِ ٱلتَّوَاضُعُ

ٱلشِّينُ

شَيْنُ ٱلْعِلْمِ ٱلصَّلَفُ * شَرُّ ٱلْأُمُورِ أَقْرَبُهَا إِلَى ٱلشَّرِّ * شُحُّ ٱلْغَنِيِّ عُقُوبَةٌ * شَمَّةٌ مِنَ ٱلْمَعْرِفَةِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ ٱلْعَمَلِ * شَيْبُكَ نَاعِيكَ * شَحِيحٌ غَنِيٌّ أَفْقَرُ مِنْ فَقِيرٍ سَخِيٍّ * شَرْطُ ٱلْأُلْفَةِ تَرْكُ ٱلْكُلْفَةِ * شَرُّ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَّقِيهِ ٱلنَّاسُ

ٱلصَّادُ

صِدْقُ ٱلْمَرْءِ نَجَاتُهُ * صِحَّةُ ٱلْبَدَنِ فِي ٱلصَّوْمِ * صَبْرُكَ يُورِثُ

اَلظَّفَرَ * صَلَاةُ اللَّيْلِ بَهَاءُ النَّهَارِ * صَلَاحُ الْبَدَنِ فِي السُّكُوتِ * صَلَاحُ الْإِنْسَانِ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ * صَاحِبِ الْأَخْيَارَ تَأْمَنِ الْأَشْرَارَ * صَمْتُ الْجَاهِلِ سِتْرُهُ * صَلَاحُ الدِّينِ فِي الْوَرَعِ وَفَسَادُهُ فِي الطَّمَعِ

اَلضَّادُ

ضَلَّ سَعْيُ مَنْ رَجَا غَيْرَ اللهِ تَعَالَى * ضَمِنَ اللهُ رِزْقَ كُلِّ أَحَدٍ * ضَرْبُ الْحَبِيبِ أَوْجَعُ * ضِيَاءُ الْقَلْبِ مِنْ اكْلِ الْحَلَالِ * ضَرْبُ اللِّسَانِ أَشَدُّ مِنْ طَعْنِ السِّنَانِ * ضَلَّ مَنْ رَكَنَ إِلَى الْأَشْرَارِ * ضَلَّ مَنْ بَاعَ الدِّينَ بِالدُّنْيَا * ضِيقُ الْقَلْبِ اشَدُّ مِنْ ضِيقِ الْيَدِ * ضَاقَ صَدْرُ مَنْ ضَاقَتْ يَدُهُ * ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمُتَبَاغِضِينَ

اَلطَّاءُ

طَابَ مَنْ وَثِقَ بِاللهِ * طُوبَى لِمَنْ رُزِقَ بِالْعَافِيَةِ * طَالَ عُمْرُ مَنْ قَصُرَ تَعَبُهُ * طَلَبُ الْأَدَبِ أَوْلَى مِنْ طَلَبِ الذَّهَبِ * طِرْ مَعَ الْأَشْكَالِ * طَالَ حُزْنُ مَنْ قَصُرَ رَجَاؤُهُ * طَاعَةُ الْعَدُوِّ هَلَاكٌ طَاعَةُ اللهِ غَنِيمَةٌ * طُوبَى لِمَنْ لَا أَهْلَ لَهُ

الظَّاء

ظُلْمُ ٱلْمَرْءِ يَصْرَعُهُ * ظُلْمُ ٱلْمُلُوكِ أَوْلَى مِنْ دَلَالِ ٱلرَّعِيَّةِ * ظُلَامَةُ ٱلْمَظْلُومِ لَا تَضِيعُ * ظُلْمُ ٱلظَّالِمِ يَقُودُهُ إِلَى ٱلْهَلَاكِ * ظَمَأُ ٱلْمَالِ أَشَدُّ مِنْ ظَمَإِ ٱلْمَاءِ * ظَلَّ عُمْرُ ٱلظَّالِمِ قَصِيرًا وَظَلَّ عُمْرِ ٱلْكَرِيمِ فَسِيحٌ * ظُلْمَةُ ٱلظُّلْمِ تُظْلِمُ ٱلْإِيمَانَ * ظِلُّ ٱلْأَعْرَجِ أَعْوَجُ

ٱلْعَيْنُ

عِشْ قَنِعًا تَكُنْ مَلِكًا * عَيْبُ ٱلْكَلَامِ تَطْوِيلُهُ * عَاقِبَةُ ٱلظَّالِمِ وَخِيمَةٌ * عُلُوُّ ٱلْهِمَّةِ مِنَ ٱلْإِيمَانِ * عَدُوٌّ عَاقِلٌ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقٍ جَاهِلٍ * عُسْرُ ٱلْمَرْءِ مُقَدِّمُ ٱلْيُسْرِ * عُقُوبَةُ ٱلظَّالِمِ سُرْعَةُ ٱلْمَوْتِ * عَقِيبُ كُلِّ لَيْلٍ يَوْمٌ

ٱلْغَيْنُ

غَنِمَ مَنْ سَلِمَ * غَلَا قَدْرُ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ * غَمْرَةُ ٱلْمَوْتِ أَهْوَنُ مِنْ مُجَالَسَةِ مَنْ لَا يَهْوَاهُ قَلْبُكَ * غُلَامٌ عَاقِلٌ خَيْرٌ مِنْ شَيْخٍ جَاهِلٍ * غَابَ حَظُّ مَنْ غَابَ نَفْسُهُ * غَلَا قَدْرُ ٱلْمُتَّقِينَ * غَدَرَكَ مَنْ دَلَّكَ عَلَى ٱلْإِسَاءَةِ * غَشَّكَ مَنْ أَسْخَطَكَ بِٱلْبَاطِلِ * غَنِيمَةُ ٱلْمُؤْمِنِ وِجْدَانُ ٱلْحِكْمَةِ

اَلْفَاءُ

فَازَ مَنْ ظَفِرَ بِالدِّينِ * فَخْرُ الْمَرْءِ بِفَضْلِهِ أَوْلَى مِنْ فَخْرِهِ بِأَصْلِهِ * فَازَ مَنْ سَلِمَ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ * فِعْلُ الْمَرْءِ يَدُلُّ عَلَى أَصْلِهِ * فَرْعُ الشَّيْءِ يُخْبِرُ عَنْ أَصْلِهِ * فِي كُلِّ قَلْبٍ شُغْلٌ * فَسَدَتْ نِعْمَةُ مَنْ كَفَرَهَا

اَلْقَافُ

قَوْلُ الْمَرْءِ يُخْبِرُ عَمَّا فِي قَلْبِهِ * قَبُولُ الْحَقِّ مِنَ الدِّينِ * قُوَّةُ الْقَلْبِ مِنْ صِحَّةِ الْإِيمَانِ * قَاتِلُ الْحَرِيصِ حِرْصُهُ * قَدْرٌ فِي الْعَمَلِ نَجٌّ مِنَ الزَّلَلِ * قِيمَةُ الْمَرْءِ مَا يُحْسِنُهُ * قَرِينُ الْمَرْءِ دَلِيلُ دِينِهِ * قُرْبُ الْأَشْرَارِ مَضَرَّةٌ * قَسْوَةُ الْقَلْبِ مِنَ الشِّبَعِ

اَلْكَافُ

كَلَامُ اللهِ دَوَاءُ الْقَلْبِ * كَفَى بِالشَّيْبِ دَاءً * كَفَى لِلْحَسُودِ حَسَدُهُ * كَمَالُ الْعِلْمِ فِي الْحِلْمِ * كَفَاكَ هَمّاً عِلْمُكَ بِالْمَوْتِ * كَمَالُ الْجُودِ الْاِعْتِذَارُ * كَفَى بِالشَّيْبِ نَاعِياً

اَللَّامُ

لِينُ الْكَلَامِ قَيْدُ الْقُلُوبِ * لِيِّنْ قَلْبَكَ تُحَبَّ * لَيْسَ الشَّيْبُ بِالْعُمْرِ * لَيْسَ لِلْحَسُودِ رَاحَةٌ * لَيْسَ لِسُلْطَانِ الْعِلْمِ زَوَالٌ * لِكُلِّ

عَدَاوَةٌ مَصْلَحَةٌ إِلَّا لِعَدَاوَةِ ٱلْحَسُودِ * لَوْ رَأَى ٱلْعَبْدُ ٱلْأَجَلَ وَمُرُورَهُ لَأَبْغَضَ ٱلْعَمَلَ وَغُرُورَهُ

ٱلْمِيمُ

مَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ طَالَتْ هُمُومُهُ * مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ مَلَامُهُ * مَشْرَبُ ٱلْعَذْبِ مُزْدَحَمٌ * مَهْلَكَةُ ٱلْمَرْءِ حِدَّةُ طَبْعِهِ * مَا نَدِمَ مَنْ سَكَتَ * مَجَالِسُ ٱلْكِرَامِ حُصُونُ ٱلْكَلَامِ * مَنْقَبَةُ ٱلْمَرْءِ تَحْتَ لِسَانِهِ * مُجَالَسَةُ ٱلْأَحْدَاثِ مَفْسَدَةُ ٱلدِّينِ

ٱلنُّونُ

نُورُ ٱلْمُؤْمِنِ قِيَامُ ٱللَّيْلِ * نِسْيَانُ ٱلْمَوْتِ صَدَأُ ٱلْقَلْبِ * نُعِيتَ إِلَى نَفْسِكَ حِينَ شَابَ رَأْسُكَ * نَمْ آمِنًا تَكُنْ فِي أَمْهَدِ ٱلْفَرْشِ * نَيْلُ ٱلْمُنَى فِي ٱلْغِنَى * نُورُ شَيْبِكَ لَا تُظْلِمْهُ بِٱلْمَعْصِيَةِ * نَضْرَةُ وَجْهِ ٱلْمُؤْمِنِ فِي ٱلتُّقَى * نَضْرَةُ ٱلْوَجْهِ فِي ٱلصِّدْقِ

ٱلْهَاءُ

هُمُومُ ٱلْمَرْءِ بِقَدْرِ هِمَمِهِ * هَمُّ ٱلسَّعِيدِ آخِرَتُهُ وَهَمُّ ٱلشَّقِيِّ دُنْيَاهُ * هَلَاكُ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلْعُجْبِ * هَرَبُكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنْفَعُ مِنْ هَرَبِكَ مِنَ ٱلْأَسَدِ * هَشَمَ ٱلثَّرِيدَ غَيْرُ آكِلِهِ * هَلَكَ ٱلْحَرِيصُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ * هِمَّةُ ٱلْمَرْءِ قِيمَتُهُ * هَاتِ مَا عِنْدَكَ تُعْرَفْ بِهِ

ٱلْوَاوُ

وَضْعُ ٱلْإِحْسَانِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ظُلْمٌ * وِزْرُ صَدَقَةِ ٱلْمَنَّانِ أَكْثَرُ مِنْ أَجْرِهِ * وِلَايَةُ ٱلْأَحْمَقِ سَرِيعَةُ ٱلزَّوَالِ * وَحْدَةُ ٱلْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ ٱلسُّوءِ * وَلِيُّ ٱلطِّفْلِ مَرْزُوقٌ

ٱلْأَلِفُ وَٱللَّامُ

لَا فَقْرَ لِلْعَاقِلِ * لَا كَرَامَةَ لِلْكَاذِبِ * لَا رَاحَةَ لِلْحَسُودِ * لَا غَمَّ لِلْقَانِعِ * لَا غِنَى لِمَنْ لَا فَضْلَ لَهُ

ٱلْيَاءُ

يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ * يَعْمَلُ ٱلنَّمَّامُ فِي سَاعَةٍ فِتْنَةَ أَشْهُرٍ * يَطْلُبُكَ ٱلرِّزْقُ كَمَا تَطْلُبُهُ * يَأْمَنُ ٱلْخَائِفُ إِذَا وَصَلَ إِلَى مَا خَافَهُ * يَبْلُغُ ٱلْمَرْءُ بِٱلصِّدْقِ إِلَى مَنَازِلِ ٱلْكِبَارِ * يَسُودُ ٱلْمَرْءُ قَوْمَهُ بِٱلْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ * يَأْسُ ٱلْقَلْبِ رَاحَةُ ٱلنَّفْسِ * يَسْعَدُ ٱلرَّجُلُ بِمُصَاحَبَةِ ٱلسَّعِيدِ

أَمْثَالٌ لَهُ أَيْضًا

ٱلْأَلِفُ

الحزم بضاعة التواني إضاعة * الصيانة راس المروءة * العمر أنفاس معدودة * الحق سيف قاطع * العجب عنوان الحماقة * الحسد راس العيوب *

التدبير نصف المعونة * القلب خازن اللسان * الصمت وقارٌ وسلامة * الجوع انفع الدواء الشبع يكثر الداء * المرء ابن ساعته * الغضب نار القلوب * البخيل خازن ورثته * الاحسان يسترق الانسان * البشاشة حبال المودّة * الارتقاء الى الفضائل صعبٌ. الانحطاط الى الرذائل سهلٌ * السكوت عن الاحمق جوابهُ * الأمور المنتظمة يفسدها الخلاف * الاشتغال بالفائت تضييع الوقت * انفعُ المواعظ ما ردع * الدنيا سمٌّ آكلهُ من لا يعرفهُ * الغنى في الغربة وطنٌ. الفقر في الوطن غربةٌ * المال يوسع الآمال ويفسد الاعمال * المحسن حيٌّ وان نُقل الى منازل الاموات * المعروف كنزٌ فانظرْ عند من تودعهُ * الشركة في المُلك تؤدّي الى الاضطراب. الشركة في الراي تؤدّي الى الصواب * اخوان الدين ابقى مودّة * اخوان الدنيا تنقطع مودّتهم لانقطاع اسبابها * العاقل اذا سكت فكر. واذا نطق ذكر. واذا نظر اعتبر * الداعي بلا عمل كالقوس بلا وتر * الحسد داءٌ عياءٌ لا يزول الّا بهلاك الحاسد او موت المحسود * إعجاب الرجل بنفسهِ عنوان ضعف عقلهِ * ايّاك وحبَّ الدنيا فانها راس كل خطيّة ومعدن كل بليّة * ايّاك وصاحب السوء فانهُ كالسيف المسلول على صاحبهِ * ايّاك والحسدَ فانهُ يؤثّر فيك ولا يؤثّر في عدوّك * ايّاك والعجلة فانها عنوان الفوْت والندم * ايّاك ان تمدح احدًا بما ليس فيهِ فان فعلهُ تصديق عن وصفهِ * اعظم البلاء انقطاع الرجاء * احسنُ الجُود عفوٌ بعد مقدرة

اَلْبَاءُ

بذكر الله تُستنزَل الرحمة * بالعلم يستقيم المعوّج * بركوب الأهوال تُكتسب الأموال * بالعمل يُحصَّل الثواب لا بالكسل * بئسَ القلادة قلادة الدين * بئسَ القرينُ الغضبُ يُبدي المعايب ويُدني الشرّ ويباعد الخير

اَلتَّاءُ

تواضعْ لربّك يرفعك. تقرّب الى الله بطاعتهِ يزلفك * تجرّعك الغصّة

يظفرك بالفرصة * تاج الملك عدلهُ * تكلّموا تُعرَفوا فان المرء مخبوء تحت لسانهِ * تفكَّرْ قبل ان تعزِم. وشاوِرْ قبل ان تقدُم . ودبّر قبل ان تهجِم * تعلَّم العلم فانهُ ان كنت غنيًّا زانك وان كنت فقيرًا مانك * تسربل الحياء وادَّرِع الوفاء واحفظ الحياء * تزوّدوا في ايّام الفناء لايّام البقاء * توقّوا كثرة الكلام فان الكلام يضرُّ خطاؤُه كما ينفع صوابهُ * تُعرَف حماقة الرجل في اثنتين كلامهُ في ما لا يعنيهِ وجوابهُ عمّا لا يُسأَل عنهُ

أَلثَّاء

ثمرة التفريط ندامة. ثمرة الخطإِ ملامةٌ * ثوب التُّقى اشرف الملابس * ثيابك على غيرك ابقى لك منها عليك * ثواب الآخرة ينسي مشقَّة الدنيا * ثروة العلم تنجي وتُبقي وثروة المال تهلك وتُفني * ثروة العاقل في علمهِ وثروة الباطل في مالهِ * ثلاثة يُمتحَن بهنّ عقل الرجال المالُ والولاية والمصيبة * ثلاثٌ هنَّ المحرقات الموبقاتُ . فراق الاحبَّة والفقر بعد الغنى والذلُّ بعد عزّ * ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة ابدًا . العاقل من الجاهل والبَرُّ من الفاجر والكريم من اللئيم * ثلاثٌ هنَّ زينة المؤمن . تقوى الله والصدق في الحديث وأداء الامانة * ثلاثٌ توجبنَ المحبَّة . الدِّينُ والتواضع والسخاء * ثلاثٌ هنَّ جماع المروءة . عطاء من غير مسألة ووفاء من غير عهدٍ وجودٌ مع اقلال

أَلجيمُ

جود الفقير يجلهُ وبخل الغني يذلُّهُ * جارُ السوء اشدُّ البلاء واعظم الضرَّاء * جمال الرجل وقارهُ * جمال العبد طاعتهُ * جهاد النفس افضل الجهاد * جهلُ المشير هلاك المستشير * جميل المقصد يدلُّ على طهارة المولد * جناية الكلام اشدُّ من جناية الكِلام * جالِسْ اهل العلم والحكمة وأَكثِر منافثتهم فانك ان كنت جاهلًا علَّموك وان كنت عالمًا ازددت علمًا

ألحاء

حسنُ الصورة اوّل السعادة * حسنُ الأدب يستر قبح النَّسب * حسنُ السياسة تستديم الرياسة * حبُّ الدنيا راس كل خطيّة * حلاوة الآخرة تُذهِب مرارة الدنيا * حدُّ اللسان يقطع الأوصال

ألخاء

خير الثناء ما جرى على السنة الاخيار * خير الدنيا حسرةٌ وشرُّها ندمٌ * خير الصدقة اخفاؤُها * خير الامراء من كان على نفسهِ اميرًا * خلوُّ القلب من التقوى يملأهُ من غرور الدنيا * خذ الحكمة ممَّن اتاك بها وانظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال * خصلتان فيهما جميع المروءة . اجتناب الرجل ما يشينهُ واكتسابهُ ما يزينهُ * خمسةٌ ينبغي ان يُهانوا . الداخل بين اثنين لم يُدخِلاهُ بينهما في امرهما والجالس في المجالس التي لا يستحقها والمتأمّر على صاحب البيت في بيتهِ والمتقدّم على مائدة لم يُدعَ اليها والمُقبِل بحديثهِ على غير مستمع

ألدَّال

دولة الكريم تظهر مناقبهُ . دولة اللئيم تهدي معايبهُ * درهم ينفع خيرٌ من دينارٍ يصرع * درهم الفقير ازكى عند الله من دينار الغني * دارُ الوفاء لا تخلو من كريمٍ ولا يستقرُّ بها لئيمٌ * دارِ الناسَ تأمن غوائلهم وتسلم من مكايدهم * دع ما لا يعنيك واشتغل بمهمّك الذي ينجيك * دوام الفتن من اعظم المحن * دوام الظلم يجلب النقم ويسلب النعم * دوام العافية اهنأُ عطيّةٍ وافضل قسمٍ * دوام الغفلة تعمي البصيرة * داروا الغضب بالصَّمت والشهوة بالعقل

ألذَّال

ذكر الله جلاء الصدور وطمانينة القلوب * ذكر الله تنبيهٌ من الغفلة ونورٌ من الظلمة * ذو المعروف محبوب السيادة ومشكور العبادة * ذو الشرف

لا تبطرهُ منزلةٌ نالها وان عظمت كالجبل الذي لا تزعزعهُ الرياح . والدنيء تبطرهُ ادنى منزلةٍ كالكلاء الذي يحرّكهُ مرُّ النسيم * ذوو العيوب يحبون اشاعة معايب الناس ليتسع لهم العذر في معايبهم * ذكر الله ينير البصائر ويؤنس الضمائر * ذَرِ الاسراف مقتصدًا واذكر في اليوم غدًا * ذروة الغايات لا ينالها الاّ ذوو المجاهدات

ألرّاء

راس الايمان الصدق * راس الحكمة لزوم الحق * راس العيوب الحقد * راس الفضائل مَلْك الغضب والشهوة * رُبَّ عطبٍ تحت طلبٍ * رُبَّ سكوتٍ ابلغ من كلامٍ * ردع الغضب بالحلم ثمرة العلم * راكب الظلم يكبو به مركبهُ

ألزّاي

زلّة العالم كانكسار السفينة تغرق وتُغرق معها غيرها * زلّة اللسان انكأ من اصابة السنان * زلّة القدم تدمي . زلّة اللسان تردي * زيادة الفعل على القول فضيلةٌ . ونقصُ الفعل عن القول رذيلةٌ * زخارف الدنيا تفسد العقول الضعيفة * زينُ المصاحبة الاحتمال

ألسّينُ

سبب البغض الحسد * سبب السلامة الصمت * سلاح الكرام ترادف الانعام . سلاح اللئام قبح الكلام * سلاح المؤمن الدعاء * سلطان الجاهل يبدي معايبهُ . سلطان العاقل يظهر مناقبهُ * سامع هجر القول شريك القائل * سياسة النفس افضل سياسة . ورياسة العلم اشرف رياسة * سياسة العدل ثلاثةٌ . رقّةٌ في حزمٍ واستقصاء في عدلٍ وإفضالٌ في قصدٍ * سرور المؤمن بطاعة ربهِ وحزنهُ في ذنبهِ * سل عن الرفيق قبل الطريق * سل عن الجار قبل الدار * ساعٍ سريعٍ نجا . وطالبٌ بطيءٌ رجا * سهر الليل ربيع الاولياء وغنيمة السعداء

الشين

شكر المؤمن يظهر في عمله. وشكر المنافق لا يتجاوز لسانه * شرّ الاموال ما اكتسب الآثام * شر ما صحب المرء الحسدُ * شر الوزراء من كان للاشرار وزيرًا * شر الثناء ما جرى على السنة الاشرار * شر الناس من لا يبالي ان يراهُ الناس مسيئًا * شر الولاة من خافهُ البريء * شر الفقر المُنى * شر الناس من لا يُرجى خيرهُ ولا يُؤمَن شرّهُ * شرُّ الناس من يعين على المظلوم وينصر الظالم * شاور قبل ان تعزم وفكّر قبل ان تقدُم * شيئان لا يُعرَف فضلهما الاّ من فقدِهما الشبابُ والعافية * شيئان هما ملاك الدين الصدق واليقين

الصاد

صحّة الدنيا سَقَمٌ ولذّتها ألَمٌ * صواب الراي يؤمن الزَّلَل * صواب الجاهل كالزلّة من العاقل * صاحب السلطان كراكب الاسد * صديق الجاهل مُعرَّض للعطَب * صديق كل احد عقلهُ وعدوّهُ جهلهُ * صديقك من نهاك وعدوُّك من أغراك * صنْ ايمانك من الشكّ فان الشكَّ يفسد الايمان كما يفسد الملحُ العسَلَ * صنْ دِينك بدُنياك تربحهما ولا تبذِّل دينك لصيانة دُنياك فتخسرهما * صمتٌ يُعقِبك السلامة خيرٌ من نطق يُعقِبك الملامة * صمتك حتى تُستنطَق اجل من نُطقك حتى تُسكَّت * صيام النفس عن لذّات الدنيا افضل الصيام * صدر العاقل صندوق سرّهِ

الضاد

ضرورات الاحوال تذلُّ رقاب الرجال * ضرورات الاحوال تحمل على ركوب الاهوال * ضالّة العاقل الحكمةُ يطلبها حيث كانت * ضالّة الجاهل غير موجودة * ضعفُ الدين يولّد العثار. ضعف الراي يولّد الدمار * ضعف الصبر يبلبل الراي ويضاعف المصيبة ويحبط الأجر * ضيم الكرام احسن من اكرام اللئام * ضع فخرك واحطط كبرك واذكر قبرك فان عليهِ ممرّك وكما تزرع

تحصد وكما تدين تُدان وكما قدّمت اليوم تُقدّم عليهِ غدًا * ضرارة الفقر تبعث على قبيح الامر * ضعف اليقين يفسد الدين * ضعف البصر لا يضرُّ مع استنارة البصيرة * ضرب الرّقاب أهون من التدلّس بالمُعاب * ضيام العقول في طلب الفُضول * ضياع الاعمار في غرور الآمال

أَلطَّاءُ

طوبى لمن شغل قلبهُ بالفكر ولسانهُ بالذكر * طوبى لكل نادم على زلّتهِ مستدرك فارط عثرتهِ * طوبى لمن غلب نفسهُ ولم تغلبهُ وملك هواهُ ولم يملكهُ * طوبى لمن كظم غيظهُ ولم يُطلقهُ وعصى إمرة نفسهِ ولم تهلكهُ * طوبى لمن خلا من الغلّ صدرهُ وسلم من الغش قلبهُ * طوبى لمن دارك الهدى قبل ان تُغلق ابوابهُ وتنقطع اسبابهُ * طلب الثناء بغير استحقاق خُرْقٌ * طعن اللسان امضُّ من جرح السنان

أَلظَّاءُ

ظنُّ العاقل اصحُّ من يقين الجاهل * ظفر الكريم عفوٌ واحسانٌ واحسام. ظفر اللئيم تجبُّرٌ وطغيانٌ وانتقام * ظفرَ الشيطان بمن غلبهُ غضبهُ * ظفر الهوى بمن انقاد لشهوتهِ * ظلمُ الضعف افحش الظلم * ظلمُ الاحسان قبيح الامتنان * ظلمُ السخاء منعُ العطاء * ظلمَ المعروف من وضعهُ في غير اهلهِ * ظلمَ نفسهُ من رضي بدار الفناء عوضًا عن دار البقاء * ظرفُ الرجل تنزُّههُ عن المحارم ومبادرتهُ الى المكارم * ظفرَ بفرحة البشرى مَنْ اعرض عن زخارف الدنيا

أَلْعَيْنُ

عليك بالحكمة فانها حليةٌ فاخرة * عليك بالمشاورة فانها آية الحزم * عليك بالرضى في الشدّة والرخاء. عليك بالشكر في السرّاء * عليك بالأدب فانهُ زينُ الحسب * عليك بالبشاشة فانها حبالة المحبة * عليك بإخوان

الصفاء فانهم زينةٌ في الرخاء وعونٌ في البلاء * عند تناهي الشدّة يكون الفرَج * عند نزول الشدّة تظهر الفضائل * عند الامتحان يُكرَم المرء او يُهان * عند الحيرة تُستكشف عقول الرجال * عند حضور الآجال ظهور خيبة الآمال * عجبت لغافلٍ والموت يطلبهُ * عجبت لمن يظلم نفسهُ كيف ينصف غيرهُ * عجبت لمن يجهل نفسهُ كيف يعرف ربهّ * علمٌ بلا عمل كقوس بلا وتر * عذّب حسّادك بالاحسان اليهم واصلحْ اعداءك بالتفضّل عليهم * عداوة العاقل خيرٌ من صداقة الجاهل * عظمُ الجسد وطوله لا ينفع اذا كان القلب خاويًا * عار لفضيحة يكدّر اللذّة * عين المحبّ عميّةٌ عن عيب المحبوب واذنهُ صمّاء عن قبيح ما يسمع فيه * عداوة الاقارب امسُّ من لسع العقارب

الغين

غاية المعرفة ان يعرف المرء نفسهُ * غاية العدل ان يعدل الانسان في نفسهِ * غنى المؤمن بالله * غير مدرك الدرجات من اطاع العادات * غنى العاقل في حكمتهِ . غنى الجاهل في قنيتهِ * غذاء الدنيا سمٌّ واسبابها رمامٌ * غائب الموت اقربُ قادمٍ * غضب الملوك رسول الموت

الفاء

في الذكر حياة القلوب . في رضى الله نيل المطلوب * في القناعة يكون الغنى . في الحرص يكون العناء * في تصاريف الاحوال تُعلَم جواهر الرجال . في غرور الآمال يكون انقضاء الآجال * في الشدّة تبيّن مودّة الصّديق . في الصدق تظهر حسن مواساة الصّديق * في شكر النّعم دوامها . في كفر النّعم زوالها * في الدنيا عملٌ ولا حساب . في الآخرة الحساب ولا عملٌ * في الاستشارة عين الهداية * فقد البصر اهوَن من فقد البصيرة * فقدُ النفس شرُّ الفقر * فساد الحياء الكذب * فاقة الكريم احسن من غنى اللئيم

ألقَافُ

قد يزلُّ الحكيم. قد يرهق الحكيم * قد يتزيّى بالحلم غير الحكيم. قد يقول الحكمة غير الحكيم * قليلٌ من الاخوان من ينصف * قلة الاكل تمنع كثيرًا من اعلال الجسم * قلّة الكلام تستر العوار وتؤمن العثار * قلب الاحمق في فيهِ ولسان العاقل وراء قلبهِ * قل الحقّ وإن كان عليك * قليل الحق يدفع كثير الباطل كما ان قليل النار يحرق كثير الحطب * قليلٌ يكفي خيرٌ من كثيرٍ يطغي * قوّم لسانك تسلم * قرين الشهوة مريض النفس معلول العقل

أَلْكَافُ

كلُّ طامعٍ اسيرٌ. كلُّ حريصٍ فقيرٌ * كل طيرٍ يأوي الى شكلهِ * كل شيء من الدنيا سماعهُ اعظم من عيانهِ * كل وعاءٍ يضيق بما جُعِل فيهِ الاَّ العلم فانهُ يتّسع * كم من حزينٍ وفد بهِ حزنهُ على سرور الابد * كم من فرحٍ وفد بهِ فرحهُ على حزنٍ مخلّد * كيف يتفرّغ لعمل الآخرة المشغول القلب بالدنيا * كيف ينجو من الله هاربهُ. كيف يسلم من الموت طالبهُ * كيف يهدي غيرهُ من يضلُّ نفسهُ * كفاك موبخًا على الكذب علمك انك كاذب * كن قنعًا تكن غنيًا. كن متوكلاً تكن قويًا * كن للمظلوم عونًا وللظالم خصمًا * كن عالمًا ناطقًا او مستمعًا واعيًا * كن صموتًا فان الصمت زينة العالم وسترُ الجاهل * كن من الكريم على حذرٍ ان اهنتهُ ومن اللئيم ان اكرمتهُ * كلام الرجل ميزان عقلهِ * كل علمٍ لا يؤيّدهُ عقلٌ مضلّةٌ. كل عزٍّ لا يؤيّدهُ دينٌ مذلّةٌ * كل يومٍ يسوق الى غدهِ * كيف يرضى بالقضاء من سكن قلبهُ حبّ الدنيا

أَللاَّمُ

لكل حيٍّ داءٌ . لكل علّةٍ دواءٌ * لكل امرٍ عاقبةٌ حلوةٌ او مرّةٌ * لن يفيد الادب حتى يقارنهُ العقل . لن يجدي القول حتى يتّصل بالفعل * لن ينجو من الموت غنيٌّ بكثرة مالهِ . لن يسلم من الموت فقيرٌ لقلالهِ * ليس من عادة الكرام

تأخير الانعام . ليس من عادة الاشراف تعجيل الانتقام * لم يكتسب مالاً من لم يصلحهُ * لم يأمرك الله الاّ بحسنٍ ولم ينهك الاّ عن قبيحٍ * للباطل دولةٌ وللحق دولةٌ * لسان الجاهل مفتاح حتفهِ * للعاقل في كل عمل احسانٌ. للجاهل في كل حالةٍ خسرانٌ * للشدائد تُذخَر الرجال

اَلميمُ

مَن عمل بالحق غنمَ . من ركب الباطل ندمَ * من تكبّر في سلطانهِ صغّرهُ. من منّ باحسانهِ كدّرهُ * من استشار العاقل ملك . من استبدّ برايهِ هلك * من اكرم نفسهُ اهانتهُ . من وثق بنفسهِ خانتهُ * من خادع الله خُدِع * مَن ظلم يتيمًا عقّ اولادهُ . من بغى نصر اضدادهُ * من استنصحك فلا تغشّهُ . من وعظك فلا تُوحِشهُ * من ندم فقد تاب * من اطاع نفسهُ قتلها . من عصى نفسهُ وصلها * مِن حقّ الراعي ان يختار لرعيّتهِ ما يختارهُ لنفسهِ * من حقّ الملك ان يسود نفسهُ قبل جندهِ * من حق العاقل ان يقهر هواهُ قبل ضدّهِ * من حق العاقل ان يعدّ سوء عملهِ وسيرتهِ من شقاوتهِ ونحسهِ * من كنوز الايمان الصبر على المصائب * من طبائع الجهّال التسرّع الى الغضب في كل حال * من اعظم الشقاوة القساوة . من اقبح الشيَم الغباوة * ما حقر نفسهُ الاّ عاقلٌ . ما اعجب برايهِ الاّ جاهلٌ * ما مات من احيا علمًا * ما آمن بالله من سكن الشكُّ قلبهُ * مجالسة الابرار توجب الشرَف . مصاحبة الاشرار توجب التّلَف * مرارة الدنيا حلاوة الآخرة

اَلنونُ

نِعمَ قرينُ السخاء الحياء * نِعمَ الحاجز عن المعاصي الخوف * نِعمَ الطارد للهمّ الرضا بالقضاء * نومٌ على يقينٍ خيرٌ من صلاةٍ في شكٍّ * نظرُ البصر لا يجدي اذا عميت البصيرة * نظام الكَرَم خصلتان انصافك من نفسك ومواساة اخوانك * نفاق المرء من ذلٍّ يجدهُ في نفسهِ

ألهاء

هلك من ادّعى وخاب من افترى * هلك امرؤٌ لا يعرف قدرهُ * هيهات من نيل السعادة السكون الى الهُوينا والبطالة * هانت عليهِ نفسهُ من امرَّ عليهِ لسانهُ * هواك اعدى عليك من كل عدوٍّ فاغلبهُ والّا اهلكك

ألواو

ويحَ ابن آدم ما اجهلهُ وعن رشدِهِ ما اغفلهُ * وقّروا كباركم توقّركم صغاركم * وقار الشيب اجمل من نضارة الشباب * وافد الموت يقطع العمل ويفضح الامل * ودُّ ابناء الدنيا يدوم بدوام سببهِ وينقطع بانقطاع سببهِ * ورَع المؤمن في عملهِ وورَع المنافق على لسانهِ * ويحَ الحسد ما اعدلهُ بدأ بصاحبهِ فقتلهُ

ما وردَ بلفظِ لا ألنَّهي

لا تثقنَّ بعهد من لا دين لهُ * لا تخُننَّ ودَّك من لا وفاء لهُ * لا تصحبنَّ من لا عقل لهُ * لا تودعنَّ سرَّك من لا امانة لهُ * لا تزهدنَّ في شيءٍ حتى تعرفهُ * لا تسأل من تخاف منعهُ * لا تغالب من لا تقدر على دفعهِ * لا تعِد ما تعجز عن الوفاء بهِ * لا تعزم على ما لم تستوضح الرشد فيهِ * لا تعامل من لا تقدر على الانتصاف منهُ * لا تعدَّنَّ شرًّا ما ادركت بهِ خيرًا . لا تعدنَّ خيرًا ما ادركت بهِ شرًّا * لا تتكلم بكل ما تعلم فكفى بهِ جهلاً * لا تفسد ما يعنيك اصلاحهُ . لا تغلق بابًا يعجزك افتتاحهُ * لا تُبدِ عن واضحةٍ وقد فعلت الامور الفاضحة * لا تقطع صديقًا وان كفر . لا تأمن عدوًّا ولو شكر * لا تشاور عدوَّك واستر خبرك * لا تثق بمن يذيع سرَّك * لا تستصغرْ عدوًّا وان ضعف * لا تشتغل بما لا يعنيك . ولا تتكلَّف فوق ما يكفيك . واجعل همَّك لما ينجيك * لا يسترقَّك الطمع وكن عزوفًا . لا تمنع المعروف وان لم تجد عروفًا * لا تمازح الشريف فيحقد عليك * لا يغلبنَّ غضبك حلمك . لا يبعدنَّ هواك علمك * لا تفعل ما يشين العرض

والاسم * لا تضع من رفعتهُ التقوى . لا ترفع من رفعتهُ الدنيا * لا تقُل ما ثقل وزرك . لا تفعل ما يضع قدرك * لا تثق بالصديق قبل الخبرة . لا توقع بالعدوّ قبل القدرة * لا تنافس في مواهب الدنيا فان مواهبها حقيرة * لا تندمنّ على عفوٍ ولا تبهجنّ بعقوبةٍ * لا تكثرنّ الدخول على الملوك فانك ان صحبتهم ملّوك وان نصحتهم غشّوك * لا تصحبنّ ابناء الدنيا فانك ان اقللت استقلّوك وان اكثرت حسدوك * لا تصحب الاّ عاقلاً تقيًّا . ولا تخالط الاّ عالمًا زكيًّا . ولا تُودع سرّك الاّ مؤمنًا وفيًّا * لا يسعد امرؤٌ الاّ بطاعة الله ولا يشقى الاّ بمعصية الله * لا يأمن احد من صروف الزمان ولا يسلم من نوائب الايّام * لا تقوم حلاوة اللذّات بمرارة الآفات

ألياء

ينبغي لمن عرف دار الفناء ان يعمل لدار البقاء * ينبغي لمن عرف نفسهُ ان لا يفارقهُ الحزن والحذَر * ينبغي للعاقل ان يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب المريض * ينبغي للعاقل ان يحترس من سكر المال وسكر القدرة وسكر العلم وسكر المدح وسكر الشباب فان لكلٍّ من ذلك ريحًا خبيثةً تسلب العقل وتستخفّ الوقار * يُستدَلّ على إدبار الدُّوَل باربعٍ تضييع الاصول والتمسّك بالفروع وتقديم الاراذل وتاخير الافاضل * يُستدَل على الإدبار باربعٍ سوء التدبير وقبح التبذير وقلة الاعتبار وكثرة الاغترار * يُستدَلّ على المروءة بكثرة الحياء وبذل النداء وكفّ الاذى * يسير العطاء احسن من التعلّل بالاعتذار * يحتاج الشرف الى التواضع * يتفاضل الناس بالعلوم والعقول لا بالاموال والأصول * يبلغ الصادق بصدقهِ ما لا يبلغهُ الكاذب باحتيالهِ * يوم المظلوم على الظالم اشدُّ من يوم الظالم على المظلوم

القسم السابع

أشعار

لاميّة ابن الوردي

اعتزلْ ذكر الاغاني والغزلْ … وقلِ الفصلَ وجانب من هزلْ

ودعِ الذكرى لأيام الصبا … فلأيام الصبا نجمٌ أفلْ

انّ اهنى عيشةٍ قضّيتها … ذهبت لذّاتها والإثمُ حلْ

واتقِ الله فتقوى الله ما … جاورت قلب امرئٍ الّا وصلْ

ليس من يقطعُ طرقاً بطلاً … انما من يتّقي الله البطلْ

حارت الافكار في قدرة من … قد هدانا سبلنا عزّ وجلْ

كُتِبَ الموت على الخلق فكم … فلّ من جمعٍ وافنى من دُوَلْ

اين نمرودٌ وكنعان ومن … ملكَ الارض وولّى وعزلْ

اين عادٌ اين فرعون ومن … رفع الاهرام من يسمع يخلْ

اين من شادوا وسادوا وبنوا … هلكَ الكل فلم تغنِ القُلَلْ

اين ارباب الحجى اهل النهى … اين اهل العلم والقوم الأُوَلْ

سيعيدُ الله كلّاً منهمُ … وسيجزي فاعلاً ما قد فعلْ

اي بُنيّ اسمع وصايا جمعت … حِكماً خُصّت بها خير المللْ

اطلب العلمَ ولا تكسل فما … ابعدَ الخيراتِ عن اهل الكسلْ

واهجر النوم وحصّله فمن … يعرف المطلوب يحقر ما بذلْ

لا تقل قد ذهبت اربابهُ … كل من سار على الدرب وصلْ

وجمال العلم اصلاح العمل	في ازدياد العلم ارغام العدى
يحرم الاعراب في النطق اختبل	جمّل الاعراب بالنحو فمن
فاطّراح الرفد في الدنيا اقل	انظم الشعر ولازم مذهبي
احسن الشعر اذا لم يبتذل	فهو عنوانٌ على الفضل وما
مقرفٍ او من على الاصل اتكل	مات اهل الفضل لم يبقَ سوى
قطعها اجمل من تلك القبل	انا لا اختار تقبيل يدٍ
رقّها او لا فيكفيني الخجل	ان جزتني عن مديحي صرت في
وامرّ اللفظ نطقي بلعل	اعذب الالفاظ قولي لك خذ
وعن البحر اجتزاء بالوشل	ملك كسرى تغني عنه كسرةٌ
تلقه حقًّا وبالحق نزل	اعتبر نحن قسمنا بينهم
لا ولا ما فات يومًا بالكسل	ليس ما يحوي الفتى من عزمه
تخفض العالي وتعلي من سفل	اطرح الدنيا فمن عاداتها
عيشة الجاهد بل هذا اذلّ	عيشة الزاهد في تحصيلها
وعليمٍ مات منها بالعلل	كم جهولٍ وهو مثرٍ مكثرٌ
وجبانٍ نال غايات الأمل	كم شجاعٍ لم ينل منها المنى
انما الحيلة في ترك الحيل	فاترك الحيلة فيها واتّئد
فرماها الله منه بالشلل	ايّ كفٍّ لم تفد مما تفد
انما اصل الفتى ما قد حصل	لا تقل اصلي وفصلي ابدًا
وبحسن السبك قد يُنفى الزّغل	قد يسود المرء من غير ابٍ
يطلع النرجس الّا من بصل	وكذا الورد من الشوك وما
اكثر الانسان منه او اقل	قيمة الانسان ما يحسنه
واكسب الفلس وحاسب من بطل	اكتم الامرين فقرًا وغنًى
صحبة الحمقى وارباب الخلل	وادّرع جدًّا وكدًّا واجتنب
فكلا هذين ان دامَ قتل	بين تبذيرٍ وبخلٍ رتبةٌ

لا تخضْ في سبِّ ساداتٍ مضَوا ... انهم ليسوا بأهلٍ للزللْ
وتغافلْ عن امورٍ انهُ ... لم يفزْ بالحمد الّا من غفلْ
ليس يخلو المرءُ من ضدٍّ ولو ... حاولَ العزلةَ في رأسِ جبلْ
مِلْ عن النمّام واهجرْهُ فما ... بلغَ المكروهَ الّا من نقلْ
دارِ جارَ الدّارِ ان جارَ وان ... لم تجدْ صبرًا فما أحلى النقلْ
جانبِ السُّلطانَ واحذرْ بطشَهُ ... لا تخاصمْ من اذا قال فعلْ
لا تلِي الحكمَ وإن هم سألوا ... رغبةً فيكَ وخالفْ من عذلْ
انّ نصفَ الناسِ اعداءٌ لمن ... وليَ الأحكامَ هذا ان عدلْ
فهْوَ كالمحبوسِ عن لذّاتِهِ ... وكِلا كفّيهِ في الحشرِ تُغلّْ
انّ للنقصِ والاستثقالِ في ... لفظةِ القاضي لوعظًا ومثلْ
لا تساوي لذّةُ الحكمِ بما ... ذاقهُ الشخصُ اذا الشخصُ انعزلْ
فالولاياتُ وانْ طابتْ لمن ... ذاقها فالسمُّ في ذاكَ العسلْ
قَصَبُ المَنصِبِ أوهى جسدي ... وعنائي من مداراةِ السفلْ
قصّرِ الآمالَ في الدنيا تفُزْ ... فدليلُ العقلِ تقصيرُ الأملْ
انّ من يطلبُهُ الموتُ على ... غرّةٍ منهُ جديرٌ بالوجلْ
غِبْ وزرْ غِبًّا تزدْ رغبًا فمن ... اكثرَ الترْدادَ اضناهُ الملَلْ
خذْ بحدِّ السيفِ واتركْ غمدَهُ ... واعتبرْ فضلَ الفتى دون الحُلَلْ
لا يضرُّ الفضلَ اقلالٌ كما ... لا يضرُّ الشمسَ اطباقُ الطفَلْ
حبُّكَ الاوطانَ عجزٌ ظاهرٌ ... فاغتربْ تلقَ عن الاهلِ بدلْ
فبمكثِ الماءِ يبقى آسنًا ... وسرى البدرِ بهِ البدرُ اكتملْ
ايها العائبُ قولي عبثًا ... انّ طيبَ الوردِ مؤذٍ بالجعلْ
عُدْ عن اسهمِ لفظي واستترْ ... لا يصيبنّكَ سهمٌ من ثُعَلْ
لا يغرّنّكَ لينٌ من فتى ... انّ للحيّاتِ لينًا يُعتزَلْ
انا مثلُ الماءِ سهلٌ سائغٌ ... ومتى سُخِّنَ آذى وقتلْ

في ازدياد العلم ارغام العدى وجمال العلم اصلاح العمل
جمل الاعراب بالنحو فمن يحرم الاعراب في النطق اختبل
انظم الشعر ولازم مذهبي فاطّراح الرفد في الدنيا اقل
فهو عنوانٌ على الفضل وما احسن الشعر اذا لم يبتذل
مات اهل الفضل لم يبقَ سوى مقرفٍ او من على الاصل اتكل
انا لا اختار تقبيل يدٍ قطعُها اجمل من تلك القبل
ان جزتني عن مديحي صرت في رقها او لا فيكفيني الخجل
اعذبُ الالفاظ قولي اك خذ وامرُّ اللفظ نطقي بلعلّ
ملك كسرى تغني عنهُ كسرةٌ وعن البحر اجتزاء بالوشل
اعتبرْ نحنُ قسمنا بينهم تلقهُ حقًّا وبالحق نزل
ليس ما يحوي الفتى من عزمهِ لا ولا ما فات يومًا بالكسل
اطرح الدنيا فمن عاداتها تخفض العالي وتعلي من سفل
عيشة الزاهد في تحصيلها عيشة الجاهد بل هذا اذلّ
كم جهولٍ وهوَ مثرٍ مكثرٌ وعليمٍ مات منها بالعلل
كم شجاعٍ لم ينل منها المنى وجبانٍ نال غايات الأمل
فاترك الحيلة فيها واتّئد انما الحيلة في ترك الحيل
ايُّ كفٍّ لم تفد مما تفد فرماها الله منهُ بالشلل
لا تقل اصلي وفصلي ابدًا انما اصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرء من غير ابٍ وبحسن السبك قد يُنفى الزغل
وكذا الورد من الشوك وما يطلع النرجس الّا من بصل
قيمة الانسان ما يحسنهُ اكثر الانسان منهُ او اقل
اكتم الامرين فقرًا وغنًى واكسب الفلس وحاسب من بطل
وادّرع جدًّا وكدًّا واجتنب صحبة الحمقى وارباب الخلل
بين تبذيرٍ وبخلٍ رتبةٌ فكلا هذين ان دام قتل

لا تخُضْ في سبِّ ساداتٍ مضَوا   انهم ليسوا بأهلٍ للزلَلْ

وتغافلْ عن امورٍ انّهُ   لم يفُز بالحمد الاَّ من غفَلْ

ليس يخلو المرء من ضدٍّ ولو   حاولَ العزلةَ في رأسِ جبلْ

مِلْ عن النمّام واهجُرْهُ فما   بلّغَ المكروهَ الاَّ من نقلْ

دارِ جارَ الدّار ان جارَ وان   لم تجِدْ صبرًا فما أحلى النقَلْ

جانبِ السُّلطان واحذَرْ بطشَهُ   لا تخاصمْ من اذا قال فعَلْ

لا تلي الحكمَ وإن هم سألوا   رغبةً فيكَ وخالِفْ من عذَلْ

انّ نصفَ الناس اعداءٌ لمن   ولِيَ الأحكام هذا ان عدَلْ

فهْوَ كالمحبوس عن لذّاتهِ   وكِلا كفّيهِ في الحشر تُغَلْ

انّ للنقص والاستثقال في   لفظة القاضي لوعظًا ومثَلْ

لا تساوي لذّةُ الحكمِ بما   ذاقها الشخصُ اذا الشخصُ انعزَلْ

فالولاياتُ وان طابت لمن   ذاقها فالسمُّ في ذاك العسَلْ

نَصَبُ المَنصِب أوهى جسدي   وعنائي من مداراة السفَلْ

قصّرِ الآمال في الدنيا تفُزْ   فدليل العقل تقصير الأمَلْ

انّ من يطلبهُ الموت على   غرّةٍ منهُ جديرٌ بالوجَلْ

غِبْ وزُرْ غِبًّا تزِد رغبًا فمَن   اكثرَ الترداد اضناهُ المَلَلْ

خذ بحدّ السيف واتركْ غمدهُ   واعتبرْ فضلَ الفتى دون الحُلَلْ

لا يضرُّ الفضلَ اقلالٌ كما   لا يضرُّ الشمسَ اطباقُ الطفَلْ

حبُّكَ الاوطانَ عجزٌ ظاهرٌ   فاغترِب تلقَ عن الاهل بدَلْ

فبمكثِ الماء يبقى آسنًا   وسرى البدر به البدر اكتمَلْ

ايها العائبُ قولي باعثًا   انّ طيب الورد مؤذٍ بالجُعَلْ

عُدَّ عن اسمٍ لفظي واستترْ   لا يصيبنّكَ سهمٌ من ثُعَلْ

لا يغرّنّكَ لينٌ من فتى   انّ للحيّات لينًا يُعتزَلْ

انا مثل الماء سهلٌ سائغٌ   ومتى سُخِّن آذى وقتَلْ

انا كالخيروز صعبٌ كسرهُ ... وهو لينٌ كيف ما شئت انفتلْ
غير اني في زمانٍ من يكن ... فيهِ ذا مالٍ هو المولى الاجلْ
واجبٌ عند الورى اكرامهُ ... وقليل المال فيهم مستقلْ
كلُّ اهل العصر غمرٌ وانا ... منهم فاتركْ تفاصيل الجُمَلْ

القصيدة الزينبيَّة

صرمتْ حبالك بعد وصلكَ زينبُ ... والدهر فيهِ تصرُّمٌ وتقلُّبُ
نشرتْ ذوائبها التي تزهو بها ... سودا ورأسك كالثغامة اشيبُ
واستنفرت لمَّا رأتك وطال ما ... كانت تحنُّ الى لقاك وترغبُ
فدع الصبا فلقد عداكَ زمانهُ ... وازهدْ فعمرك مرَّ منهُ الاطيبُ
ذهب الشباب فما لهُ من عودةٍ ... واتى المشيب فاين منهُ المهربُ
دع عنك ما قد كان في زمن الصبا ... واذكرْ ذنوبك وابكها يا مذنبُ
واذكرْ مناقشة الحساب فانهُ ... لا بدَّ يُحصَى ما جنيت ويُكتَبُ
لم ينسَهُ المَلَكان حين نسيتهُ ... بل اثبتاهُ وانت لاهٍ تلعبُ
والروح فيك وديعةٌ أُودعتها ... ستردُّها بالرغم منك وتسلبُ
وغرور دنياك التي تسعى لها ... دارٌ حقيقتها متاعٌ يذهبُ
والليل فاعلمْ والنهار كلاهما ... انفاسنا فيها تعدُّ وتُحسَبُ
وجميع ما خلَّفتهُ وجمعتهُ ... حقًّا يقينًا بعد موتك ينهبُ
تبًّا لدارٍ لا يدوم نعيمها ... ومشيدها عمَّا قليلٍ يخربُ
فاسمع هُديت نصيحةً أولاكها ... برٌّ نصوحٌ للانام مجرّبُ
صحبَ الزمان واهلهُ مستبصرًا ... ورأى الامور بما تؤوب وتعقبُ
لا تأمن الدهر الخؤون فانَّهُ ... ما زال قدمًا للرجال يؤدّبُ
وعواقب الأيام في غصَّاتها ... غصصٌ يذلُّ لها الاعزُّ الانجبُ

فعليك تقوى الله فالزمها تفز ... ان التقي هو البهي الاهيب

واعمل بطاعته تنل منه الرضا ... ان المطيع له لديه مقرب

فاقنع ففي بعض القناعة راحة ... واليأس عمّا فات فهو المطلب

فاذا طمعت كُسيت ثوب مذلة ... فلقد كُسي ثوب المذلة اشعب

وابدأ عدوك بالتحية ولتكن ... منه زمانك خائفاً تترقب

واحذره ان لاقيته متبسماً ... فالليث يبدو نابه اذ يغضب

انّ العدو وان تقادم عهده ... فالحقد باقٍ في الصدور مغيّب

واذا الصديق رايته متملقاً ... فهو العدو وحقه يتجنب

لا خير في ودّ امرئٍ متملقٍ ... حلو اللسان وقلبه يتلهب

يلقاك يحلف انه بك واثق ... واذا توارى عنك فهو العقرب

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب

وصِلِ الكرام وان جفوك بهفوة ... فالصفح عنهم بالتجاوز اصوب

واختر قرينك واصطفيه تفاخراً ... انّ القرين الى المقارن ينسب

انّ الغنيّ من الرجال مكرّم ... وتراه يُرجى ما لديه ويرهب

ويُبَشّ بالترحيب عند قدومه ... ويُقام عند سلامه ويقرّب

والفقر شين للرجال فانه ... حقاً يهون به الشريف الانسب

واخفض جناحك للاقارب كلهم ... بتذللٍ واسمح لهم ان اذنبوا

وذر الكذوب فلا يكن لك صاحباً ... ان الكذوب يشين خلاً يصحب

وزنِ الكلام اذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة في كل نادٍ تخطب

واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللسان ويعطب

والسرّ فاكتمه ولا تنطق به ... ان الزجاجة كسرها لا يشعب

وكذاك سرّ المرء ان لم يطوه ... نشرته السنة تزيد وتكذب

لا تحرصنْ فالحرص ليس بزائدٍ ... في الرزق بل يُشقي الحريص ويُتعب

ويظل ملهوفاً يروم تحيّلاً ... والرزق ليس بحيلة يُستجلب

كم عاجزٍ في الناس يأتي رزقهُ رغدًا ويحرمُ كيّسٌ ويخيّبُ
وارعَ الامانة والخيانة فاجتنب واعدل ولا تظلم بطيب المكسبُ
واذا اصابك نكبةٌ فاصبر لها من ذا رأيت مسلّمًا لا ينكبُ
واذا رُميت من الزمان بريبةٍ او نالك الامر الاشقُّ الاصعبُ
فاضرع لربك انهُ ادنى لمن يدعوهُ من حبل الوريد واقربُ
كن ما استطعت عن الانام بعزلِ ان الكثير من الورى لا يُصحَبُ
واحذر مصاحبة اللئيم فانهُ يعدي كما يعدي السليمَ الاجربُ
واحذر من المظلوم سهمًا صائبًا واعلمْ بان دعاءهُ لا يحجبُ
واذا رايت الرزق عزَّ ببلدةٍ وخشيت فيها ان يضيق المذهبُ
فارحل فارض الله واسعة الفضا طولًا وعرضًا شرقها والمغربُ
واذ نصحتك ان قبلتَ نصيحتي فالنصح اغلى ما يُباع ويُوهَبُ

ارجوزة الصّادح والباغم لأبي الطيّب

أَلعيشُ بالرّزقِ وبالتّقديرِ وليس بالرّاي ولا التدبيرِ
فِي الناسِ مَن تُسعدهُ الأقدارُ وفعلُهُ جميعهُ إدبارُ
مَن عرف الله أزالَ التهمهْ وقال كلٌّ فعلهِ لحكمهْ
مَنْ أنكرَ القضاءَ فهوَ مُشركُ انّ القضاءَ بالعبادِ أَملكُ
ونحنُ لا نشركُ بالله ولا نقنطُ من رحمتهِ اذ نُبتلى
عارٌ علينا وقبيحٌ ذكرِ أَن نجعل الكفر مكانَ الشكرِ
وليس في العالم ظلمٌ جاري اذ كان ما يجري بامرِ الباري
وأَسعدُ العالم عندَ اللهِ مَنْ ساعدَ الناس بفضل الجاهِ

ومن أَغاث البائس الملهوفا أَغاثهُ الله اذا أُخيفا
انَّ العظيم يدفعُ العظيما كما الجسيمُ يحملُ الجسيما
فانَّ من خلائق الكرامِ رحمةُ ذي البلاء والأَسقامِ
وانَّ من شرائط العلوِّ العطفَ في البؤسِ على العدوِّ
قد قضت العقولُ أَنَّ الشفقهْ على ٱلصديق والعدوِّ صدقهْ
وقد عَلِمتُ واللبيبُ يعلمُ بالطَّبع لا يُرحمُ من لا يَرحمُ
فالمرءُ لا يدري متى يُمتحَنُ فانهُ في دهرهِ مُرتهَنُ
وإنْ نجا اليومَ فما ينجو غدًا لا يأْمن الآفات الاَّ ذو الرَّدى
لا تغترِرْ بالحفظ والسلامَهْ فانَّما الحيـاةُ كالمدامَهْ
والعمرمثل الكأْس والدهرالقذِرْ والصفوُ لا بدَّ لهُ من الكدَرْ
وكلُّ انسانٍ فلا بدَّ لهُ من صاحبٍ يحمل ما أَثقلَهُ
جهدُ البلاء صحبـة الاضدادِ فانَّها كيٌّ على الفؤادِ
اعظمُ ما يلقى الفتى من جهدِ أَن يُبتلى في جنسهِ بالضدِّ
فانَّما الرجال بالاخوانِ واليدُ بالساعد والبنـانِ
لا يحقر الصحبـةَ الاَّ جاهلُ او مارقٌ عن الرَّشاد غافلُ
صحبـةُ يومٍ نَسَبٌ قريبُ وذمَّةٌ يحفظهـا اللبيبُ
وموجب ٱلصداقة المساعَدَهْ ومقتضى المودَّة المُعاضدَهْ
لا سيَّما في النُّوَبِ الشدائدِ والمِحَن العظيمة الاوابدِ

فالمرءُ يحيي ابنًا أخاهُ وهوَ اذا ما عُدَّ من أعداهُ
وانَّ من عاشر قومًا يوما ينصرُهم ولا يخاف لوما
وانَّ مَن حارب من لا يقوى لحربهِ جرَّ اليهِ البلوى
فحارِب الاكفاء والاقرانا فالمرءُ لا يحارب السلطانا
واقنعْ اذا حاربت بالسلامَهْ واحذرْ فعالًا توجِب النَّدامَهْ
فالتاجر الكيّس في التجارهْ مَن خاف في متجرهِ الخسارهْ
يجهد في تحصيل رأس مالهِ ثمَّ يروم الرِّبحَ باحتيالهِ
وانْ رأيت النصر قد لاحَ لكَا فلا تقصِّر واحترز أن تهلكا
واسبقْ الى الاجودِ سبق الناقدِ فسبقُكَ الخصم من المكايدِ
وانتهز الفرصةَ انَّ الفرصه تصيرُ ان لم تنتهزْها غصّه
كم نظر الغالب يومًا فتركْ عنهُ التوقّي واستهان فهلَكْ
ومن أضاع جندَهُ في السلمِ لم يحفظوهُ في لقاء الخصمِ
وانَّ من لا يحفظ القلوبا يخذل حين يشهد الحروبا
والجند لا يرعون من أراعَهُم كلًّا ولا يحمون من أجاعهم
واضعفُ الملوك طرًّا عضدًا مَن غرَّهُ السلم فاقصى الجندًا
والحزم والتدبير روح العزمِ لا خيرَ في عزمٍ بغير حزمِ
والحزم كل الحزم في المطاوله والصبر لا في سرعة المزاولَهْ
وفي الخطوب تظهر الجواهرُ ما غلَبَ الايَّامَ الاَّ الصابرُ

لا تيأسنْ من فرجٍ ولطفِ	وقوةٍ تظهر بعد ضعفِ
فربما جاءك بعد الياسِ	روحٌ بلا كدٍّ ولا التماسِ
في لمحة الطرف بكاءٌ وضحِكْ	وناجذٌ بادٍ ودمعٌ ينسفِكْ
تنال بالرفق وبالتأنّي	ما لم تنل بالحرص والتعنّي
ما أحسنَ الثبات والتجلُّدا	واقبح الحيرة والتبلُّدا
ليس الفتى الّا الذي ان طرقَهْ	خطبٌ تلقّاهُ بصبرٍ وثقَهْ
اذا الرزايا أقبلَت ولم تقِفْ	فثمّ احوال الرجال تختلِفْ
وكم لقيتُ لذّةً في زمني	فاصبرُ الآنَ لمذي المحَنِ
فالموت لا يكون الّا مرّه	والموت أحلى من حياةٍ مرّهْ
اني من الموت على يقينِ	فأجهدُ الآنَ لما يقيني
صبرًا على أهوالها ولا ضجَرْ	وربّما فاز الفتى اذا صبرْ
لا يجزع الحرُّ من المصائبِ	كلّا ولا يخضعُ للنوائبِ
فالحرُّ للعبء الثقيل يحملُ	والصبر عند النائبات يجملُ
لكلِّ شيءٍ مدّةٌ وتنقضي	ما غالبَ الأيّامَ الّا من رضِي
قد صدق القائلُ في الكلامِ	ليس النهى بعظمِ العظامِ
لا خيرَ في جسامة الاجسامِ	بل هو في العقول والافهامِ
فالخيلُ للحرب وللجمالِ	والإبلُ للحملِ وللترحالِ
لا تحتقرْ شيئًا صغيرًا محتقرْ	فربما أسالَت الدم الابَرْ

لا تحرج الخصمَ ففي احراجهِ	جميع ما تكره مِنْ لجاجهِ
لا تطلبِ الفائت باللجاجِ	وكُنْ اذا كُويت ذا انضاجِ
فعاجزٌ مَن ترك الموجودا	طماعةً وطلب المفقودا
وفتّش الأُمورعن أسرارها	كم نكتةٍ جاءتك مع اظهارها
لزمتُ للجهل قبيحَ الظاهرِ	وما نظرتُ حَسَنَ السرائرِ
ليس يضرُّ البدر في سناهُ	أنَّ الضرير قطُّ لا يراهُ
كم حكمةٍ أضحت بها المحافلُ	نافقةً وانت عنها غافلُ
ويغفلون عن خفيّ الحكمه	ولو رأوها لأزالوا التُّهمَهْ
كم حسَنٍ ظاهرهُ قبيحُ	وسَمِجٍ عنوانهُ قبيحُ
والحقُّ قد تعلمُهُ ثقيلُ	يأباهُ الاَّ نفَرٌ قليلُ
فالعاقل الكامل في الرجالِ	لا ينثني لزخرف المقالِ
انَّ العدوَّ قولهُ مردود	وقلَّما يُصدِّق الحسودُ
لا تقبل الدعوى غير شاهدِ	لا سيَّما ان كان من معاندِ
أيؤخذُ البريءُ بالسقيمِ	والرجل المحسن باللئيمِ
كذاك مَنْ يستنصح الأعادي	يردونهُ بالغش والفسادِ
انَّ اكلَ من ترى أذهانا	مَنْ حسب الاساءة الاحسانا
فادفعْ اساءةَ العدا بالحُسنى	ولا تخلْ يُسراك مثل اليمنى
وللرجال فاعلمن مكايدُ	وخِدَعٌ مُنكرَةٌ شدائدُ

فالندبُ لا يخضع للشدائدِ … قطُّ ولا يغتاظ بالمكايدِ
فرقّع الخرق بلطفٍ واجتهد … وامكرْ اذا لم ينفع الصدق وكِدْ
فهكذا الحازم اذ يكيدُ … يُبلغُ في الاعداء ما يريد
وهوَ بريءٌ منهمُ في الظاهرِ … وغيرهُ مخضب الاظافرِ
والشهم من يصلح امر نفسهِ … ولو نقتل ولدهِ وعرسهِ
فانَّ من يقصدُ قلعَ ضرسهِ … لم يجتهد الاَّ صلاح نفسهِ
وانَّ من خصَّ اللئيم بالندا … وجدْته كمن يربِّي اسَدا
وليس في طبع اللئيم شكرُ … وليس في اصل الدنيء نصرُ
وانَّ من ألزمَهُ وكلفَهْ … ضدَّ الذي في طبعهِ ما انصفَهْ
كذاك من يصطنع الجهَّالا … ويؤثر الأرذال والانذالا
لو أنَّكم أفاضلٌ أحرارُ … ما ظهرت بينكمُ أسرارُ
انَّ الاصول تجذب الفروعا … والعرق دسَّاسٌ اذا أُطيعا
ما طابَ فرعٌ أصلهُ خبيثُ … ولا زكا مَنْ مجدهُ حديثُ
قد يدركون رُتبًا في الدنيا … ويبلغون وطرًا من بغيا
لكنَّهم لا يبلغون في الكرَمْ … مبلغ من كان لهُ فيها قدَمْ
وكلُّ من تمايلَت أطرافهُ … في طيِّها وكرُمت أسلافهْ
كانَ خليقًا بالعلا وبالكرَمْ … وبرعت في أصلهِ حسن الشِّيَمْ
لولا بنو آدمَ بين العالَمِ … ما بانَ للعقول فضلُ العالِمِ

فواحدٌ يعطيك فضلاً وكرَمْ — فذاك من يكفرُهُ فقد ظلَمْ

وواحدٌ يعطيك للمُصانعهْ — أو حاجةٌ له اليك واقعهْ

لا تشرهَنْ الى حطامٍ عاجلِ — كم آكلةٍ أودت بنفس الآكلِ

واحذرْ أخيَّ يا فتى من الشَرَهْ — وقس بما رأيتهُ ما لم ترهْ

فليس من عقلِ الفتى أو كرَمِهْ — افساد شخصٍ كاملٍ لقرمِهْ

فالبغيُ داءٌ ما له دواءُ — ليس للملكِ معهُ بقاءُ

والبغيَ فاحذرهُ وخيمَ المرتعِ — والعُجبَ فاتركهُ شديد المصرعِ

والغدر بالعهد قبيحٌ جدّا — شرُّ الورى من ليس يرعى العهدا

عند تمام الامر يبدو نقصُهُ — وربما ضرَّ الحريص حرصهُ

وربّما ضرَّكَ بعضُ ما لكا — وساءك المحسن من رجالكا

فالمرءُ يفدي نفسهُ بوفرهِ — عساهُ ان ينجو به من اسرهِ

لا تعطينْ شيئًا بغير فائدهْ — فانها من السجايا الفاسدهْ

هذا الذي ألّفتهُ واخترتهُ — من رجز الشريف وانتخبتهُ

مرثاة الشيخ ناصيف اليازجي للدكتور عالي سميث

ان لم يكن لكَ في نقدِ الرجال يدُ — فانظر الى الموتِ كيفَ الموتُ ينتقدُ

يدورُ في الارض حولَ الناس ملتمسًا — كريمَ قومٍ ولا يرضى بما يجدُ

جبّارُ صيدٍ يريدُ الصقرَ منتقرًا — به فان لم يجدْهُ يرضهِ الصُرَدُ

اذا انتضى سيفَهُ فالراسُ موردهُ — وان رمى السهمَ فليستهدف الكبدُ

يا ايها الملكُ المرهوبُ جانبُهُ   هذا هوَ الملكُ المرهوبُ اذ يَفِدُ

يا ايها الاسدُ الجاثي بسطوتهِ   على ضواريــ الفلا هذا هو الاسدُ

يا ايها البطلُ الشاكي السلاحِ ترى   اين السلاحُ وماذا يمنعُ الزرَدُ

قد خانَ عهدكَ ما ترجوهُ من عِدَدٍ   اذا اتى الموتُ يومًا ماتت العِدَدُ

ما زال كلُّ ابن انثى منذ فُطرتِهِ   فريسةً بين ايدي الموت ترتعدُ

يا مَن يقولُ غدًا دعْ عنك ذكرَ غدٍ   فليسَ للمرء في هذا الزمانِ غَدُ

للموتِ كلُّ ابٍ فوق التراب مشى   وكلُّ امٍّ وما ربّت وما تلِدُ

الى ترابٍ جُبلنا منهُ مرجعنا   نظير ماءٍ اليهِ يرجعُ البرَدُ

نهتمُّ في خصبِ اثمارٍ ننعّمها   ويشكرُ الدودُ منّا ما بهِ نعِدُ

مناحةٌ في ديار الميتِ قائمةٌ   ودعوةٌ في ديار القبر تحتشدُ

للدهر في كلِّ عينٍ دمعةٌ قطرت   منهُ وفي كلِّ قلبٍ جمرةٌ تقدُ

متى تردْ ان تعدَّ السالمين فضعْ   صفرًا على الطرس حتى يحدثَ العَدَدُ

استودعُ اللهَ من بالامسِ ودّعني   كرهًا فودّع قلبي الصبرُ والجلَدُ

ما زال يصحبنا دهرًا ويؤنسنا   فما لهُ صارَ عنّا اليومَ ينفردُ

قد نازعتنا المنايا شخصَهُ حسدًا   ويلاهُ حتى المنايا عندها الحسدُ

تسطو علينا بلا كفٍّ ولا عضُدٍ   وليسَ ينفعُ منها الكفُّ والعَضُدُ

قد غاب في الشرق بدرٌ في الضحى عجبًا   فابصرَ الناسُ منهُ غيرَ ما عهدوا

لو انصفتهُ دراري الأُفق ما طلعت   حزنًا عليها وغشّى افقَها الكمدُ

يا ايها المضجعُ الميمونُ طالعهُ   هل ضمَّ قصرٌ كمن تحويهِ او بلدُ

اكرمْ لكَ اللهُ ضيفًا قد ظفرتَ بهِ   فطالما أُكرِمَ الضيفانُ اذ وفدوا

واعرفْ جلالةَ شخصٍ فيك قد عرفت   مقامَهُ كبراءُ الناسِ والعُمُدُ

واحرصْ على كلِّ عظمٍ من مفاصلهِ   فذاكَ من اشرفِ الآثار يُعتقَدُ

يا من سكرتَ وليس السكرُ عادتهُ   بخمرةٍ لم يفقْ من سكرها احدُ

اراك بالقرب مني غيرَ مبتعدٍ   وانت ابعدُ من في الارض يبتعدُ

ما نومةٌ لك يوم الحشرِ موعدُها ... ويحي وما غيبةٌ ميعادُها الابدُ
ما بالُ عينك لا تنفكُّ مغمضةً ... جفونها وبعيني لا بها الرمدُ
هذه هي النظرةُ الاخرى نُزوِّدُها ... فهل بزادٍ حديثٍ منك نُفتقَدُ
وهل تُرَدُّ على بعدٍ تحيّتنا ... وهل تؤدّى رسالاتٌ لنا تردُ
علوتَ يا ايها العالي الى فلكٍ ... قد طالَ منك الى ما فوقهُ الرصَدُ
انت الغريبُ ومَنْ لي ان يكونَ لنا ... غرائبٌ في اساليب الرثا جدَدُ
جادت على قبركَ الانواء باكيةً ... كأنّما قد عراها الهمُّ والنكَدُ
هذا هو المنزل الباقي وعدّتهُ ... هي الذخيرةُ لا مالٌ ولا ولدُ

القسم الثامن

مَقَامَاتٌ

أَلْمَقَامَةُ ٱلدِّينَارِيَّةُ لِلشَّيْخِ ٱلْحَرِيرِيِّ

رَوَى ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ نَظَمَنِي[1] وَأَخْدَانًا[2] لِي نَادٍ[3] * لَمْ يَخِبْ فِيهِ مُنَادٍ[4] * وَلَا كَبَا قَدْحُ زِنَادٍ[5] * وَلَا ذَكَتْ[6] نَارُ عِنَادٍ * فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَتَجَاذَبُ أَطْرَافَ ٱلْأَنَاشِيدِ[7] * وَنَتَوَارَدُ طُرَفَ[8] ٱلْأَسَانِيدِ * إِذْ وَقَفَ بِنَا شَخْصٌ عَلَيْهِ سَمَلٌ[9] * وَفِي مِشْيَتِهِ قَزَلٌ[10] * فَقَالَ يَا أَخَايِرَ[11] ٱلذَّخَائِرِ * وَبَشَائِرَ[12] ٱلْعَشَائِرِ * عِمُوا صَبَاحًا[13] *

---

١ اي جمعني وضمني ٢ جمع خِدن بالكسر وهو الحبيب يقال هو خدنه وخدينه ٣ النادي المجلس للقوم بالنهار والجمع اندية والسامر مجلسهم بالليل خاصةً ٤ اي لم يرجع من ناداهم بغير فائدة ٥ في معنى ما قبله لان معنى كبا الزند لم يورِ نارًا اذا قُدِح به فضربه مثلًا اي لا يرجع قاصدهم الّا بحاجته ٦ اي ولا ٧ جمع أُنشودة وهي الشعر ٨ جمع طرفة بالضمّ وهي حديث مستملح ٩ بالتحريك ثوبٌ خَلَق والجمع اسمال ١٠ نوع من العرَج ١١ بمعنى اخيار جمع خير مخفَّف خيِّر بالتشديد وهو كثير الخير او جمع اخير الذي هو اصل خير بالتخفيف المستعمل للتفضيل اذ جمع افعل افاعل ١٢ جمع بشارة اسم من التبشير ١٣ بمعنى انعموا امر من وعم الدار كوعد وورث قال لها انعمي

وَأنعِموا اصطِباحاً[1] * وَانظُروا إلى من كان ذا نَدِيٍّ[2] وندى[3] * وَجِدَةٍ[4] وَجَداً[5] * وَعقارٍ وقِرىً[6] * وَمَقارٍ[7] وقِرىً[8] * فما زال به قُطوبُ[9] الخُطوبِ[10] * وَحُروبُ الكُروبِ * وَشَرَرُ[11] شرِّ الحَسودِ * وَانتِيابُ[12] النُّوَبِ[13] السُّودِ * حتى صَفِرَتِ الرَّاحةُ[14] * وَقَرِعَتِ[15] السَّاحةُ * وَغارَ المَنبَعُ[16] * وَنَبا المَربَعُ[17] * وَأقوى المَجمَعُ[18] * وَأقَضَّ[19] المَضجَعُ * وَاستَحالَتِ الحالُ * وَأعوَلَ[20] العِيالُ * وَخَلَتِ المَرابِطُ * وَرَحِمَ الغابِطُ[21] * وَأودى[22] النَّاطِقُ[23] وَالصَّامِتُ[24] * وَرَثى[25] لنا الحاسِدُ وَالشَّامِتُ * وَآلَ بنا الدَّهرُ

١ الاصطباح الشرب وقت الصباح ٢ مجلس ٣ جود
٤ بالتخفيف اسبب غنى ٥ بالفتح عطية ٦ هو بالفتح الارض ذات النخل ثم صار يقال لكل ارض ذات نخل او غيره عقار ما لم يكن فيها بنيان
٧ بالفتح جمع مقراة بالكسر وهي الجفنة العظيمة ٨ بالكسر ضيافة
٩ عبوس الوجه ١٠ جمع خطب وهو الامر العظيم ١١ جمع شَرَرة
١٢ بفتح الواو جمع نوبة بمعنى نائبة وانتيابها اي تناوبها نوبةً بعد نوبةٍ وجعلها سوداء لان البصر يظلم من شدتها ١٤ اي خلت اليد ١٥ اي تجرّدت من الخير اي ذهب ما كان فيها ١٦ الذي ينبع منهُ الماء وهو كنايةٌ عن الرزق ١٧ اي بَعُدَ المنزل ولم يمكن المقام به ولم يوافق ١٨ اي خلا من القوم ١٩ اي خشُنَ وهو كنايةٌ عن عدم القرار ٢٠ اي صاحوا بالبكاء
٢١ الذي يتمنى ان يكون لهُ مثل ما لمغبوطهِ وفي الحديث المؤمن يغبط ولا يحسد ٢٢ هلك ٢٣ الماشية ٢٤ الذهب والفضة ٢٥ اي رقّ

ٱلْمُوْتِعُ[1] * وَٱلْفَقْرُ ٱلْمُدْقِعُ[2] * إِلَى أَنْ أَحْتَذَيْنَا[3] ٱلْوَجَى[4] * وَٱغْتَذَيْنَا ٱلشَّجَا[5] * وَٱسْتَبْطَنَّا ٱلْجَوَى[6] * وَطَوَيْنَا ٱلْأَحْشَاءَ عَلَى ٱلطَّوَى[7] * وَٱكْتَحَلْنَا ٱلسُّهَادَ[8] * وَٱسْتَوْطَنَّا ٱلْوِهَادَ[9] * وَٱسْتَوْطَأْنَا ٱلْقَتَادَ[10] * وَتَنَاسَيْنَا ٱلْأَقْتَادَ[11] * وَٱسْتَطَبْنَا ٱلْحَيْنَ[12] ٱلْمُجْتَاحَ[13] * وَٱسْتَبْطَأْنَا ٱلْيَوْمَ ٱلْمُتَاحَ[14] * فَهَلْ مِنْ حُرٍّ آسٍ * أَوْ سَمْحٍ مُوَاسٍ * فَوَٱلَّذِي ٱسْتَخْرَجَنِي مِنْ قَيْلَةَ[15] * لَقَدْ أَمْسَيْتُ أَخَا عَيْلَةٍ[16] لَا أَمْلِكُ بِيتَ لَيْلَةٍ[17] * قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ فَأَوَيْتُ لِمَفَاقِرِهِ[18] * وَلَوَيْتُ[19] إِلَى ٱسْتِنْبَاطِ فِقَرِهِ * فَأَبْرَزْتُ دِينَارًا * وَقُلْتُ لَهُ ٱخْتِبَارًا *

---

١ اي المهلك ٢ اي المذل كانهُ رمى صاحبهُ بالدقعاء وهي الارض ٣ اي انتعلنا ٤ رقة القدم من كثرة المشي ٥ هو عظمٌ يعترض في الحلق يمنع الاساغة ٦ اي جعلنا شدَّة الوجد في بطننا ٧ اي الجوع ٨ السهر ٩ جمع وهدة وهي ما انخفض من الارض معناهُ انهم جعلوها وطنًا من فقرهم حتى لا ترى نارهم الضيوف ١٠ اي وطئناهُ والقتاد شجرٌ لهُ شوك ١١ جمع قَتِدَة كفَرِحة وهي في الاصل الابل تشتكي من اكل القتاد ١٢ اي رأينا الهلاك طيبًا ١٣ معناهُ المستأصل ١٤ هو اليوم المقدَّر بالموت اي رأيناهُ بطيئًا ١٥ هي بنت الارقم الغسانية وهي امّ الاوس والخزرج جميعًا ١٦ اي صاحب فقر ١٧ اي قوت ليلة ١٨ اي رققت لها والمفاقر جمع مفقرة بمعنى الفقر ١٩ اي ملت وفقرهُ بكسر الفاء وفتح القاف جمع فِقرة بكسر الفاء وهي الحِكَم والكلمات المستحسنة والفقرة اجود بيت في القصيدة

إِنْ مَدَحْتَهُ نَظْمًا * فَهُوَ لَكَ حَتْمًا * فَٱنْبَرَى[1] يُنْشِدُ فِي ٱلْحَالِ * مِنْ غَيْرِ ٱنْتِحَالٍ[2]

أَكْرِمْ[3] بِهِ أَصْفَرَ رَاقَتْ صُفْرَتُهْ[4]

جَوَّابِ آفَاقٍ[5] تَرَامَتْ سَفْرَتُهْ[6]

مَأْثُورَةٍ[7] سُمْعَتُهُ[8] وَشُهْرَتُهْ

قَدْ أُودِعَتْ سِرَّ ٱلْغِنَى أَسِرَّتُهْ[9]

وَقَارَنَتْ نُجْحَ ٱلْمَسَاعِي خَطْرَتُهْ[10]

وَحُبِّبَتْ إِلَى ٱلْأَنَامِ غُرَّتُهْ[11]

كَأَنَّمَا مِنَ ٱلْقُلُوبِ نُقْرَتُهْ[12]

بِهِ يَصُولُ[13] مَنْ حَوَتْهُ صُرَّتُهْ[14]

---

١ اي فاعترض سريعًا ٢ هو نسبة شعر الغير الى نفسه ٣ كلمة تعجب اي ما اكرمهُ كقوله تعالى اسمع بهم وابصر اي ما اسمعهم وابصرهم ٤ اي اعجبت ٥ اي كثير السفر في النواحي ٦ اي بعدت سفرتهُ ٧ اي مروية من اثر الحديث اذا رواهُ ٨ المراد بها ما يسمع بهِ من ذكر او صيت او غيره ٩ الاسرّة هي خطوط الجبهة وعنى بها النقوش التي في الدينار وهي جمع سرار وجمع الاسرة اسارير ١٠ اراد بنجح المساعي قضاء الحوائج وانها مقارنة لخطرتهِ وحركتهِ ١١ وجههُ ١٢ النقرة ما سُبك من الذهب او الفضة اراد ان الدينار لفرط محبة الناس اياهُ كأنَّهُ مسبوك من قلوبهم ١٣ اي يحمل ويقهر ١٤ كناية عن تملكهِ

وَإِنْ تفَانَتْ[١] أَوْ توانَتْ[٢] عِتْرَتُهْ[٣]

يَا حَبَّذَا نُضَارُهُ[٤] وَنَضْرَتُهْ[٥]

وَحَبَّذَا مغنَاتُهُ[٦] وَنصرتُهْ[٧]

كَمْ آمِرٍ بِهِ أَسْتَتَبَّتْ[٨] إِمْرَتُهْ[٩]

وَمُتْرَفٍ[١٠] لَوْلَاهُ دَامَتْ حَسْرَتُهْ

وَجَيْشِ هَمٍّ هَزَمَتْهُ كَرَّتُهْ[١١]

وَبَدْرِ تِمٍّ أَنْزَلَتْهُ بَدْرَتُهْ[١٢]

وَمُسْتَشِيطٍ[١٣] تَتَلَظَّى[١٤] جَمْرَتُهْ

أَسَرَّ نَجْوَاهُ[١٥] فَلَانَتْ شِرَّتُهْ[١٦]

وَكَمْ أَسِيرٍ أَسْلَمَتْهُ[١٧] أُسْرَتُهْ[١٨]

---

١ هلكت ٢ قصرت وتاخرت ٣ اقاربهُ وعشيرتهُ والضمير يعود على من ٤ النضار بالضم الذهب والخالص من كل شيء ٥ بالفتح بهجتهُ وحسنهُ ٦ اي غناهُ وكفايتهُ يقال غنيت عن الشيء بكذا غنًى ومغناةً وغنيةً ٧ الآمر خلاف الناهي ٨ اي تمت واستقامت ٩ بالكسر اي امارتهُ ١٠ اي منعم من الترف وهو النَعْمة والرفاهية ١١ الكرَّة والكرُّ الحملة على الفارس في الحرب والمعنى ان الهم اذا عظم حتى سار كالجيش يهزمهُ الدينار يبذلو في ما يدفع بهِ الهم ١٢ البدرة عشرة آلاف دينار ومعنى الكلام ان الكثير من الدنانير ينال بهِ كل مستصعب ١٣ اي محتدم محترق من كثرة الغضب ١٤ اي تتوقد وتتلهب ١٥ اي اخفى مناجاتهُ ١٦ اي نشاطهُ وحدتهُ ١٧ اي خلَّت بينهُ وبين عدوّهِ وخذلتهُ ١٨ بضم الهمزة رهطهُ الأدنون وقرابتهُ

أَنْقَذَهُ [١] حَتَّى صَفَتْ مَسَرَّتُهُ
وَحَقِّ مَوْلًى أَبْدَعَتْهُ [٢] فِطْرَتُهُ [٣]
لَوْلَا ٱلتُّقَى لَقُلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ

ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ * بَعْدَ مَا أَنْشَدَهُ * وَقَالَ أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ [٤] * وَسَحَّ خَالٌ [٥] إِذْ رَعَدَ * فَنَبَذْتُ [٦] ٱلدِّينَارَ إِلَيْهِ * وَقُلْتُ خُذْهُ غَيْرَ مَأْسُوفٍ [٧] عَلَيْهِ * فَوَضَعَهُ فِي فِيهِ * وَقَالَ بَارِكِ ٱللَّهُمَّ فِيهِ * ثُمَّ شَمَّرَ [٨] لِلِانْثِنَاءِ [٩] بَعْدَ تَوْفِيَةِ ٱلثَّنَاءِ [١٠] * فَنَشَأَتْ [١١] لِي مِنْ فُكَاهَتِهِ [١٢] نَشْوَةُ غَرَامٍ [١٣] * سَهَّلَتْ عَلَيَّ ٱئْتِنَافَ [١٤] ٱغْتِرَامٍ [١٥] * فَجَرَّدْتُ [١٦] دِينَارًا آخَرَ وَقُلْتُ لَهُ هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَذُمَّهُ * ثُمَّ تَضُمَّهُ * فَأَنْشَدَ مُرْتَجِلًا [١٧] *

١ خلصهُ ونجاهُ ٢ اي اخترعهُ ٣ من فطرت الشيء اذا ابتدعتهُ من غير ان يسبق لهُ نظير ٤ هذا مثل يُضرب للحرّ اذا وعد بشيء على فعلٍ ثم وجد ذلك الفعل والمعنى التحريض على الانجاز ٥ اي قطر سحابٌ والخال يُطلَق على معانٍ عديدة الموضع الذي لا أنيس بهِ واخو الامّ واللواء والخُيلاء والشامة والظن والجبان وضرب من الثياب والسحاب الذي تخال ان فيهِ مطرًا وهذا هو المراد هنا ٦ اي طرحت ٧ محزون ٨ جمع ذيلهُ وشمّر عن ساقهِ. وشمّر في امرهِ اي تهيأ ٩ اي للانعطاف والانصراف ١٠ اي تكميل المدح والشكر ١١ بدت وظهرت ١٢ هي المزاح وطيب الكلام ١٣ اي سكرة عشق دائم ١٤ اي استئناف واستقبال ١٥ غرم الرجل واغترم اذا لزمهُ المغرم والغرامة ١٦ اي اخرجت ١٧ اي من غير تفكر

وَشَدَا[1] عَجِلًا[2]

تَبًّا[3] لَهُ مِنْ خَادِعٍ[4] مُمَاذِقِ[5]

أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ[6] كَالْمُنَافِقِ

يَبْدُو[7] بِوَصْفَيْنِ لِعَيْنِ الرَّامِقِ[8]

زِينَةِ مَعْشُوقٍ[9] وَلَوْنِ عَاشِقِ[10]

وَحُبُّهُ عِنْدَ ذَوِي الْحَقَائِقِ[11]

يَدْعُو إِلَى ارْتِكَابِ[12] سُخْطِ الْخَالِقِ[13]

لَوْلَاهُ لَمْ تُقْطَعْ يَمِينُ سَارِقِ

وَلَا بَدَتْ مَظْلِمَةٌ مِنْ فَاسِقِ[14]

وَلَا اشْمَأَزَّ[15] بَاخِلٌ[16] مِنْ طَارِقِ[17]

وَلَا شَكَا الْمَمْطُولُ[18] مَطْلَ الْعَائِقِ[19]

---

١ اي ترنم وغنّى بما انشد ٢ مسرعًا ٣ خسرًا وهلاكًا ٤ اي يخدع صاحبهُ ٥ هو من لا يصافي الودَّ من المذق وهو الخلط ٦ كناية عن نقشهِ من الجانبين ٧ اي يظهر ٨ هو الناظر الى الشيء ٩ اي ملاحتهِ وهو نقدهُ ١٠ اي صفرتهِ ١١ هم اهل العرفان ١٢ ركوب ١٣ اي غضبهِ ١٤ المظلمة الظلم واسم للحق الذي يثبت للمظلوم على الظالم كالظلامة يقال عند فلان مظلمتي وظلامتي ١٥ انقبض ونفر ١٦ اي بخيل ١٧ هو الذي ياتي ليلاً ضيفًا كان او غيرهُ ١٨ هو صاحب الدَين ١٩ المطل تأخير الدين والعائق مانع اداء الدَين

وَلَا أَسْتَعِيذُ مِنْ حَسُودٍ رَاشِقٍ[1]

وَشَرِّ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْخَلَائِقِ[2]

أَنْ لَيْسَ يُغْنِي عَنْكَ فِي ٱلْمَضَايِقِ

إِلَّا إِذَا فَرَّ فِرَارَ ٱلْآبِقِ

وَاهًا[3] لِمَنْ يَقْذِفُهُ[4] مِنْ حَالِقِ[5]

وَمَنْ إِذَا نَاجَاهُ نَجْوَى ٱلْوَامِقِ[6]

قَالَ لَهُ قَوْلَ ٱلْمُحِقِّ ٱلصَّادِقِ

لَا رَأْيَ فِي وَصْلِكَ لِي فَفَارِقِ

فَقُلْتُ لَهُ مَا أَغْزَرَ وَبْلَكَ[7] * فَقَالَ وَٱلشَّرْطُ أَمْلَكُ[8] * فَنَفَحْتُهُ[9] بِٱلدِّينَارِ ٱلثَّانِي * وَقُلْتُ لَهُ عَوِّذْهُمَا بِٱلْمَثَانِي[10] * فَأَلْقَاهُ فِي فَمِهِ *

---

١ اي رامٍ بعينيهِ واصل الراشق الرامي بالنبل ٢ جمع خليقة وهي المادة والطبيعة ٣ كلمة اعجاب ومعناها ما اطيبهُ ٤ اي يطرحهُ ٥ اي من جبل مرتفع ٦ من ناجاهُ معطوفٌ على من يقذفهُ والمناجاة المخاطبة والوامق المحب من ومقهُ يمقهُ مِقَةً والمعنى عجبًا لمن يلقيهِ ويخرجهُ من يدهِ بحيث لا يرجع اليهِ فانهُ يقضي حاجتهُ وينال مرادهُ والاوَّل يحب فراقهُ والثاني يحب اشراقهُ ٧ الوبل في الاصل المطر الكبير وغزارتهُ كثرتهُ فاستعارهُ لزيادة معرفتهِ وبلاغتهِ ٨ هذا مثلٌ يُضرَب في حفظ الشرط ٩ اي رميتهُ بهِ ١٠ المثاني فاتحة الكتاب لانها تُثنَّى في الصلوات

وَقَرَنَهُ بِتَوْأَمِهِ (١) * وَٱنْكَفَا (٢) يَحْمَدُ مَغْدَاهُ (٣) * وَيَمْدَحُ ٱلنَّادِيَ وَنَدَاهُ *
قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ فَنَاجَانِي (٤) قَلْبِي بِأَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ * وَأَنَّ تَعَارُجَهُ
لِكَيْدٍ * فَٱسْتَعَدْتُهُ (٥) وَقُلْتُ لَهُ قَدْ عَرَفْتَ بِوَشْيِكَ (٦) * فَٱسْتَقِمْ فِي
مَشْيِكَ * فَقَالَ إِنْ كُنْتَ ٱبْنَ هَمَّامٍ * فَحُيِّيتَ (٧) بِإِكْرَامٍ * وَحَيِيتَ (٨)
بَيْنَ كِرَامٍ * فَقُلْتُ أَنَا ٱلْحَارِثُ * فَكَيْفَ حَالُكَ وَٱلْحَوَادِثُ (٩) *
فَقَالَ أَتَقَلَّبُ فِي ٱلْحَالَيْنِ بُؤْسٍ (١٠) وَرَخَاءٍ (١١) * وَأَنْقَلِبُ مَعَ ٱلرِّيحَيْنِ
زَعْزَعٍ وَرُخَاءٍ (١٢) * فَقُلْتُ كَيْفَ ٱدَّعَيْتَ ٱلْقَزَلَ (١٣) * وَمَا مِثْلُكَ مَنْ
هَزَلَ (١٤) * فَٱسْتَسَرَّ (١٥) بِشْرُهُ (١٦) ٱلَّذِي كَانَ تَجَلَّى (١٧) * ثُمَّ أَنْشَدَ حِينَ وَلَّى (١٨)

تَعَارَجْتُ لَا رَغْبَةً فِي ٱلْعَرَجْ ... وَلٰكِنْ لِأَقْرَعَ بَابَ ٱلْفَرَجْ (١٩)

---

١ اي قرنه بالدينار الاول ٢ اي انقلب وانعطف ٣ غدوّه
٤ اي حدثني ٥ اي طلبت عودته ورجوعه ٦ اي بما ابديت
من مستحسن كلامك الشبيه بالوشي وهو النقش ٧ قيل لك حياك الله
٨ اي دامت حياتك ٩ اي مع الحوادث وهي ما يحدث من الامور
١٠ اي شدّة وفقر ١١ بالفتح سعة العيش وسهولته ١٢ هذا مثلٌ
ومعناهُ اداري امري مع الصعوبة والسهولة والريح الزعزع هي التي تزعزع الاشجار
اي تحركها والرُخاء بالضم اللينة ١٣ سوء العرج ١٤ جاء بالهزل وهو
ضد الجد ١٥ اختفى ١٦ اي طلاقة وجهه ١٧ اي ظهر منه
١٨ اي حين رجع ١٩ هذا مثلٌ ومعناهُ لكن تعارجت طلبًا للفرج لان
من قرع بابًا فهو يطلب الدخول فيه

وَأُلْقِي حَبْلِي عَلَى غَارِبِي[1] وَأَسْلُكُ مَسْلَكَ مَنْ قَدْ مَرَجْ[2]
فَإِنْ لَامَنِي ٱلْقَوْمُ قُلْتُ ٱعْذِرُوا فَلَيْسَ عَلَى أَعْرَجٍ مِنْ حَرَجْ[3]

أَلْمَقَامَةُ ٱلْحِكَمِيَّةُ للشيخ ناصيف اليازجيّ

اخبر سُهَيْلُ بن عبَّادٍ قال خرجتُ في قافلةٍ[4] * بعِصابةٍ حافلةٍ[5] * فكنّا نَصِلُ الإِسْآدَ[6] بالتأويب[7] * ونُراوِحُ بين الإِهذاب والتقريب[8] * حتى أَفضتْ[9] بنا الرحلة * الى شاطئِ دِجلةَ[10] * فنزلنا القضَّ والقضيضَ[11] * في أَكنافِ[12] ذلك الحضيض[13] * فراقتنا[14] فاكهتُهُ وفكاهتُهُ[15] وشاقتنا نُزهتُهُ ونزاهتُهُ[16] * فأَقمنا ثلاثًا نجتني قُطُوفَ أَفنانِهِ الميلاءِ[17] * ونشربُ صافيَ تلك الحُجَيلاءِ[18] * حتى اذا

١ ألقى حبلهُ على غاربهِ مثلٌ يُضرَب في تخلية الشيء يذهب في هواهُ كيف شاء واصلهُ في البعير اذا ارادوا ارسالهُ للرعي ٢ اي خلط ولم يستقم على حالةٍ واحدة ٣ اي ليس عليهِ ضيقٌ في الدين ٤ رفقاء في السفر ٥ اي مع جماعةٍ كثيرة ٦ سير الليل كلهِ ٧ سير النهار كلهِ ٨ الاهذاب الركض الشديد. والتقريب المشي السريع دون الركض. اي نستعمل هذا تارةً وذاك اخرى ٩ انتهت ١٠ نهر بغداد ١١ اي باجمعنا. ويقال القضُّ الحصى الصغار والقضيض الحصى الكبار وهذا ماخوذٌ منهُ اي نزلنا صغارنا وكبارنا ١٢ جوانب ١٣ الارض المنخفضة ١٤ اعجبتنا
١٥ طلاوتهُ ١٦ نظافتهُ ١٧ اي نقطف ثمار اغصانهِ المائلة ثقلاً
١٨ الماء الذي لا تصيبهُ الشمس

أَزِفَ(١) الرحيل * وزمّتِ الهَجمة(٢) والرعيل(٣) * قيل هذا يوم النيروز(٤) * ولا بدّ للناس من البروز(٥) * فلبّدَ القيروانُ عجاجتَهُ(٦) * وبلّدَ(٧) لجاجتَهُ * ولما ألقتِ الغزالةُ(٨) لعابها(٩) * وضربتِ الضحى(١٠) أطنابها * نفر(١١) القومُ ثُباتٍ(١٢) في تلك الرّباع(١٣) * وانتشروا مثنى وثُلاثَ ورُباع(١٤) * فلما انتظمت القِيام(١٥) * وجلست القِيامُ في الخيام * نُحِرَت(١٦) الجُزُر(١٧) وشبّت(١٨) النار * وفاحَ العُثان(١٩) والقُتار(٢٠) * واخذ القومُ في تداوُل الألحان * وتناوُل بنتِ الحان(٢١) * الى ان نثرَ الاصيلُ(٢٢) على نور الشمس نَوْرَ البَهار(٢٣) * وكاد جُرفُ(٢٤) النهار ينهار(٢٥) * فنهضنا * من حيثُ ربضنا(٢٦) * وأقبلنا * الى حيثُ قابلْنا(٢٧) * واذا موكبٌ(٢٨)

---

١ قرب ٢ جماعة الابل ٣ جماعة الخيل ٤ موسم يكون في ايام الربيع فيخرج الناس فيه للتنزّه . وقيل هو اول يوم في السنة ٥ اي الخروج الى ظاهر المدينة ٦ اي سكّنت القافلة غبارها . وهو مثلٌ يقال لَبّد فلانٌ عجاجتهُ اي عدل عما كان قد عزم عليه ٧ من البلادة وهي ضدُّ الحدّة ٨ الشمس عند طلوعها ٩ شعاعها ١٠ جمع ضحوة وهي ارتفاع النهار ١١ انتشر ١٢ جماعات ١٣ جمع رَبع ١٤ اي اثنين اثنين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ١٥ الجماعات ١٦ ذُبحت ١٧ الذبائح ١٨ اضرِمت ١٩ الدخان ٢٠ ما يفوح من بخار اللحم على النار ٢١ الخمرة ٢٢ آخر النهار بعد العصر ٢٣ النَّور الزهر . والبهار نباتٌ لهُ زهرٌ اصفر . كنى بذلك عن اقتراب زوال الشمس ٢٤ الجُرف المكان المرتفع الذي اخذ السيل جوانبهُ ٢٥ يتهدم ٢٦ جلسنا ٢٧ اي الى المكان الذي قابلناهُ ٢٨ محفل

من الرجال * قد ازدحموا على شيخ بالٍ[١] * رثِّ الجسم والسربال[٢] * وهو قد أنَّ من شدَّة الكلال[٣] * وشرَعَ يوصي رجلاً بين يديهِ فقال * يا بُنيَّ لا تسلِّم نفسك الى هواك * ولا تستودع سِرَّك سِواك * ولا تفوِّض امرك * الَّا لمن يعرف قدرَك * ونزِّهْ نفسك عن الخسائس[٤] * وقلبك عن الدسائس[٥] * واحفظ لِسانَكَ من الخَلَل[٦] * قبل ان تحفظَ رِجلك من الزَّلَل * واقتصد[٧] * في ما تعتمد * ولا تستعجل * في ما تستعمل * ولا تهرِف[٨] * بما لا تعرف * ولا تطمع * في ما تجمع * ولا تصدِّق كل ما تسمع[٩] * ولا تنقُلِ القَدَم * الى ما يُعقِب النَدَم * ولا تمشِ في الارض مَرَحًا[١٠] * ولا يستفزَّك[١١] الدهرُ فرَحًا او ترحًا[١٢] * ولا تمتهنِ[١٣] الضعيفَ الساقط * ولو كان ماقطَ بْنَ لاقطٍ[١٤] * ولا يكُنْ حبكَ كلَفاً[١٥] * ولا بغضُكَ تلَفاً * واذا استغنيتَ فلا تبطَر * واذا افتقرتَ فلا تضجَر * واذا ابتُليتَ فاصطَبِر * واذا رأيتَ

١ اي رثيث. ماخوذ من بِلَى الثوب ٢ الثوب ٣ الاعياء
٤ الامور الدنية ٥ الخبائث المضمرة ٦ لا تبالغ ٧ اي لا تتكلم. واصلهُ من الهرف وهو الاطناب في المدح او المدح عن غير خبرة. والعبارة مثلٌ ٨ مثلٌ ٩ نشاطًا وبطرًا ١٠ يستخفُّك ١١ اي ينبغي ان تلزم الوقار والرصانة في حال السرور والحزن ١٢ تحتقر ١٣ يقولون فلان ماقط بن لاقط اي خسيس دني. واللاقط هو العبد المُعتَق. والماقط عبد اللاقط فيكون عبد العبد ١٤ غرامًا ١٥ اي اذا احببت فلا تكن عاشقًا واذا ابغضت فلا تكن عدوًّا. يريد التوسط في ذلك. وهو مثلٌ

العِبرة فاْعتبِر * وإذا اردتَ ان تُطاع * فَسَلْ ما يُستَطاع[1] * وإذا حدَّثتَ فعليك بالإيجاز[2] * ولا تُلبِّس الحقيقةَ بالمجاز * ولا تَعِدْ الاّ وانت قادرٌ على الإنجاز * ولا تُبادِرْ بالجواب * قبلَ استيفاء الخِطاب * ولا تَقضِ الدَّين بالدَّين[3] * ولا تطلب اثرًا بعد عَين[4] *

---

١ اي اذا اردت ان يُقبَل سؤالك فاطلب ما يستطاع بذلهُ لك. وهو مثلٌ ٢ الاختصار ٣ اي اذا علاك دينٌ فلا تستدِن ايضًا لوفائهِ ولكن اجتهد في اكتساب ما تفي بهِ ٤ مثلٌ اول من قالهُ مالك بن عمرو العاملي. وذلك ان بعض ملوك غسَّان كان يطلب رجلاً من بني عاملة فظفر برجلين وهما مالك وسمَّاك ابنا عمرو فحبسهما عندهُ زمانًا . ثم دعاهما فقال لهما اني قاتلٌ احدكما فايُّكما اقتل . فجعل كل واحدٍ منهما يقول اقتلني مكان اخي . فقتل سمَّاكًا وخلَّى سبيل مالك. فقال سمَّاك

أَلاَ أَبلغ قُضاعةَ ان جئتهم وخُصَّ سَراة بني ساعده
وأَبلغ نزارًا على نأيها بان الرماح هي العائده
وأُقسمُ لو قتلوا مالكًا لكنت لهم حيةً راصده
فيا أُمَّ سمَّاكَ لا تجزعي فللموت ما تَلِد الوالده

وانصرف مالك الى قومهِ فلبث فيهم زمانًا . ثم ان ركبًا مرُّوا بهم فتغنَّى احدهم بقول سماك وأقسم لو قتلوا مالكًا الى آخرهِ فسمعتهُ امهُ فقالت يا مالك لا كانت الحياة بعد سمَّاك اخرج في طلب دم اخيك. فخرج فلقي قاتل اخيهِ يسير في اناسٍ من قومهِ فهمَّ بقتلهِ فقالوا لهُ يا مالك لك مئةٌ من الابل فكُفَّ عنهُ فقال لا اطلب اثرًا بعد عين اي لا آخذ الدية وهي اثر الدم واترك العين اي القاتل. ثم حمل عليهِ فقتلهُ فذهب قولهُ مثلاً

وَٱعلَمْ أَنَّ لِكلِّ صارمٍ[١] نبوةً[٢] * ولكلِّ جوادٍ[٣] كبوةً[٤] * ولكل عالمٍ هفوةً[٥] * ولكل مقامٍ مَقَال * ولكل دهرٍ رجال * ولكل قضاءٍ جالب * ولكل دَرٍّ حالب * ومن حسنتْ سريرتُهُ * حُمِدَتْ سيرتُهُ * ومن اطاع غَضَبَهُ * اضاع أَدَبَهُ * ومن تأنَّى * نال ما تمنَّى * ومن سعى * رعى[٦] * ومن جال[٧] * نال * ومن قلَّ * ذلَّ * والحُرُّ حُرٌّ * وإن مَسَّهُ الضُرُّ * والكَذِب داءٌ * والصِدق شفاءٌ * وطعنُ اللِسان * كوخز السِنان * وظنُّ العاقل * اصحُّ من يقين الجاهل * والظَمَأُ القامح * خيرٌ من الرِّيِّ الفاضح[٨] * وعليك بالمُحاجزَة[٩] * قبلَ المُناجزَة[١٠] * وبالإيناس * قبل الإِبساس[١١] * وبالعِتاب * قبلَ العِقاب[١٢] * وٱستَعِذْ بالله من الشيطان الخنَّاس[١٣] * الذي

١ سيف قاطع ٢ كلال ٣ فرس كريم ٤ عثار ٥ زلّة

٦ اي صادف المرعى ٧ طاف في الارض ٨ الظمأُ العطش والقامح اسم فاعل من قولهم قمح البعير اي اشتدَّ عطشهُ حتى فتر شديدًا . وكأنهُ من الاسناد المجازي كما في ليلة ساهرة ونحوهِ. هذه الرواية المتعارفة. قال الازهري وهذا خلاف ما سمعناهُ من العرب والمسموع منهم الظمأُ القادح خيرٌ من الريّ الفاضح ومعناهُ العطش الشاقُّ خيرٌ من ريٍّ يفضح صاحبهُ ٩ المانعة

١٠ المبارزة والقتال. اي عليك بالمسالمة قبل المعاجلة في الشر ١١ هو ان يقال للناقة عند الحلب بَس بَس لتسكن وتدرَّ . والمعنى عليك بالمؤانسة لصاحب الحاجة قبل طلبها ١٢ كل ما مرَّ من قولهِ لكل صارم نبوة الى هنا من امثال العرب ١٣ الذي عادتهُ ان يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربهُ

يُوَسوِسُ في صدور الناس * قال فلما استتمَّ كلامهُ قال انهُ من سُليمان[1] * وانها لمن وصايا لُقمان[2] * فادْرُسْها كلما شَهِدتَ الشهر[3] * واذكُرْ شيخَكَ[4] الذي اعترك الدهر * وقلَّبَ اهلهُ البطنَ والظهر * فعرف منهم السِرَّ والجهر * ثم ثاب[5] اليهِ بعضُ الرَمَق[6] فتجلَّد * ورأرأَ[7] بحَدَقتيهِ وانشد

اني لقد جرَّبتُ أخلاقَ الورَى حتى عرفتُ ما بدا[8] وما اختفى
كلٌّ يَذُمُّ الناس فالذي نجا من ذمِّهِ يدخُلُ في ذمِّ المَلا[9]
والمرء مطبوعٌ على البخلِ اذا جاد فجودهُ عن العِرضِ فِدَى[10]
يريد أَنْ يغترف البحرَ ولا يترُكَ منهُ قَطرَةً تروي الظَمَا
ينسَى من المُحسِنِ طَودًا[11] قد رَسا وليس ينسى ذَرَّةً ممن أسا[12]

١ اي ان هذا الكلام الذي تكلم بهِ هو من سليمان بن داود صاحب الحكمة الشهيرة . يريد ان يشبّه نفسهُ بهِ على سبيل التجريد ٢ حكيم العرب المذكور آنفًا . اوصى بنيهِ عند وفاتهِ وصيَّةً جليلة لا موضع لها هنا ٣ اي كلما رايت هلال الشهر ٤ يريد نفسهُ . اي اذكرني كلما رايت الهلال ٥ رجع ٦ بقية الروح في المريض ٧ نظر نظرًا مضطربًا ٨ ظهر ٩ اي كل واحد يذمُّ الناس مستثنيًا نفسهُ حينئذٍ . ولكنهُ يدخل في هذا الذم متى تكلم غيرهُ بهِ . فالذي نجا من ذم نفسهِ يدخل في ذم الجماعة ١٠ يعني ان الانسان بخيلٌ بالطبع فاذا جاد لم يكن جودهُ مجرَّدًا وانما يكون فداء عن عرضهِ لئلا يقال انهُ بخيلٌ فيُعاب بذلك ١١ جبلًا ١٢ اي اذا احسنت اليهِ احسانًا عظيمًا كالجبل ينساهُ . فان اسأْت اليهِ بقدر الحبَّة الصغيرة من الهباء لا ينسى

ولا يُحِبُّ غيرَ نفسهِ فما أَحبَّهُ فهوَ الى النفس أنتهى[١]
يعرفُ كلٌّ حالهُ في ما مضى الاَّ الذي كان دنيًّا فارتقى
وكلَّ علمٍ يُدرِكُ المرءُ سوَى عِرفانِ قدْرِ نفسهِ كما أقتضى[٢]
بالعقلِ والدِّينِ لهُ كلُّ الرضى أمَّا بمالهِ وجاههِ فلا[٣]
وكُلَّما عقلُ الفتى قلَّ اكتفى بهِ كما ظنَّ فسرَّ وازدهى[٤]
قد طُبِعَ الناسُ على الظُّلمِ فما سلِمَ أمرٌ لِامرئٍ الاَّ بغى
يؤْذي الجهولُ نفسهُ فإن جنَى يومًا عليكَ لا يُلامُ بالأذى
ويذخَرُ الشيخُ لدهرٍ ويرَى بعينهِ الموتَ لدى الباب أستوى[٥]
يَنعَمُ البعضُ بمالٍ يَختبي وبعضهم ببذلهِ في ما اشتهى
مَن عاشَ بالتقتير[٦] من ذَوي الغنى فانهُ أفقرُ مَن فوقَ الثرَى[٧]

١ يقول ان الانسان لا يحبُّ غير نفسهِ محبة صحيحة لذاتها. فان احب غير نفسهِ فانما ذلك لعلاقةٍ تعود الى نفسهِ. كما اذا احب نسيبًا لهُ او صديقًا يسرُّ بهِ او من يرجو فائدة منهُ ونحو ذلك. فكل ما ذُكر لا بد ان ينتهي الى نفسهِ ٢ اي ان الانسان يستطيع ان يدرك كل علمٍ في الارض. واما علم معرفة النفس فلا يستطيع ان يدركهُ على حسب ما يقتضيهِ الحال. ولذلك نرى كل انسان يعتقد نفسهُ فوق ما هي في الواقع او اقلَّ مما هي او بخلاف ما هي في الجودة والرداءة ٣ اي فلا يرضى ٤ تكبر وافتخر ٥ اي ان الشيخ يذخر اموالاً لاجل دهر طويل مع انهُ يرى الموت منتصبًا ببابهِ لانهُ قد بلغ غاية ما يمكن ان تعيش الناس ٦ ضيق العيش والشح ٧ يقول ان من عاش عيشةً ضيقة وبخل على نفسهِ وهو غنيٌّ فذلك افقر الناس. لان كثيرين من الفقراء يعيشون عيشةً اوسع من عيشتهِ

كلٌّ يعدُّ نفسهُ نِعمَ الفتى	فمَن هوَ اللئيم منّا يا تُرَى (١)
لو عرفَ الانسانُ عيبهُ لَمَا	رأيتَ عيبًا فيهِ ما طالَ المَدَى (٢)
وكلُّ عيبٍ كان من طَيِّ الحَشَى (٣)	في المرءِ ينمو فيهِ كلّما نشا
لا يشعرُ الجاهلُ بالجهل كما	لا يشعرُ السكران الّا ان صحا
لا يعرف الصحيحُ قيمةً لِمَا	كانَ من الصحّةِ حتى يُبتَلى (٤)
لا يحمَدُ القومُ الفتى الّا متى	ماتَ فيُعطَى حقَّهُ تحت البِلَى (٥)
لو كانَ كلٌّ يعرف الحقَّ سُوَى (٦)	لكانَ كلُّ الناس اهلًا للقضا (٧)
منْ قالَ لا أغلَطُ في امرٍ جرى	فانها أوّل غلطةٍ تُرَى (٨)
وقلّما أبصرتَ نِعمةً على	شخصٍ ولا تقولُ قد ضاعت هُنا (٩)

١ يقول ان الناس لابد ان يكون فيهم رجل كريم واخر لئيم ونرى كل واحدٍ يعدُّ نفسهُ كريمًا فمن هو اللئيم منهم على هذه الحالة ٢ اي لو كان الانسان يعرف العيب الذي فيهِ لكان ينزعهُ من نفسهِ لانهُ لا يرضى ان يكون فيهِ عيب. وعلى ذلك يلزم ان يكون سالمًا من العيوب وهو محال ٣ اي من اصل الخلقة ٤ اي حتى يبلى بالمرض ٥ اي ان الناس لا يعرفون قيمة الانسان في حياتهِ ولا يحمدون افعالهُ . ولكن متى مات يتاسفون عليهِ ويذكرون احسانهُ فيعطونهُ حقهُ وهو قد بلي في التراب ٦ اي مستقيمًا ٧ اي يصلح ان يكون قاضيًا ٨ اي من ادّعى انهُ لا يغلط في امرٍ فهذا اول غلط رايناهُ منهُ لانهُ لا يمكن ان يكون معصومًا من الغلط فقد غلط في حكمهِ هذا ٩ اي قلَّ من يقوم بحق النعمة اما لقصورهِ عن حسن التصرُّف بها واما لبخلهِ مع السعة المستفادة منها فتكون قد ضاعت عندهُ

وقلَّما كانَ شُجاعًا في اللِّقا	الاَّ عزيزُ النفسِ والجودُ كذا[1]
وكلُّ ما في غيرِ مَثواهُ ثَوَى	يسمجُ[2] في العينِ ويُؤذي من رأى[3]
وكلُّ ما عن منهجِ[4] الطبعِ التوى	تنكرُهُ النفسُ ولو نفعًا جنَى[5]
وكلُّ مَن تاهَ[6] دلالًا وادَّعى	مستكبرًا فذاك ناقصُ الحِجَى[7]
وكلُّ مَن شابَ على خُلقٍ فلا	تنصحْهُ فهوَ ليس من اهل الهُدَى[8]

١ يعني ان الشجاعة تستلزم عزّة النفس فليس احد يحب الموت ويكره الحياة. ولكن الشجاع لعزّة نفسهِ وشهامتهِ يخاطر بنفسهِ ويتعرّض للقتل حتى لا يقال انهُ جبان ضعيف. وكذلك الكريم يبذل مالهُ لا كراهةً للمال ولكن حتى لا يُعاب بالبخل ٢ يقبح ٣ اي كل شيء نزل في غير موضعهِ يكون قبيحًا في العين ومؤذيًا في النفس ٤ طريق ٥ اي ولو افاد منفعةً ٦ تكبّر ٧ العقل ٨ اي كل من بلغ المشيب وفيهِ خصلة منكرة لا يغيرها فلا تطمع في تركهِ اياها بعد ذلك. واعلم ان هذه الابيات تحتمل ان تكون من تامّ الرَّجز مُقفَّاةً او من مشطورهِ على مذهب من يقول ان المشطور نصف بيتٍ لا بيت. وهو احد الاقوال السبعة واليهِ ميلُ ابن الحاجب. وعلى كلا الوجهين لا يكون فيها تضمين لان التعلّق انما يكون قد وقع في وسط البيت لا بين القافية واول البيت الثاني. وعلى ذلك قول بشّار بن بُرْد

يا بنت من لم يكُ يهوى بنتا	ما كنتِ الاَّ خمسةً او ستّا
حتى حللتِ في الحشى وحتى	فتَّتِّ قلبي من جوًى فانفتّا

وقول سهل بن مالك الغسّاني

قد علم الاقوام ان شِمْرا	كان مليكًا في الانام دهرا
وقبلهُ الحرث كان عصرا	أُعطي على كلّ الملوك نصرا

وامثال ذلك كثيرة في اشعارهم

وكلُّ مَن لا خيرَ منهُ يُرتَجى إن عاشَ او ماتَ على حدٍّ سِوى

فلما فرغ من ابياتهِ استهلّت[1] دموعهُ من المآقي[2] * وقال سُبحان الحيِّ الباقي * ثم سجا[3] على مضجعهِ حتى خِيلَ أنَّ روحهُ قد بلغتِ التراقي[4] * فأخذتِ القومَ الشفقة * وقال لغلامهِ خذ هذه الصدقة * ان مات فللتجهيز[5] وان عاشَ فللنفقة * ثم وَلَّوا الأدبار * وهم يضجّون بالدعاء لهُ والاستغفار * قال سهيلٌ فلما خلونا وانتفتِ التقيّة[6] * نفضَ عن نفسهِ غُبار المنيَّة * وقال يا غُلامُ اذهبْ بهذه الدَّستَجة[7] * فجئنا بما نشرب الهفتجة[8] * فابتهجتُ بإرجاء حَينهِ[9] * وتأمَّلتهُ فاذا هو الخزاميُّ بعينهِ * فعجبتُ من ريائهِ ومَينهِ[10] * وقلتُ يا ابا ليلى كيف تَعِظُ بما ذكرت * وتَصِفُ الناس بما انكرت * فأشاحَ[11] بوجههِ خَجِلاً * ثم انشد مرتجلاً[12]

وصَفْتُ الناسَ بالنُكْرِ وإنّي لَسْتُ بالناسي

ولكن نَسِيَ الغافلُ أنّي أَحَدُ الناسِ[13]

١ سالت ٢ جمع المأقي وهو مقدم العين مما يلي الانف ٣ شخصَ ٤ اعالي الصدر ٥ قضاء حوائج دفنهِ ٦ الحذر ٧ الزجاجة الكبيرة ٨ سبعة اسابيع من الايام ٩ اي بتاخير موتهِ ١٠ كذبهِ ١١ اعرض ١٢ من غير تفكر ١٣ يقول انني وصفت الناس بالمنكرات ولم انسَ ذلك . ولكن انت ايها الغافل نسيت انني واحد منهم ينبغي ان امشي في طريقهم واحذو حذوهم

ثم قال يا ابا عُبادة ليس من العدل * سُرعة العذل[1] * ومن لا يُؤخَذ بالأشعبية[2] * فخُذه بالشغربية[3] * واني قد أفدتُ من الحِكَم والأمثال * ما لا يُعادلُ بدرهمٍ ولا مثقال[4] * فاما ان تبذلَ كما بذلَ القوم * والَّا فالسكوتَ عن اللوم[5] * قال فامسكتُ عن معاذيرهِ الملفَّقة * وان لم يَضلَّ دُرَيصٌ نفقَهُ[6] * ولبثتُ في صُحبتهِ بالعِراق * الى ان قضى اللهُ بالفِراق

المقامة الأَدبيَّة لهُ ايضًا

حدَّثَ سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال ترامَت بي سفرةٌ شاسعة[7] * في

١ الملامة. وهو مثلٌ ٢ اي من لا يُطمَع في معروفهِ ٣ حيلة تكون بين المتصارعَين بان يُعثِر احدهما الآخر حتى يصرعهُ . وقد تُستعار الحيلة في غير ذلك ٤ اي من الفضة والذهب يريد انهُ لم يظلم القوم بما اخذهُ منهم لانهُ نال اقلَّ مما يستحقهُ بالنسبة الى ما افادهم بهِ ٥ اي انهُ صار يجب على سهيل ان يكافئهُ على تلك الفوائد لانهُ كان من جملة السامعين لها. فيقول لهُ اما ان تفي ما عليك كما فعلت الجماعة والَّا فليكن جزاءي منك السكوت عن الملامة
٦ يقال ضَلِلت المسجدَ والدار اي لم اعرفْ موضعهما . ودُرَيصٌ ولد الفارة واليربوع والنَّفَق الوكر. وهو مثلٌ يُضرَب لمن يُعنَى بامرهِ ويعدُّ لخصمهِ حجةً ثم ينساها عند الحاجة. يقول انني امسكت عن جوابهِ ولو كنت لم اعجز عنهُ ولم انسَ الحجة التي احتجُّ بها عليهِ ٧ بعيدة

مَوماةٍ[1] واسعة * وكنت قد انضويتُ[2] الى صَحبٍ أحمَى[3] من الجَمَرات[4] * واكرمَ من الطَّلَحات[5] * فسِرتُ بينهم ناعم البال * آمِنَ البلبال * وما زلنا بين تصويبٍ[6] واصعاد * حتى هبطنا بطنَ وادٍ * واذا خيمةٌ شَمَّاءُ[7] * على صَفاةٍ[8] صَمَّاءَ[9] * وفيها قومٌ نسمعُ لهم رِكزًا[10] * ولا نُدرِك منهم رمزًا * فنزلنا عن الأقتاد[11] * لنُريح الأكتاد[12] * ونُخمِدَ غليلَ[13] الأكباد * ثم نصبنا الأطيمة[14] * كما تُنصَب في الوليمة[15] * وقُمنا كالنُّدُل[16] حول النار * ونحن نتلهَّن[17] بالعسم القَفار[18] * حتى أُنزِلَت الهَيطَلَة[19] * وأُحضِر الهجم[20] والنَوفَلَة[21] * فجلسنا نلتهم[22] ما حضر * حتى لم نُبقِ ولم نَذَر * وبينما فرغنا اذ تراءى لنا شُيَيخ[24] * وهو يُنشِد من وراء الحِجاب[25] بصوتٍ بُدَيح[26]

١ فلاة ٢ انضممت ٣ تفضيل من الحماية ٤ اراد جمرات العرب وهم بنو ضبَّة والحرث وعبس. ولا يخفى ما في العبارة من التورية

٥ رجال من كرام العرب ٦ انحدار ٧ مرتفعة ٨ صخرة ملساء

٩ صلبة ١٠ صوتًا خفيًا ١١ اخشاب الرحال ١٢ جمع كتد وهو ما بين الكاهل الى الظهر ١٣ حرارة العطش ١٤ الموقدة

١٥ طعام العرس ١٦ خدَّام الضيافة ١٧ نأكل شيئًا نتعلَّل به الى ان يحضر الطعام ١٨ الخبز اليابس ١٩ الذي بلا إدام ٢٠ القِدر من النحاس ٢١ القَدَح الضخم ٢٢ المطحوة ٢٣ نبتلع ٢٤ تصغير شيخ وهو الشخص ٢٥ اي حاجز الخيمة ٢٦ اي بصوتٍ مثل صوت بُدَيح. وهو رجلٌ حسن الصوت يُضرَب به المثل

كم بَطَلٍ مُدَجَّجٍ[1] غلّابِ ... قهرتُهُ بأسمرٍ[2] صُلّابِ
معتدلِ الأوصالِ[3] والاكعابِ[4] ... لا يعرفُ الطِعانَ بالأعقابِ[5]
ظمآنَ لا يَروى من الشرابِ ... سِنانُهُ أمضى من الشهابِ
يخوضُ في الأحشاءِ والألبابِ ... وينفثُ السمومَ كالحُبابِ[6]

قال فأوجسنا[7] خيفةً في أنفسنا * وتواصينا بالحرس على معرّسِنا[8] * وبتنا نُراعي[9] الجمالَ والخيلَ * الى ان مضى ذُهلٌ[10] من الليل * واذا بالرجل يقول يا غلامُ أدنُ منّي * وخذ الأدبَ عنّي * ثم قال يا بنيَّ عامل الناسَ ما استطعتَ بالإحسان * وكن بينهم عفيفَ الطَرْفِ[11] واليدِ واللِسان * وقابلِ النعمةَ بالشكر * وأحيِ الجميلَ بالذكر * وحافظ على الصديق * ولو في الحريق[12] * وإيّاك الغيبة[13] * فهي بئس الريبة * وأنظرْ الى معايبك * قبل معايبِ صاحبك * واجتنبِ المُزاح * فانهُ يخفِضُ الجَناح[14] * ولا تكن اذا سألتَ ثقيلاً * ولا اذا سُئِلتَ بخيلاً * ولا تطلُب ما في يد

1 متسلّح 2 صفة للرمح 3 ما بين الاكعاب 4 الانابيب
5 جمع عَقِب وهو المؤخَّر من كل شيء . كانوا يطعنون بعقِب الرمح اذا لم يقصدوا القتل 6 الحيّة 7 اضمرنا 8 المُعرَّس مكان النزول ليلاً اي خافوا منهُ على امتعتهم ومواشيهم ان يسطو عليها 9 نراقب 10 جزء نحو الربع او الثلث 11 اي العين 12 مثَل 13 القدح في اعراض الناس الغائبين 14 اي يقلّل الحرمة

الناس * ولو طاقةً[١] من الآس * واذا جلستَ فاعرِف مقامك * واذا حدَّثتَ فانتقد كَلامك * واذا تكلَّمت ليلاً فاخفُض * واذا تكلَّمت نهارًا فانفُض[٢] * واذا دُعيتَ الى الولائِمِ[٣] فكن آخرَ جالسٍ وأوَّل قائمٍ * وأكرِم الناسَ فتكرَم * ولا تُغتِمِ[٤] الزيارة فتسأَمُ[٥] * ولا تجالِس الخسيس[٦] فانهُ يزري بالجليس * والزم الوَداعةَ والحياء * واجتنب الرِياء والكِبْرِياء * واحذَر الكسل فانهُ آفة العمل * ولا تطلب الغِنى * بالمُنى[٧] * واطلب النوَى[٨] عن الهوى[٩] * واقصُر الطِاج[١٠] * الى المراح[١١] * ولا تدخل في الفضول[١٢] * فتخرُجَ عن القَبول * واذا غَضِبتَ فاترُك بقيَّةً من الرِضى * ولا يُذهِلْكَ ما قد حضر عن ذكر ما مضى[١٣] * واطلب الإفادة جُهدَك * ولا تدَّعِ بما ليس عندَك * واعتزِل البُخلَ

١ حزمة ٢ اي التفت. يقول اذا تكلمت في الليل فاخفض صوتك لئلاَّ يكون احدٌ يسمعك ولا تراهُ . واذا تكلمت في النهار فالتفت الى ما حولك لترى هل احدٌ يسمع حديثك . وهو مثلٌ ٣ تُطلَق الوليمة على كل طعام وهو المراد هنا ٤ تكثر ٥ تملّ ٦ الدنيء ٧ الآمال . اي اطلب الغنى بالجدّ في تحصيلهِ لا بالآمال والمطامع ٨ البعد ٩ العشق . ويمكن ان يراد بهِ هوى النفس ١٠ من قولهم طمح بصرهُ اليهِ اي ارتفع ١١ الخمرة ١٢ التعرُّض لما لا يعنيك ١٣ اي لا تنسَ الصداقة الماضية بسبب الغضب الحاضر

الذميم * والكرم الوخيم (١) * وإذا دُعيتَ فشمّر الذيل (٢) * وحيثما انقلبتَ فلا تمِل كل الميل (٣) * ولا تأتِ ما يُلجئك (٤) الى المعذرة * فتسلم من كل خُطّةٍ (٥) منكرة (٦) * واعلم ان الادب * أشرف من النسب * واكتساب العلم خيرٌ من اكتساب النشب (٧) * والعلم بلا عمل * كالنخل بلا عسل * وصدقٌ يضرُّ * خيرٌ من كذبٍ يسرُّ (٨) * وانتشابُ المنايا * أيسرُ من ارتكاب الدنايا (٩) * واقتحام النار * أهونُ من التحاف العار * وداء الأسد (١٠) * اسلم من داء الحسد * والقناعة * نِعمَ الصناعة * وحُبُّ السلامة * عُنوان الكرامة * والنظر في العواقب * من احسن المناقب * فأتمر بما أمرناك * واحذر مما حذرناك * واذكرنا كما ذكرناك * قال فراعتنا (١١) آدابهُ الباذخة (١٢) * إلاّ أن تكون كحياء مارخة (١٣) * وبتنا نعجبُ من صفته * ونهفو (١٤) الى معرفته * حتى اذا رقّت حاشية الظلماء * وشقّت غاشية (١٥) السماء * برز

---

١ هو ما يكون في غير موضعهِ ٢ كناية عن الاستعداد للاجابة

٣ اي لا تبالغ في كل امرٍ اخذت فيهِ ٤ يحوجك ٥ طريقة

٦ يقول لا تفعل شيئاً تحتاج الى الاعتذار عنهُ لمن اطّلع عليهِ فتسلم من جميع المنكرات. وهذه ضابطةٌ عامّة ٧ المال ٨ مثلٌ ٩ الامور الخسيسة

١٠ الجذام ١١ اعجبتنا ١٢ السامية ١٣ امرأة كانت كثيرة الحياء ثم وجدوها تنبش قبراً فضرب المثل بحيائها ١٤ نشتاق جداً

١٥ حجاب. كنى بذلك عن انفجار الصبح

الرجل من حجابهِ المَصُون * وإذا هو شيخنا الميمون * فحدّق القومُ اليهِ بالنظر * وقالوا قد عرفناهُ وهل يخفى القمر[1] * ووثب كلٌّ اليهِ وثبةَ السِمْع[2] الأزَلّ[3] * وحيّاهُ تحيةَ الرئيس[4] الأجَلّ * ثم أهبنا بهِ[5] الى رحالنا * وتربصنا[6] عن ترحالِنا * واقمنا معهُ يوماً أعذب من معتّقة الدير[7] * وأقصر من حسو الطير[8] * فلما تبوّأ[9] للرحيل طِمِرّتَه[10] * اعتقل[11] مِخصَرَتَه[12] * وقدّم بين يديهِ أُسْرَتَه[13] * فقلتُ يا ابا ليلى اين رُمحك التسآل[14] * الذي قهرت بهِ الابطال[15] * فاشار الى قلبهِ وقال

---

١ ماخوذ من قول عُمر بن ابي ربيعة بن المغيرة المخزوميّ حيث يقول

بينما ينعتنني ابصرنني | دون قيد الرمح يعدو بي الأغرّ
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى | قالت الوسطى لها هذا عُمَر
قالت الصغرى وقد تيّمتها | قد عرفناهُ وهل يخفى القمر

وهو مثلٌ يُضرَب في الشهرة

٢ حيوانٌ يتولّد بين الضبع والذئب. يُضرَب بهِ المثل في السرعة

٣ الذي لا لحم على أليتيهِ ٤ اي كما يُحيّى الرئيس ٥ دعوناهُ

٦ امسكنا ٧ اي الخمرة المعتّقة في الدير ٨ اي شربهِ. وهو مثلٌ يُضرَب في القصر لان زمان شرب الطائر في غاية القصر. وايام السرور يصفونهُ بالقصر كما يصفون ايام السوء بالطول ٩ اي ركب ١٠ فرسهُ المستعدّة للعَدْو ١١ وضع بين فخذهِ وسرجهِ ١٢ عصاهُ يقول انهُ اعتقل مخصرتهُ مكان الرمح ١٣ جماعتهُ ١٤ المضطرب ١٥ يشير الى الرمح الذي ذكرهُ في اوائل المقامة

وَيْكَ هذا رُمحي وهذا سِناني منذُ يومي أعددتهُ للطعانِ[1]
ليسَ يروَى من المِداد[2] وقد ينفِثُ[3] سمَّ الهجاء كالأفعوانِ
وهوَ قد خاضَ في المحابر حتى خَضَبت رأسهُ خِضاب البنانِ

قال فقلت لله دَرُّك ما أَلعَبَكَ بالقلوب * وأَبصرَكَ بكل أُسلوب * فهل تأذَنُ لي بالتحوُّل الى صُحبتِك[4] * ولو فاتني وَطَري[5] في سبيل صُحبتِك * قال يا بُنيَّ قد وطَّنت نفسي[6] هذه النوبةَ[7] على الصِراع[8] * وآليتُ[9] أن لا أَترُكَ رأسًا بلا صُداع[10] * لِما رأَيتُ في الناس من لُؤمِ[11] الطِباع * فأَخشى اذا طمى الوادي أَن يَطُمَّ على

---

١ يقول ان هذا القلم هو رمحهُ الذي وصفهُ في الابيات لان تلك الصفات تصدق عليهِ ايضًا. فانهُ اسمر صلب معتدل الاوصال والانابيب. ولا يمارس عملهُ الَّا براسهِ دون عقبهِ. ولا يروى من الحبر الذي هو شرابهُ لانهُ كلما كُتب بهِ شيءٌ جفَّ الحبر فعاد الى الشرب. ولهُ برية كالسنان. ومضاءٌ في جريهِ على القرطاس. وهو يخوض في احشاء المحابر. وينفث سموم الاهاجي والمثالب. وقد ذكر لهُ ما تيسَّر من الصفات المطابقة في البيتين التاليين كما سترى ٢ الحبر

٣ ذكر الحيَّات ٤ اي ان اترك اصحابي وانضمَّ اليك

٥ حاجتي ٦ ثبَّتُّ عزمي

٧ المرَّة ٨ معاركة الناس

٩ اقسمت وعزمت على نفسي ١٠ وجع. اي ان لا اترك احدًا يسلم من اذاي ١١ ضد الكرم

القَرِيّ[1] * فيلتحق ذنبُ السقيم بالبَرِيّ * ثم ولّى بجُوادِهِ ينهب الطريق * وإذاقني ببِعادهِ عَذاب الحريق

ألمقامة القدسيّة لهُ ايضاً

قال سُهَيلُ بن عبّادٍ لَقِيتُ أَبا ليلى في المَسجِد الاقصى[2] * بين جمهورٍ لا يُحصَى * والناس قد تألّبوا[3] عليهِ كالأَجرَبين[4] * واحاطوا بهِ كالأَخشَبين[5] * وهو يخاطبهم بالوعظ والإِنذار * ويحذّرهم عَذاب النار * وسوءَ عُقبى الدار * حتى صارت مدامعهم تَصوب[6] * وكادت أَكبادهم تَذوب * فلما رآني تَحَفّز[7] * وهو قد استوفز[8] * فانقَضَضتُ اليهِ كالأَجدَل[9] * وسَقَطتُ عليهِ كالجَندَل[10] * فحيّاني تحيّة الأَحبّة * ثم استأنف[11] الخُطبة * فقال الحمد لله الذي جعل حَرَمَهُ أَمْنًا للعِباد * ومَقامًا للعبّاد * وهو الذي خَلَق فسوّى * وقَدَّر فهَدَى * وأَضحكَ

---

١ يقال طمى الوادي اذا ارتفع الماء فيهِ وفاض. والقَرِيّ مجرى الماء في الروض. وهو من قولهم في المثل جرى الوادي فطمّ على القَرِيّ. يُضرَب في حدوث امرٍ عظيم يغطي الصغائر ويدفنها كما يفعل ماء الوادي بالمجاري الصغيرة. والشيخ يريد ان يصرف سهيلاً عن صحبتهِ بحجةٍ فذكر لهُ سوء نيّتهِ على الناس وحذّرهُ عاقبة الامر ليكفّ عن مصاحبتهِ ٢ بيت المقدس ٣ اجتمعوا

٤ بنو عبس وبنو ذبيان ٥ جبلا مكة ٦ تنسكب ٧ تهيأ للقيام

٨ جلس غير متمكن ٩ الصقر ١٠ الصخر ١١ ابتدأ

وأبكى * وأمات وأحيى * والذي جعل الارض مهادًا * والجبال أوتادًا * وبنى فوقكم سبعًا شدادًا * والذي مرج البحرين[1] يلتقيان * بينهما برزخ[2] لا يبغيان[3] * وهو كلّ يوم في شان[4] * لا إله الاّ هو الفرد الصمد * الذي لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا أحد * سُبحانهُ وريحانهُ[5] * ما أعظم قدرتهُ وشانهُ * وأوسع منّتهُ واحسانهُ * أمّا بعدُ فانني قد قمتُ فيكم مقامَ الفقيه الخاطب * وفي صفقة لم يشهدها حاطب[6] * فاني طالما ارتكبتُ الأوزار[7] * وتبطّنتُ الأقذار[8] * واجترحتُ[9] المغارم[10] * واستبحتُ المحارم * وانتهكتُ الأعراض[11] * فسوّدتُ منها كلّ بياض * وما زال ذلك دأبي مُذ شببتُ * الى ان دببتُ[12] * فليس لي أن أعظ أحدًا ولا أفوه بخطبة أبدًا * وعليّ أن أقصر درسي * على وعظ نفسي * وها انا قد

---

١ خلاّهما لا يلتبس احدهما بالآخر ٢ حاجز ٣ اي لا يتجاوزان حدّهما ٤ اي في شغلٍ ٥ اي تنزيهًا له واسترزاقًا منهُ

٦ هو حاطب بن ابي بلتعة . كان حازمًا لبيبًا اذا باع بعض قومهِ او اشترى جعل ذلك على يدهِ لئلاّ يُغبَن فيهِ . فباع بعض اهلهِ بيعةً ولم تكن على يدهِ فغُبِن فيها فقيل صفقة لم يشهدها حاطب اي لم يحضرها . فصار ذلك مثلاً لكل امرٍ يُبرَم دون اربابهِ . ومراد الشيخ ان قيامهُ فيهم هذا المقام صفقةٌ خاسرة اذ لم يكن من اربابهِ ٧ الآثام ٨ الادناس ٩ اكتسبت ١٠ الجنايات

١١ يقال انتهك عرضهُ اذا بالغ في شتمهِ وجرح صيتهُ ١٢ اي الى ان صرت شيخًا يدبُّ على العصا . وهو مثلٌ

اعتمدت الأَوْبة[1] * واعتصمت[2] بالتوبة * فادعوا الله لي أن يأخذني بحلمه * لا بحكمه * ويعاملني بفضله * لا بعدله * ثم اخذ في الاجيج[3] والضجيج * وجعل يراوح[4] بين النحيب[5] والنشيج[6] * حتى ابكى من حضر * من البدو والحضر * فاخذ القوم في تسكين ارتعاشه * وتمكين انتعاشه * حتى خمدت لوعته * وهمدت روعته * فحباه كل واحد بدينار * وقال ادع ربك لي واستغفره بالأسحار * قال اني قد تجردت عن عرض[7] الدنيا * الى الغاية القصيا * فلا اقبل منه مثقال ذرة ما دمت أحيي * ثم نهض بي مكبرا[8] * وولى مدبرا * فبات بليل أنقد[9] * يساهر الفرقد[10] * وهو لا يفتر من ذكر الله * ولا يمل من الصلوة * حتى اذا اخذت الدراري[11] في الافول[12] * قام على مرقبة[13] وانشأ يقول

قم في الدجى يا أيها المتعبد
حتى متى فوق الأسرة ترقد

---

١ الرجوع ٢ تمسكت ٣ التوهج ٤ يقال راوح بينهما اي تداولها فكان ياخذ في هذا مرة وفي ذاك اخرى ٥ البكاء مع صوت ٦ البكاء من غير صوت ٧ متاع ٨ قائلاً الله اكبر ٩ علم للقنفذ يقال انه لا ينام ليله اجمع. وهو مثل ١٠ اسم النجم المشهور ١١ الكواكب ١٢ الغروب. اي عند طلوع الفجر ١٣ مكان مرتفع

قُمْ وأَدعُ مولاكَ الذي خلَقَ الدُّجى
والصُّبحَ وأمضِ فقد دعاك المسجِدُ
وأستغفرِ اللهَ العظيمَ بذِلَّةٍ
واطلُبْ رضاهُ فانهُ لا يحقِدُ
وأندَمْ على ما فاتَ واندُبْ ما مَضَى
بالأمس واذكُرْ ما يجيءُ بهِ الغَدُ
واضرَعْ وقلْ يا ربِّ عفوَكَ إنني
من دُون عفوِكَ ليسَ لي ما يَعضُدُ
أسَفًا على عُمري الذي ضيعتُهُ
تحتَ الذُنوبِ وانت فوقي ترصُدُ
يا ربِّ لم أحسب مرارةَ مَصْدَرٍ[1]
عن زَلَّةٍ قد طابَ منها المَورِدُ
يا ربِّ قد ثقُلَت عليَّ كبائرٌ
بإزاءِ عيني لم تزَل تَتَرَدَّدُ
يا ربِّ ان أبعدتُ عنك فإنَّ لي
طمعًا برحمتكَ التي لا تُبعِدُ

---

1 اي عاقبة

يا ربِّ قد عبثَ[1] البياضُ بِلِمّتي[2]
لكنَّ وجهي بالمعاصي أسوَدُ
يا ربِّ قد ضاع الزمانُ وليس لي
في طاعةٍ او تركِ معصيةٍ يدُ[3]
يا ربِّ ما لي غيرَ لُطفِكَ ملجأٌ
ولعلّني عن بابهِ لا أُطرَدُ
يا ربِّ هَبْ لِي توبةً أقضي بها
دَينًا عليَّ بهِ جلالُكَ يشهدُ
أنتَ الخبيرُ بحالِ عبدِكَ انهُ
بسلاسلِ الوِزرِ[4] الثقيل مُقيَّدُ
أنتَ المُجيبُ لكلِّ داعٍ يلتجي
أنتَ المُجيرُ لكلِّ مَن يَستنجِدُ
من أيِّ بحرٍ غيرِ بحرِكَ نستقي
ولأيِّ بابٍ غيرِ بابِكَ نَقصِدُ

قال سهيلٌ فلما فرغَ من ابياتهِ غاصَ في التهليل والتحميد * والترتيل والتجويد[5] * حتى تهافتَ[6] من وَجدِهِ * وكاد يغيبُ عن

---

١ لعب ٢ اي شعر راسي ٣ اي وليس لي عملٌ في فعل ما امرتَ بهِ او ترك ما نهيت عنهُ ٤ الاثم ٥ احكام القراءة في القرآن على آداب مخصوصة ٦ سقط

رُشْدِهِ * فعجبتُ من استِحالة حالِهِ * وأيقنتُ بحُؤُولِهِ عن مَحالِهِ * ولَبِثتُ عنده شهرًا * أَجْتني من روضِهِ زَهْرًا * وأَجتلي من أُفقِهِ زُهْرًا[1] * الى أن حُمَّ[2] الفِراق * وقال ناعبهُ[3] غاق[4] * فأعتنقني مُوَدِّعًا * ثم سايَرَني مُشيِّعًا * وقال مَوْعِدُنا دارُ البَقاء[5] * فكان ذلك آخِرَ عهدِنا باللِقاء

---

١ نجومًا ساطعة ٢ قُدِّر ٣ اي غرابهُ ٤ حكاية صوت الغراب ٥ اي دار الآخرة لانّنا لا نلتقي بعد الآن في دار الدنيا